أيام السادات

أسرار غامضة .. وتاريخ مثير..

عصام عبد الفتاح



للنشر والتوزيع

أيام السادات

أسرار غامضة ..
وتاريخ مثير ..

■ استحق السادات أن يوصف بجدارة بأنه رجل الصدمات السياسية.. كما يستحق أيضا أن يوصف بأنه من أهم وأشهر زعماء العالم في القرن العشرين بعد ما أحدثه من تغييرات هائلة في الدولة والمجتمع المصريين.. وفي المسرح السياسي العربي.. وهي تغييرات جاء بعضها إيجابيا وبعضها جاء سلبيا.. وبدرجة كبيرة في الحالتين.. وأحدثت بتداعياتها أثارا مازالت مصر والشعوب العربية تعيش تداعياتها إلى اليوم.

وبالرغم من كل ما كتب عن السادات. وما أكثره. من كتب.. ومؤلفات. ورسائل علمية عديدة في الكثير من الجامعات والمعاهد الدراسية في العالم.. يبقى للسادات.. الإنسان.. والزعيم.. تاريخه الغامض.. الذي قد لايعلم عنه الكثيرون شيئا.. ولم يأخذ القدر الكافي من البحث.. والكتابة.

ومن هنا جاءت فكرة هذا الكتاب.. الذي نتعرض فيه لسيرة.. ومسيرة هذا الرجل.. الذي انقسم حوله الجميع.. مابين عاشق لسيرته. بكل مايحمله المعنى الحرفي للكلمة من قصد. يرى فيه زعيما سبق عصره.. ورجل سياسة من الطراز الأول..وبين كاره للرجل. أقصى درجات الكراهية لا يرى فيه إلا الخيانة.

وهذا الكتاب هو إحدى تلك المحاولات لفك طلاسم هذه الشخصية الغنية بكل السمات الإنسانية.. والقيادية المثيرة..لنستشف بعد ذلك ملامح الشخصية الساداتية الحقيقية بشكل محايد.. حتى لا نحسب على أي من الفريقين..المعادي له..أو المؤمن به.. فكما قلنا هدفنا الأسا
هذا الكتاب هو رسم "بورتريه" بريشة الكلمات.. عنوانه الصدق الم
التوجهات الشخصية فيما يحتويه.. مدعما بالحقائق التاريخ
خلال العلاقات الغامضة.. والتاريخ السري.. للرجل الذي حكم م
أكثر لحظاتها سخونة.




أيام السادات
تاريخ غامض
وعلاقات شائكة

أيام السادات

تاريخ غامض وعلاقات شائكة

المؤلف:

عصام عبدالفتاح

مراجعة لغوية

ضياء الدين رشدى

الإشراف العام

ياسر رمضان

الناشــــر



للنشر والتوزيع

37 ش قصر النيل ـ القاهرة تليفون: 012 7717795

kenouz55@yahoo.com

التنفيذ الفنى وتصميم الغلاف



رقم الإيداع: 2008/17041

الترقيم الدولى: 1-39-5307-977

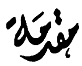


تاريخ غامض وعلاقات شائكة

أيام السادات

عصام عبد الفتاح





بين نشأته القروية البسيطة.. والفقيرة.. وبداياته السياسية المشاغبة والثورية.. ونهايته التراجيدية باغتياله على أيدى جماعة إسلامية متطرفة فى "يوم عرسه.. ونصره" ذلك اليوم الذى كان رمزاً له.. وهو يوم السادس من أكتوبر.. يوم العبور المجيد وبعد ثمانية أعوام من ذلك اليوم المشهود.. تحديداً عام ١٩٨١.. استحق السادات الزعيم المؤمن.. ورب العائلة.. وبطل الحرب والسلام ـ كما كان يحلو له أن يطلق على نفسه ـ عاش السادات.. كإنسان.. وزعيم حياة استثنائية.. استحق معها أن يوصف بجدارة بأنه رجل الصدمات السياسية.. ولكنه فى الوقت نفسه يستحق أيضاً أن يوصف بأنه من أهم.. وأشهر زعماء العالم فى القرن العشرين.

فبمرور ما يزيد على ربع القرن على اغتياله نستطيع القول إن هذه المسافة الزمنية تمنحنا قدراً مناسباً من البعد عن الحدث لرؤية السادات رؤية تاريخية موضوعية.. باحثين فى الوقت نفسه عن الدروس الممكن استخلاصها من حياة هذا الرجل الذى أحدث تغييرات هائلة فى الدولة والمجتمع المصريين.. وفى المسرح السياسى العربى.. والعالمى.. وهى تغييرات بعضها كان ايجابياً وبعضها جاء سلبياً.. وبدرجة كبيرة فى الحالتين.. محدثة أثاراً مازالت مصر والشعوب العربية تعيش تداعياتها إلى اليوم.

وبالرغم من كل ما كتب عنه.. وما أكثره من كتب.. ومؤلفات.. ورسائل علمية عديدة فى الكثير من الجامعات والمعاهد الدراسية فى العالم.. يبقى للسادات.. الإنسان..

والزعيم.. تاريخه السرى.. الذى قد لا يعلم عنه الكثيرون شيئاً .. ولم يأخذ القدر الكافى من البحث.. والكتابة.

ومن هنا جاءت فكرة هذا الكتاب.. الذى نتعرض فيه لسيرة.. ومسيرة حياة هذا الرجل.. الذى انقسم حوله الجميع.. ما بين عاشق لسيرته ـ بكل ما يحمله المعنى الحرفى للكلمة من قصد ـ يرى فيه زعيماً سبق عصره.. ورجل سياسة من الطراز الأول.. وبين كاره للرجل ـ أقصى درجات الكراهية ـ لا يرى فيه إلا الخيانة.. بعد أن تحالف ووضع يده فى يد العدو الصهيونى.

أما المؤرخون والمحللون لحياة السادات وسنوات حكمه فقد وصفوها بأنها كانت أشبه بسلسلة من المفاجآت والألغاز التى يصعب فك طلاسمها.. ربما لأجيال قادمة سواء أكان هذا خلال سنوات نضاله قبل الثورة.. أم فى علاقاته برجالها.. أم فى العديد من القرارات التى اتخذها خلال سنوات حكمه والتى وصفها هو نفسه ـ فى كتابه البحث عن الذات ـ بأنها كانت "سياسة الصدمات الكهربائية".

والسادات كان يحلو له أن يُطلق عليه " بطل الحرب والسلام ".. وهو لقب استحقه بجدارة.. ففى صفته الأولى كبطل للحرب نجح فى أن يحقق ما عجز عن فعله الآخرون.. وفى شقه الثانى كبطل للسلام أعاد إلى مصر أرضها واكسبها احترام العالم الخارجى.. لكنه ـ وبمنتهى الموضوعية ـ هو نفسه الرجل الذى اغتال أجمل وأنبل نهضة مصرية حديثة أعقبت ثورة يوليو.. عندما أطلق مارد الإرهاب باسم الدين من قمقمه.. حَضَّرَ ذلك المارد ليحارب به التيار الناصرى الذى كان يناصبه العداء.. فلم يستطع بعدها أن يصرفه.. وشهدت مصر على يديه أكبر حركة مد إرهابى باسم الدين فى تاريخها كله.. حتى لقى هو نفسه حتفه على يديه.. فكيف يمكن لرجل ان يحقق كل هذا النصر والسلام والأمجاد لوطن يحكمه وفى نفس الوقت يطلق عليها وحش التطرف الدينى المظلم فيلتهم كل إنجازات الثورة التى كان هو أحد رموزها.. وصانعيها ويعيدها إلى الوراء كثيرًا..!!

ومن مفارقات القدر عند الحديث عن السادات واغتياله.. أن بداية شهرته على المستوى الثورى جاءت على خلفية اتهامه باغتيال "أمين عثمان" تلك الواقعة التى اختلطت فيها الأبعاد السياسية.. بخلفية دينية بحتة حيث ثبت من مذكرات بعض قيادات الإخوان المسلمين أن اغتيال أمين عثمان جاء بتحريض مباشر من الجناح السرى فى التنظيم.. تماماً كما كانت هنالك أبعاد سياسية ودينية معا لعملية اغتيال السادات نفسه.. والتى قامت بها الجماعة الإسلامية وأنهت بها حياته.. وهذه هى واحدة من المفارقات القدرية التراجيدية المدهشة التى تحفل بها حياة الرئيس السادات.. إذ جاء الاغتيال فى الحالتين على أساس الاتهام بخيانة الوطن والدين فى أذهان القائمين بتنفيذه.. فى الأولى كان فاعلاً.. وفى الثانية كان مفعولاً به..

وما بين هذا.. وذاك بقى السادات كما قلنا أحد ألغاز التاريخ المصرى الحديث العصى على الحل..

وهذا الكتاب هو إحدى تلك المحاولات لفك طلاسم هذه الشخصية الغنية بكل السمات الإنسانية.. والقيادية المثيرة.. لانزعم على الإطلاق أنها الأفضل.. ولكن نحاول أن تخرج كذلك بقدر الإمكان.. ونتبع أيضاً فى نفس الكتاب منهجنا الذى اعتدناه فى تراجمنا السابقة للعديد من شخصيات العالم القيادية.. وهو أن يكون الحدث هو محور السرد التاريخى.وأحياناً تسبق أهمية الحدث التسلسل الزمنى.. ونقفز بنفس الحدث مراحل تاريخية لنربطه بأحداث أخرى.. لنستشف من كل ذلك ملامح الشخصية الساداتية الحقيقية بشكل محايد.. حتى لا نحسب على أى من الفريقين.. المعادى له.. أو المؤمن به.. فكما قلنا هدفنا الأساسى من هذا الكتاب هو رسم "بورتريه" بريشة الكلمات.. عنوانه الصدق المنزه عن التوجهات الشخصية فيما يحتويه.. مدعماً بالحقائق التاريخية.. من خلال العلاقات الغامضة.. والتاريخ السرى.. للرجل الذى حار.. واحتار معه الجميع.

كما يجدر الإشارة إلى أننا حاولنا بقدر الإمكان أن نبتعد عن المعلومات الكثيرة المعروفة عن السادات حتى لا نكرر ما كتبه الآخرون إلا إذا دعت الحاجة لذلك.. وبنفس

المنهج حاولنا الاقتراب والتعرض لما لا يعرفه الكثيرون عن الرجل من تاريخه السرى.. حتى يتسق فى النهاية محتوى الكتاب.. ومضمونه.. مع العنوان الذى اخترناه له.. وهو " التاريخ السرى للسادات " ..

عصام عبد الفتاح

elbtrawy@yahoo.com

القاهرة - 2007

■■■



السـادات..

بورتريه بالكلمات.. والأرقام!!

■■

مجرد شـاب فقيـر..

إذا سارت.. الأمور وفقاً لمجرياتها الطبيعية كان من الطبيعي أن ينتهى الحال بالسادات كمزارع فى الأرض.. أو على أحسن الفروض موظف حكومى عادى من بين آلاف غيره.. ويمر قطار الحياة به.. ليتوقف عند محطاته الاعتيادية.. من زواج.. واطفال.. وحياة رتيبة تنتهى ليمضى ذكره بلا أى أثر..

لكن شاء القدر لهذا الشاب أن يتحول به قطار الحياة.. ليدخل به فى منعطف تاريخى مختلف.. ويسير به عبر محطات التميز.. قبل أن يستقر فى محطته الأخيرة زعيماً من أهم.. واشهر زعماء العالم فى القرن العشرين.

ومحطات التميز هنا ليست نوعاً من الأفضلية عما سواه من زعماء.. وقادة آخرين.. فهو أولاً.. وأخيراً إنسان قبل أن يكون قائداً.. والإنسان ليس ملاكاً.. فلكل أخطاؤه.. وحسناته.. وإنما التميز يأتى هنا بمنعنى الاختلاف عمن سواه من الحكام والقادة الآخرين.

السادات سجيناً.. وطريداً

بدأ السادات حياته السياسية بسلسلة من الأنشطة التى أودعته السجن لأكثر من مرة بين عامى ١٩٤١ و١٩٤٣.. وما بين التاريخين اتهم السادات بالتآمر والاتصال بدول المحور التى كانت فى حرب ضد انجلترا.. وحُكم عليه بالسجن واللافت ان دهاء

السادات السياسى والانسانى ظهر مبكراً عندما تمكن من الهروب من سجنه مع صديقه حسن عزت.. وعمل عتالاً على سيارة نقل تحت اسم مستعار هو "الحاج محمد" .. وبعد انتهاء الحرب العالمية وسقوط الأحكام العرفية عاد إلى بيته بعد ثلاث سنوات من المطاردة والتخفى.. وفي كل تلك الأحوال كان الوصف الأقرب له هو كونه «ثورجيًا».

الثــــورى

وبعد ان استطاع السادات الهروب من معتقله الأول.. بقى مطارداً لثلاث سنوات دون العثور عليه.. وانضم إلى أكثر من جماعة سرية فى مطلع شبابه للتخلص من الانجليز وأعوانهم.. ثم انضم بعد ذلك إلى تنظيم الضباط الأحرار.. وقبلها جماعة الإخوان المسلمين.

رجل بعيد النظر

اثبت السادات عبر تاريخه السياسى كله.. وبمختلف مراحله.. أنه يملك نظرة بالغة البعد.. إذ استطاع دائماً أن يستشرف المستقبل بحدسه وذكائه الحاد.. ورأى فى حينه بوادر انهيار الاتحاد السوفيتى قبل وقوع ذلك بربع قرن.. فبادر بطرد الخبراء الروس من مصر قبل حرب العبور .. كما استطاع ان يرى تصاعد قوة الولايات المتحدة إلى حد الهيمنة الأحادية على العالم وأدرك أنه يمكنه عن طريقها الحصول على أفضل المكاسب الممكنة بالنسبة له.. فراح يغازلها بدهاء الفلاح المصرى الأصيل وهو يطل عليها من شاشات التليفزيون الأمريكى بوجهه الأسمر اللامع.. وحديثه الساحر عن السلام وآخر الحروب.. ومعه زوجته فى صورة الليدى العصرية.. اللبقة.. المستنيرة.. فاستطاع أن يخلب لب رجال وسيدات الإعلام الامريكى.. كما دخل إلى قلوب العالم أجمع الذى يحترم المنتصر.. خاصة عندما يبدأ فى الحديث عن السلام بعد ان يكون قد أثبت شجاعته فى الحرب.

سمات قيادية.. وإنسانية نادرة

بفضل مواهب خاصة.. أصقلها ما مر به من تجارب ومهارات.. استطاع السادات ان يجمع فى شخصه.. القدرة على المغامرة والشجاعة ومباغتة الآخرين والتمثيل (لعب

بعض الأدوار التمثيلية فى شبابه قبل الثورة) إلى قدرته على سحر الآخرين بحديثه والتأثير عليهم واستمالتهم إلى جانبه.. وهو ما كان يبدو جليًا فى خطبه عندما أصبح رئيسًا.. ووضع كل ذلك فى تركيز شديد فى خدمة هدفه الذى لم يحول بصره عنه.. وهو استعادة سيناء من أكثر المستعمرين التصاقاً بالأرض ومكرا فى المفاوضة والمماطلة وهى إسرائيل.. وذلك عن طريق الاستحواذ على قلب أمريكا عن طريق التفنن فى مغازلتها ومراودتها بسحره الشخصى الخاص ولا شىء غيره وقد كان له ما أراد.

مناصب تولاها السادات قبل أن يصبح رئيساً

بعد وفاة جمال عبد الناصر ظهر الرئيس السادات على شاشه التليفزيون ليعلن للشعب المصرى وفاة الرئيس جمال عبد الناصر وأثناء فتره حكم الرئيس جمال عبد الناصر تولى السادات العديد من المناصب.. ففى عام ١٩٥٣ م أنشأ جريدة الجمهورية وتولى تحريرها وفى عام ١٩٥٥ تم إعلان قيام المؤتمر الإسلامى وتولى السادات منصب السكرتير العام له.. وفى عام ١٩٥٧ عين وزيرا للدولة ثم سكرتيرا عاما للاتحاد القومى.. وفى عام ١٩٦٤ أصبح نائبا للرئيس الجمهورية وكذلك فى أعوام ١٩٦٦ و١٩٦٩و١٩٧٠.. وفى عام ١٩٦٨ انتخب عضوا فى الهيئة التأسيسية العليا للاتحاد الاشتراكى العربى.

رقم (٦) كلمة السر فى حياة السادات

من المفارقات الغريبة فى حياة السادات رقم (٦).. فهو الرقم الأهم فى حياته.. وتاريخه.. ومشواره السياسى..

- فقد تخرج السادات فى الكلية الحربية فى ٦ فبراير عام ١٩٣٨.
- وفى ٦ يناير عام ١٩٤٦ اشترك فى اغتيال (امين عثمان).
- وفى ٦ يناير ١٩٥٠ عاد إلى الخدمة فى الجيش بعد ان طرد منه على اثر مصرع امين عثمان.
- وفى ٦ أكتوبر عام ١٩٧٣ قاد مصر.. والعرب لأعظم انتصاراتهم على الكيان الصهيونى فى حرب أكتوبر.

- وفى ٦ أكتوبر عام ١٩٨١ اغتيل بطريقة درامية يصعب على خيال أمهر مخرجى الأفلام البوليسية فى العالم تصورها.
- وفى ٦ مارس عام ١٩٨٢ صدرت الأحكام فى قضية اغتياله.

تواريخ أخرى مهمة فى حياة السادات

- شهدت قرية ميت أبو الكوم ميلاده فى ٢٥ ديسمبر ١٩١٨.
- ١٩٢٥ انتقل إلى القاهرة بعد عودة أبيه من السودان مع الجيش المصرى.
- ١٩٣٦ حصل على شهادة التوجيهية من مدرسة رقى المعارف.
- ١٩٣٨ تخرج من الكلية الحربية وتم تعيينه فى منقباد.
- ١٩٤١ اعتقل بيد الإنجليز ثم افرج عنه.
- ١٩٤٤ هرب من السجن وعمل سالقا وتخفى تحت اسم " الحاج محمد".
- اتهم بالاشتراك فى قضية مقتل" امين عثمان" وسجن لمدة عامين فى زنزانة ٥٤ ثم حكم عليه بالبراءة.
- ١٩٤٨ عمل بجريدة «المصور» ومن اشهر مقالاته (٣٠ شهر فى السجن) وكان يزيلها بتوقيع: بقلم اليوزباشى أنور السادات.
- ١٩٤٩ انفصل عن زوجته الأولى ثم بعدها تزوج من السيدة جيهان رؤوف صفوت.
- ١٩٥٢ اشترك مع الضباط الأحرار فى القيام بثورة ٢٣ يوليو وأذاع بصوته أول بيان رسمى للثورة.
- ١٩٦٠ انتخب أنور السادات رئيسا لمجلس الأمة.
- ١٩٦١ عين رئيسا لمجلس التضامن الافرو آسيوى.
- ١٩٦٧ اندلاع حرب الستة أيام فى ٥ يونيو وانتصار إسرائيل على مصر.
- ١٩٦٩ اختير النائب الأول للرئيس جمال عبد الناصر.
- ١٩٧٠ انتخب رئيسا للجمهورية بعد وفاة جمال عبد الناصر وقام بتصفية الحراسات الخاصة وأعاد لكل ذى حق حقه كمدخل لأمن الوطن والمواطنين.

- ١٩٧١ قام بثورة التصحيح للقضاء على مراكز القوى ولتصحيح مسار الثورة وتحقيق سيادة القانون وقام بإحباط محاولة انقلاب ضده.
- ١٩٧٢ قام بالاستغناء عن خدمات ١٧٠٠٠ خبير روسى فى أسبوع واحد لإعادة الثقة بالنفس لجيش مصر وإعداده لحرب التحرير.
- ١٩٧٣ قاد مصر إلى تحقيق أكبر نصر عسكرى فى العصر الحديث وعبر بها من الهزيمة إلى الانتصار فى حرب اكتوبر.
- ١٩٧٤ اتخذ قرار الانفتاح الاقتصادى انطلاقاً لتحقيق الرخاء لمصر.
- ١٩٧٥ قام بإلغاء المعاهدة المصرية السوفيتية تأكيدا لمبدأ حرية مصر وعدم انحيازها لأى حلف دولى.
- ١٩٧٥ إعادة افتتاح قناة السويس.
- ١٩٧٦ قام بإعلان قيام الأحزاب فى مصر.
- ١٩٧٧ قام بمبادرة السلام الشجاعة حقنا للدماء وزيارته للقدس الشهيرة.
- ١٩٧٨ قام بعقد اتفاقية (كامب ديفيد).
- ١٩٧٨ حصل على جائزة نوبل للسلام فى ديسمبر ١٩٧٨.
- ١٩٧٩ قام بعقد معاهدة السلام مع إسرائيل كمدخل مهم لتحقيق السلام الشامل لمصر والوطن العربى.
- ١٩٨٠ قام بإلغاء الأحكام العرفية تتويجا للعمل الديمقراطى وإرساء القواعد الديمقراطية التى اختارها كأفضل نظام للحكم.

■ ■ ■



1

نشـــأة الســـادات..
وطفــــولتــــه!!

■■



■■

لاشك أن فترة الطفولة فى حياة أى إنسان هى حجر الزاوية فى تشكيل سماته الشخصية.. والنفسية لذا لا يستطيع أى كاتب أو باحث منصف.. ومحايد أن يتجاهل - عند تعرضه لحياة أى شخصية تاريخية - ما تشكله تلك الفترة من وجهه النظر العلمية والاجتماعية لمعظم - إن لم يكن جميع - سمات الشخصية التى يحيا بها الإنسان.. وتستمر معه طوال حياته.

وفى كثير من الأحيان تبدو هذه الفترة غامضة كل الغموض فى حياة الكثيرين.. خاصةً الشخصيات التاريخية.. ويحتاج إزالة ما بها من غموض إلى الكثير من الجهد التحليلى لمحاولة فك رموز تلك الشخصيات.. والتعرف على سماتها الطفولية.

فماذا عن طفولة.. ونشأة السادات؟

الميلاد.. والنشأة

ولد محمد أنور السادات فى ٢٥ ديسمبر ١٩١٨.. لأسرة فقيرة تعيش فى قرية ميت أبو الكوم[١] .. محافظة المنوفية.. فى أسره مكونه من ١٣ أخًا وأختًا.. كانت أمه سودانية الأصل تدعى (ست البرين).. تعرف عليها والده المعروف عنه كثرة زواجه -

(١) قرية ميت ابو الكوم هى قرية تابعة لمدينة تلا بمحافظة المنوفية.. يعرفها العالم أجمع اليوم لكونها القرية التى شهدت ميلاد السادات وتتميز بانها قرية بسيطة تحيطها الأراضى الزراعية من كل جانب.. ويوجد اليوم فى مدخل البلد تمثال للرئيس محمد أنور السادات.. ومازالت استراحته الشهيرة قائمة حتى اليوم هناك.

تزوج ثلاث مرات - عندما كان يعمل كاتباً فى المستشفى العسكرى الخاص بالجيش المصرى فى السودان.. وفى عام ١٩٢٥ عاد والد السادات مصطحباً زوجته السودانية من السودان فى أعقاب مقتل السردار الانجيلزى فى السودان" سيرلى ستاك" حيث كان من تداعيات هذا الحادث أن فرضت بريطانيا على مصر عوده الجيش المصرى من السودان وعاد معه والد السادات.

التحق السادات بكتاب القرية عندما كان فى السادسة من عمره.. وحفظ القرآن الكريم كاملاً وهو مازال صبياً.. وحفرت حياة الريف المصرى طابعها الخاص فى وجدانه منذ طفولته المبكرة .ومن هنا جاء ارتباطه الشديد بالأرض.. ليكون أهم مفاتيح شخصيته الحقيقية.. وذلك بعد أن عاش كصبى حياة المزارعين الشاقة.. والتى تعتمد على الصبر.. والتروى.

ومن هنا أيضًا استمد السادات أكثر سماته الشخصية بروزاً.. حيث تعلم معنى الهدوء.. والتأمل.. والتروى.. وهى صفات قلما يتميز بها أطفال المدن..

كما استمد ميزته الأهم.. والأكبر وهى الدهاء الشديد فى تعامله مع الآخرين.. هذا على المستوى الإنسانى.

السادات وجدته

كانت جدته ووالدته هما اللتان فتنتاه وسيطرتا عليه منذ أن تفتح وعيه فى سنوات طفولته المبكرة.. وهما السبب الرئيسى فى تكوين شخصيته.. فقد كان السادات يفخر بأن يكون بصحبة جدته الموقرة.. تلك الجدة التى كان الرجال يقفون لتحيتها حينما تكون مارة رغم أميتها.. إلا إنها كانت تملك حكمة وشخصية مؤثرة تمامًا فى الآخرين.. حتى أن الأسر التى كانت لديها مشاكل كانت تذهب إليها لتأخذ بنصيحتها علاوة على مهارتها فى تقديم الوصفات الدوائية للمرضى.

وذكر السادات أن جدته ووالدته كانتا تحكيان له قصصًا غير عادية قبل النوم.. لم تكن قصصًا تقليدية عن مآثر الحروب القديمة والمغامرات كشأن باقى الأمهات.. والجيران مع أطفالهن.. بل كانت عن الأبطال المعاصرين ونضالهم من أجل الاستقلال

الوطنى.. مثل قصة دس السم لمصطفى كامل بواسطة البريطانيين الذين أرادوا وضع نهاية للصراع ضد احتلالهم لمصر.. لم يكن فى هذا التوقيت كطفل يعرف من هو مصطفى كامل.. لكنه تعلم من خلال التكرار أن البريطانيين أشرار ويسممون الناس.. ولكن كانت هناك قصة شعبية أثرت فيه بعمق وهى قصة (زهران) الذى لقب ببطل دنشواى التى تبعد عن ميت أبو الكوم بثلاثة أميال فقط..

وتتلخص أحداثها فى أن الجنود البريطانيين كانوا يصطادون الحمام فى دنشواى.. وأشعلت رصاصة طائشة الحريق فى أحد أجران القمح.. فاجتمع الفلاحون ليطفئوا الحريق.. لكن أحد الجنود البريطانيين أطلق عليهم النار وهرب.. وفى معركة تالية قتل الجندى.. وحينئذ تم القبض على العديد من الناس وشكل مجلس عسكرى بالساحة.. وعلى وجه السرعة نصبت المشانق.. كما تم جلد بعض الفلاحين وكان زهران هو أول من شنق.. وكان من فرط شجاعته مشى إلى المشنقة برأس مرفوعة بعد أن قرر قتل أحد المعتدين فى طريقه.

السادات وأسرته فى القاهرة

وانتهت جنة القرية بالنسبة للسادات مع انتقال الأسرة المكونة من الأب وزوجاته الثلاث وأطفالهن إلى منزل صغير بكوبرى القبة بالقاهرة عام ١٩٢٥ وكان عمره وقتها حوالى ست سنوات.. ولم تكن حياته فى هذا المنزل الصغير مريحة حيث إن دخل الأب كان صغيرًا للغاية.. وظل السادات يعانى من الفقر والحياة الصعبة.وهو ينتقل عبر مراحله الدراسية من مدرسة.. إلى أخرى.. فمن مدرسة الأقباط فى طوخ.. إلى مدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية.. السلطان حسين، مدرسة فوائد الأول.. رقى المعارف بشبرا.. إلى أن استطاع إنهاء دراسته الثانوية عام ١٩٣٦.. وفى نفس السنة كان النحاس باشا قد أبرم مع بريطانيا معاهدة ١٩٣٦.. وبمقتضى هذه المعاهدة سمح للجيش المصرى بالاتساع بمعنى زيادة أعداد الجنود والضباط المصريين به.. وهكذا أصبح فى الإمكان أن يلتحق بالكلية الحربية حيث كان الالتحاق بها قاصرا على أبناء الطبقة العليا.. وبالفعل تم التحاقه عام ١٩٣٧ بالمدرسة الحربية.. وهنا بدأت ملامح التشكيل السياسى.. والوطنى

تتكامل لتخرج الصورة الأبقى.. والأهم للسادات.. وهى الملامح الوطنية الممتزجة بالثورية.. والتمرد على كل شىء باسم الوطنية.. أما كيف التحق السادات ذلك الشاب الصغير.. ابن الأسرة الفقيرة بالمدرسة الحربية.. فلذلك قصة نتوقف عندها قليلاً لأهميتها فى تشكيل رؤية السادات الطبقية.. وحياته كلها فيما بعد.

التحق السادات بالمدرسة الحربية بواسطة خاصة من "إبراهيم باشا عبد الهادى"[٢] رئيس وزراء مصر السابق.. حيث كان والد السادات يعرف أحد صولات الحراسة الخاصة بالباشا.. فرتب هذا الصول لقاء بين الوالد والباشا ومعهم الطالب محمد أنور السادات.. وجاء الباشا بكل عنجهية وغطرسة وتحدث مع والد السادات بكل كبرياء وهو يسير نحو الباب والأب يسير وراءه مثل الخدم.. ولذا كان هذا الموقف على وجه التحديد من المواقف التى لم تبرح وجدان السادات أبداً وقال فى كتابه " البحث عن الذات " فيما بعد أن هذا الموقف لن ينساه أبداً وعلى كل حال انتهى الأمر بقبول السادات فى المدرسة الحربية.



السادات ضابطاً بالجيش

تخرج السادات فى المدرسة الحربية عام ١٩٣٨ برتبة الملازم.. وكان عمره وقتها عشرين عاماً .. وعين فى منطقة المكس بالإسكندرية.. ثم انتقل الى منقباد.. وهناك التقى لأول مرة بجمال عبد الناصر.. وفى أوائل ١٩٣٩ اختارته القيادة

(٢) كان ابراهيم عبد الهادى باشا فى هذا التوقيت من كبار رجال الدولة.. ورأس بعد ذلك وزارة الموارد المالية فى الفترة من ٣١ يوليو ١٩٤١ وحتى ٤ فبراير ١٩٤٢.. وذلك قبل أن يتولى رئاسة الوزارة عام ١٩٤٩ وفى عهده قتل الإمام حسن البنا.

للحصول على فرقة إشارة بمدرسة الإشارة بالمعادى هو ومجموعة أخرى كان منهم جمال عبد الناصر.. وفى البداية كان السادات يتمنى الالتحاق بسلاح الإشارة لكن لم يكن عنده أمل فى العمل فى هذا السلاح الذى انشىء حد يثا فى الجيش وكان من أهم أسلحة الجيش فى ذلك الوقت.. ولابد لوجود واسطة كبيرة لدخوله لكن لعب القدر لعبته مع السادات واختاروه للانضمام لفرقة تدريبية تمهيدًا لضمه لهذا السلاح .. وفى نهاية الفرقة كان عليه إلقاء كلمة نيابة عن زملائه قام هو بإعدادها.. وكانت كلمة هادفة ذات معنى علاوة على بلاغته وقدرته فى إلقائها دون الاستعانة كثيرا بالورق المكتوب.. وذلك ما لفت نظر الأميرالاى إسكندر فهمى أبو السعد.. وبعدها مباشرة تم نقله للعمل بسلاح الإشارة.. وكانت تلك النقلة هى الفرصة التى كان السادات ينتظرها لتتسع دائرة نشاطه من خلال سهولة اتصاله بكل أسلحة الجيش.. كانت الاتصالات فى أول الأمر قاصرة على زملاء السلاح والسن المقربين.. ولكن سرعان ما اتسعت دائرة الاتصالات بعد انتصارات "الألمان" وهزائم الإنجليز.

قصة زواجه الأول:

فى هذه الفترة تزوج السادات زواجه الأول الذى كان زواجا تقليديا حيث تقدم للسيدة إقبال عفيفى التى تنتمى إلى أصول تركية.. وكانت تربطها قرابة بالخديوى عباس.. كما كانت أسرتها تمتلك بعض الأراضى بقرية ميت أبو الكوم.. وهذا ما جعل عائلة إقبال تعارض زواج أنور السادات لها.. لكنه بعد أن أتم السادات دراسته بالمدرسة الحربية تغير الحال وتم الزواج واستمر لمدة عشر سنوات.. وأنجب خلالها ثلاثة بنات هن: رقية.. وراوية.. وكاميليا.

السادات قبل الثورة

على المستوى العملى.. لم تكن حياة السادات قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ حياة هادئة.. أو طبيعية.. بل يمكننا القول بأن كل إرهاصات هذه الفترة كانت تنبئ بأن هذا الرجل سوف يكون له شأن مختلف عن باقى أقرانه ممن هم فى مثل وضعه الأسرى.. والوظيفى.. فلم يكن تخرجه فى الكلية الحربية وعمله كضابط بالجيش هو هدفه الأوحد.. أو ما يحقق له كل طموحاته.. بل كان هدفه أكبر من ذلك بكثير.. هدف يمتد

من الخاص.. إلى العام.. بمعنى أنه كان يحلم بتحرير وطنه.. وتحرير الأرض.. التى ارتبط.. والتصق بها وجدانياً بشكل كبير.

ضد الإنجليز

شغل الاحتلال البريطانى لمصر بال السادات.. كما شعر بالنفور من أن مصر محكومة بواسطة عائلة مالكة ليست مصرية.. كذلك كان يشعر بالخزى والعار من أن الساسة المصريين يساعدون فى ترسيخ شرعية الاحتلال البريطانى.. فتمنى أن يبنى تنظيمات ثورية بالجيش تقوم بطرد الاحتلال البريطانى من مصر.. فقام بعقد اجتماعات مع الضباط فى حجرته الخاصة بوحدته العسكرية بمنقباد وذلك عام ١٩٣٨.. وكان تركيزه فى أحاديثه على البعثة العسكرية البريطانية ومالها من سلطات مطلقة وأيضا على كبار ضباط الجيش من المصريين وانسياقهم الأعمى إلى ما يأمر به الإنجليز.. كما شهدت هذه الحجرة أول لقاء بين السادات وكل من جمال عبد الناصر.. وخالد محيى الدين.. ورغم إعجاب السادات بغاندى إلا أنه لم يكن مثله الأعلى بل كان المحارب السياسى التركى مصطفى كمال أتاتورك.. حيث شعر السادات بأن القوة وحدها هى التى يمكن من خلالها إخراج البريطانيين من مصر وتغيير النظام الفاسد والتعامل مع الساسة الفاسدة.. كما فعل أتاتورك فى اقتلاع الحكام السابقين لتركيا.. فانطلق بكل قوته ليعمل ضد الاحتلال الإنجليزى.. إلى درجة أنه أُتهم بالانحياز للجانب الألمانى فى فترة الحرب العالمية الثانية « ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ م ».. وكان الإنجليز يتابعون نشاطه الوطنى.. والثورى.. ويرصدون باستمرار كل تحركاته.. لعلمهم بمدى كراهيته الشديدة لهم.. ونشاطه المستمر ضدهم.. لكن كيف سارت الأمور وقتها.. وما هى بداية رصد الإنجليز لتحركات ذلك الضابط الوطنى الشاب.

عدوى.. عدو صديقى

البداية جاءت عندما كان الألمان يتقدمون فى الصحراء الغربية بقيادة المارشال "روميل" كان هناك فصيل من العسكريين المصريين يرون انتصار الألمان على الإنجليز وشيكا.. ولهذا فتح هؤلاء قنوات اتصال مع الألمان.. وفوجئ أنور السادات

بأحد الضباط كان يدعى "حسن عزت" يعرض عليه الانضمام لمجموعة سرية تضم بعض ضباط الطيران تربطهم علاقة خاصة بالألمان وذلك بدافع وطنى.. وهو تكثيف العمل ضد الاحتلال البريطانى فى مصر.. وكان شعارهم "عدو صديقى.. هو عدوى"..
وافق السادات على العرض.. وكلف بتسهيل مهمة اثنين من الجواسيس الألمان أثناء عملهما فى مصر وهما "هانز أبلر".. "ساندى" كان مكلفين من قبل القائد الألمانى روميل بمهمة التجسس على القوات البريطانية لإتقانهما اللغة العربية.. وأمدهما ببعض المال وبجهاز اتصال لاسلكى حديث.

القبض على السادات

لكن بائعة هوى يهودية كانت على علاقة بـ "أبلر" أبلغت عنه السلطات.. هو والجاسوس الألمانى الآخر .. وتمت مداهمة العوامة التى يعيشان بها على النيل .. وتصادف وجود أنور السادات بصحبتهما هناك.. وكان ـ بحسب أقواله فى ملف القضية ـ قد ذهب لإصلاح جهاز اللاسلكى الذى كان بحوزتهما بعد تعطله فتم القبض عليه معهما وسرعان ما تكشفت علاقة السادات بهما.

وحول هذه الواقعة يقول " جمال حماد " [٢]:

إن السادات قام بالفعل بالاتصال بالجواسيس الألمان.. أحدهما اسمه " إبلر ".. والثانى اسمه " ساندى " وكانا قد تسللا إلى مصر عن طريق الواحات.. ثم إلى أسيوط.. بعدها توجهوا شمالاً إلى القاهرة.. حيث استأجرا عوامة على النيل بالقرب من إمبابة ـ بمنطقة الكيت كات ـ من الراقصة حكمت فهمى.. وكان دور الجواسيس الألمان فى القاهرة هو معرفة كل الأنباء عن الجيش الثامن البريطانى.. وكان الاثنان بحوزتهما مبلغ كبير جداً من الجنيهات الاسترلينية المزيفة تمت طباعتها فى اليونان.. وكانا يصرفان ببذخ شديد مما لفت أنظار البعض.. ومن بينهم إحدى

(٢) هو اللواء الركن السابق فى الجيش المصرى " جمال حماد " أحد الضباط الأحرار. والكاتب الصحفى.. ومؤرخ ثورة يوليو الأول. وقد وضع حماد بعد قرابة " نصف القرن " كتاباً مهمًا حوى العديد من أسرار ثورة يوليو.. وخفاياها.. ومما يروى عنه أنه ترك زوجته ليلة قيام الثورة فى حالة مخاض شديد.. وذهب ليؤدى دوره المنوط به تلك الليلة.. وينضم إلى باقى زملائه من رجال الثورة.

الراقصات كانت تعمل فى الكازينو الذى كانا يسهران به فابلغت المخابرات البريطانية عنهما.. وتم القبض عليهما واعترفا بعلاقتهما بأنور السادات.

ولم يكن السادات وحده المتورط معهما.. إنما كان هناك شخص ثان اسمه " حسن عزت ".. وعندما أنكر السادات.. وعزت علاقتهما بالجاسوسين.. تم عمل طابور عرض خاص.. وأتوا بأشخاص آخرين ضمن طابور العرض .. واستطاع الجاسوسان التعرف عليهما أكثر من مرة.

محاكمة السادات.. وطرده من الجيش

وأوعز الإنجليز إلى قيادة الجيش بمحاكمة السادات عسكرياً..

فحوكم فى أكتوبر ١٩٤٢ وطرد من الجيش.. واعتقل فى أحد السجون بمحافظة المنيا.. فكانت تلك الفترة بالنسبة له فترة ذهبية أعاد فيها ترتيب أوراقه.. وتجميع أفكاره وأهدافه من جديد.. وعندما أقيلت وزارة النحاس باشا لم يستطع احمد ماهر باشا رئيس الوزراء الذى تلاه الإفراج عن السادات مثلما تم الإفراج عن باقى المعتقلين.. وهذا يؤكد أنه كان معتقلاً بأمر من الإنجليز.. لكنه بذكائه الخارق الذى يشهد به الجميع وضع خطة للهروب ونفذ هذه الخطة بنجاح فى نوفمبر ١٩٤٤.. واستطاع الفرار من معتقله إلى أن تمكن من الهرب والاختفاء عن العيون لفترة كبيرة.. وعمل فى العديد من المهن الشاقة.. والبسيطة.. مثل عمله كتباع على عربة نقل.. واشتراكه فى تكسير الأحجار بالجبال.. وتباعا ينقل الأحجار من المراكب النيلية لاستخدامها فى الرصف وفى عام ١٩٤٥ انتقل إلى بلده أبو كبير فى الشرقية حيث اشترك فى أعمال شق الترع وغيرها.. وكان يتخذ لنفسه فى كل بلدة ينزلها صفة وشكلاً مختلفاً.. وربما ساعده على النجاح هوايته القديمة للتمثيل.. فقد بلغ به الأمر ذات يوم أن أرسل للفنانة "عزيزة أمير" رسالة يقول فيها: "قوامى نحيل.. وجسمى ممشوق وتقاطيعى متناسقة..إننى لست أبيض اللون ولكنى أيضا لست أسود.. إن وجهى أسمر ولكنها سمرة مشربة بحمرة" [٤] .. وظل معروفاً فى مجالسه الخاصة بهذه الطرفة.. وكثيرا ما

(٤) مجلة فصول ١ مايو ١٩٣٥

كان يطلب منه أصدقاؤه أن يقلد لهم صوت قادة الجيش.. ومشاهير الممثلين.. وبعد ذلك عندما رفعت الأحكام العرفية عن مصر أصبح من حقه الظهور.

وبسبب هذه القضية التقى السادات مرات عديدة مع عزيز باشا المصرى.. وطلب منه السادات أن يساعده فى الهروب إلى العراق.. وكان عزيز المصرى معروفاً بميوله للنازية الألمانية.. وكانت الحرب العالمية فى ذروتها آنذاك وتعلق السادات بأمل انتصار الألمان إذ رأى فى ذلك تعزيزاً للخلاص من الاحتلال الإنجليزى لمصر.

واستمر السادات على هذا الحال.. هارباً.. مطارداً.. يبحث عن ذاته - بحسب تعبيره هو الشخصى الذى أوحى له بعنوان كتابه البحث عن الذات - فبعد أن تورط السادات فى قضية اتصاله بالألمان.. جاءته محنة أخرى تشكل واحداً من أهم منعطفات حياة السادات.. وهى قضية أمين عثمان.

السادات.. واغتيال أمين عثمان!!

كان أمين عثمان باشا وزير المالية فى حكومة الوفد.. ورئيس جمعية الصداقة المصرية البريطانية معروفاً بتعاطفه الشديد مع الانجليز.. وبشكل عام كان رجلاً ذا سلوك استفزازى للجميع.. وهو صاحب القول المأثور «إن تحالفنا مع بريطانيا كزواج كاثوليكى».. والذى قاله أمين عثمان فى حفلة خريجى كلية فيكتوريا بالإسكندرية.. حيث قال بالنص فى خطبته:

" ينبغى أن يكون عقد زواج بريطانيا البروستانتينية والدولة المصرية المسلمة على طريقة الزواج الكاثوليكى الذى لاطلاق فيه."

لهذا .. ولغيره .. أقدمت جمعية سرية .. تزعّمها محمد أنور السادات .. على اغتياله.. وتم ذلك أمام فندق الكونتيننتال بميدان الأوبرا بالقاهرة.. عندما ترجل أمين عثمان نازلاً من سيارته أمام الفندق.

وكان ترتيب السادات السابع فى القائمة الخاصة بالمتهمين فى قضية الاغتيال.. ولكن حُكم له بالبراءة فى ٢٤ يوليو ١٩٤٨.




تم القبض على السادات هو و٢٧ شابًا آخرين من أعضاء الجماعات السرية فى مصر فى ذلك الحين.. وتمت محاكمته.. وأدين.. وفصل من الجيش.. وقيل إنه فى فترة فصل السادات من الجيش كانت جماعة الإخوان المسلمين تفرض له راتباً شهرياً.

وظل القضاء ينظر قضية أمين عثمان سنة وسبعة أشهر ونظرت القضية على مدار ٨٤ جلسة.. وبلغ عدد صفحات التحقيق فيها ١٥٨٠ صفحة.

وفى عام ١٩٤٨ نشرت مجلة «المصور» حلقة من مذكرات اليوزباشى أنور السادات فى السجن الذى قضى فيه ٩١٣ يوما تحت عنوان " ٣٠ شهرا فى السجن".. وقالت «المصور» وهى تقدم مذكرات أنور السادات إنه أحد المتهمين فى قضية الاغتيالات السياسية.. وحكم ببراءته.. وهو أقوى المتهمين شخصية وأكبرهم عمراً.. وأكثرهم ثقافة وتجربة.

وقد اتهم السادات فى حادثة الاغتيال بأنه كان متورطا بشكل عملى.. وأساسى فى هذه العملية.

أوراق القضية:

ومن واقع إحدى وثائق ملف القضية ننظر ما قدمه الدفاع عن المتهمين من خلفية للوضع السياسى فى ذلك الوقت رغبة فى تخفيف الحكم.

فقد قدم الدفاع عن المتهمين وعددهم ٢٦ متهما.. كان السادات هو المتهم السابع بينهم.. عددا من الوقائع التى نشرت فى ذلك الوقت مصورة أمين عثمان على انه رجل بريطانيا فى مصر.. وأحد المسئولين عن حادثة ٤ فبراير الشهيرة التى تدخل فيها الانجليز تدخلا سافرا.. وفرضوا على الملك فاروق تعيين مصطفى النحاس رئيساً للوزراء فى صراع بين الانجليز والقصر كانت خلفيته اقتراب جيش ألمانيا بقيادة ثعلب الصحراء " روميل " من مدينة الإسكندرية قبل ان يهزم على يد القائد الانجليزى " مونتجمرى " فى معركة العلمين الشهيرة... وشعر المصريون كلهم بإهانة شديدة لتدخل الانجليز بهذا الشكل.. واعتبروا أن أمين عثمان صديقهم الشهير فى مصر مسئولا عن هذا ولذلك كانت الخطة هى اغتياله ثم حاولوا فى موكب جنازته اغتيال مصطفى النحاس نفسه.. وقد نجحوا فى اغتيال أمين عثمان ولكن قبض عليهم بعد عملية الاغتيال مباشرة.

عباس العقاد يدق أول مسمار فى نعش أمين عثمان

كما أشارت مذكرة الدفاع لأجزاء من مقال كان قد كتبه الكاتب الكبير " عباس محمود العقاد " منددأ فيه بسياسة أمين عثمان.. ونشرته جريدة الكتلة فى ٢٦ نوفمبر ١٩٤٥ يقول العقاد فى مقاله:

"فى كل ما كتب عن مأساة فبراير ١٩٤٢ كانت هنالك حلقة مفقودة يعرفها الناس.. لأن "الزعيم الجليل"[٥] هو أول من شهر أمرها وأشاد بفضلها فى المحافل العامة والخطب المنشورة وهذه الحلقة المفقودة هى "أمين عثمان"..لقد كان أمين عثمان حلقة مفقودة

---

(٥) قصد الزعيم مصطفى النحاس

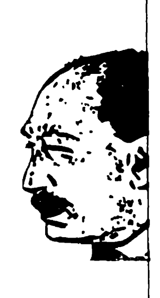
بين التقاليد المصرية والتقاليد الانجليزية ومن الخير ان تظل هذه الحلقة مفقودة على الدوام لأن أمثال هذه الحلقات تتقطع عندها الوشائج الطيبة دائماً.. ولا يرجى بها اتصال يستراح إليه.هزل الزمان الذى يذكر فيه أمين عثمان.. وطاب الزمان الذى يغمر فيه النسيان أمثال هذا الإنسان."

وعلق الدفاع على ذلك قائلاً: إذا كان هذا هو موقف مفكر مصرى كبير كالأستاذ العقاد فما بالك بالشباب المصرى المتحمس.. أليس من المنطق أن نجد لهم عذرا إذا ظنوا أن التخلص من أمين عثمان هو واجب وطنى؟!

عودته للجيش

استقر السادات خلال فترة بعده عن الجيش.. وبعد أن تنقل فى العديد من المهن المشار إليها سابقاً فى العمل بمجال المقاولات مع صديقه " حسن عزت ".. لكن اختلف السادات معه لعدم تقديره إياه بالشكل الذى يرضيه مادياً .. فى الوقت الذى كان فيه السادات يعيد حساباته.. ويشعر بتأنيب الضمير.. وعدم الرضا عن النفس بعد أن تحول من ضابط بالجيش ومناضل لتحرير بلده من الاحتلال إلى مجرد مقاول يبحث عن الثراء والمال.. وكان هذا الموقف هو الذى دفعه للتفكير فى كيفية العودة إلى عمله كضابط بالجيش المصرى.. لكى يساعده ذلك فى تحقيق حلمه فى تحرير مصر من الاستعمار.. وبالفعل هداه تفكيره إلى الاتصال بالدكتور يوسف رشاد الذى كان صديقا له أثناء خدمته بالجيش وكان يعمل وقت ذلك بالقصر الملكى ليساعده فى العودة إلى الجيش.. خاصةً بعد براءته من تهمة قتل أمين عثمان.. وبالفعل نجحت مساعى " يوسف رشاد " لدى الملك.. وعاد السادات إلى الجيش برتبة يوزباشى فى ١٥ يناير١٩٥٠ عن طريق حيدر باشا.

■ ■ ■



2

السادات.. وقصة تنظيم الضبــــاط الأحـــرار!

■■



■■

كان السادات قد أصبح من أشهر ضباط الجيش على مستوى جميع وحداته.. الجميع يعرفونه.. ويعرفون حكايته.. بعد أن تصدرت صوره.. وأنباء محاكمته فى قضية أمين عثمان كل الجرائد.. والمجلات آنذاك.. لذلك بعد عودة السادات لعمله بالجيش.. بادر جمال عبد الناصر بالذهاب إليه.. وتهنئته بعودته للعمل. بل وبدأ يساعده فى اجتياز فرق تدريبية خاصة لكى يحصل على ترقيات سريعة يعوض بها ما فاته.. ويلحق بزملائه الذين سبقوه.. وبعد أن اطمأن جمال عبد الناصر إلى أن السلطات رفعت أيديها عن السادات فاتحه فى شأن انضمامه للضباط الأحرار.. بل وعندما انضم السادات بالفعل للتنظيم بدأ يتعامل معه باعتباره واحدًا من قيادات التنظيم.. فأعطاه خريطة بأسماء وتوزيع الضباط الأحرار فى مختلف وحدات الجيش..

وبانضمام السادات إلى تنظيم الضباط الأحرار بدأت الصفحة الأهم فى تاريخه.. ومسيرة حياته.. لكن ما هى حكاية نشأة ذلك التنظيم.. ومن هم مؤسسوه الحقيقيين؟.. الحقيقة نحاول أن نصل إليها عبر شهادات أعضاء التنظيم أنفسهم.. ومن بين عشرات الدراسات التى تناولت التنظيم.. نتوقف عند أهم الباحثين الذين تصدوا للتأريخ للحركة.. ودراسة كافة جوانبها على مدار ٢٠ عاماً متصلة.. وهو ما قام به الباحث بالمعهد الفرنسى للدراسات القانونية والاجتماعية والاقتصادية (السيداج) وأستاذ العلوم السياسية والتاريخ فى باريس.. ويدعى "توفيق إكليمندوس" تفرغ[٦]

(٦) يدل الاسم على أن للباحث جذورًا عربية وإن لم يُذكر ذلك صراحة فيما كُتب عنه.

خلالها تماماً للغوص فى شهادات جيل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م وقابل عبر لقاءات عديدة الكثير مع ضباط الصفين الأول والثانى فى التنظيم.. وضمّن كل ذلك فى دراسته المطولة والمعنونة بـ"النشاط السياسى فى الجيش المصرى من ١٩٣٦م إلى ١٩٥٤م".

وفى دراسته نفاجأ بأن تعدد روايات ضباط الحركة حول نشأة تنظيم الضباط الأحرار تصل بنا لحد التناقض بين أقوال بعضهم البعض.

السادات يتحدث عن نشأة الضباط الأحرار

بحسب الباحث فإن السادات تحدث عن تنظيم قام بمعرفته عام ١٩٣٩م شاركه فيه عبد المنعم عبد الرؤوف وعبد اللطيف بغدادى ووجيه أباظة وحسن إبراهيم وأحمد سعودى وحسن عزت بالإضافة إلى خالد محيى الدين.. ويؤكد أنه كان الخلية الأولى لإنشاء تنظيم الضباط الأحرار فيما بعد.. بينما يتحدث عبد اللطيف البغدادى أيضًا عن نفس هذه الأسماء التى وردت فى تنظيم السادات.. مؤكداً أنها شكلت فى مجملها اللجنة التنفيذية للتنظيم الذى قام سنة ١٩٤٠م بمعرفته.. وأن حسن عزت هو الذى اقترح اسم الملازم أنور السادات لينضم إليهم.

ولكن البغدادى أوضح أن أهداف تنظيمه تمثلت فى العمل على إعاقة انسحاب الإنجليز بالاتصال بالألمان وإرسال خرائط الحاميات العسكرية الإنجليزية إليهم".. وفى مذكراته يقول البغدادى معترفًا بقصور الفهم وغياب الرؤية الصحيحة للواقع من جانبهم:

"ربما يكون هذا التفكير منا فيه سذاجة.. ولكن لا ينسى القارئ قلة خبرتنا بالسياسة فى ذلك الحين.. ولم يكن عمر أحدنا قد تعدى ٢٢ عامًا.. كما لا ينسى أيضًا أن الدافع لهذا التحرك منا كان الحماس الوطنى مع اندفاع الشباب.. وكذا لم تكن صورة ألمانيا الهتلرية على حقيقتها واضحة لنا".

ويعترف البغدادى بأن هذا التنظيم ليس هو تنظيم الضباط الأحرار.. وفى مذكراته يقرر أن تنظيم الضباط الأحرار سُمّى بهذا الاسم فى نهاية عام ١٩٤٩م.

شهادة خالد محيى الدين

ويقرر خالد محيى الدين أن إنشاء تنظيم الضباط الأحرار كان فى نهاية سنة ١٩٤٨م.. ويقول إن نسبة كبيرة من أعضائه أصلاً من الإخوان المسلمين بالإضافة إلى جماعة عزيز المصرى.. والشيوعيين والوفد إلى جانب عناصر جديدة.. وتكونت لجنته التأسيسية عام ١٩٤٩م.

فى حين نجد أن محمد حسنين هيكل وهو الكاتب الأكثر التصاقاً بعبد الناصر أهم ضباط ذلك التنظيم يتحدث عن تنظيم الضباط الأحرار.. معتبرًا بدايته كانت عام ١٩٤٩م.. ويغفل تماماً أى فترة سابقة على هذا التاريخ.

والحقيقة!

القائلون بأن تنظيم الضباط الأحرار بدأ وأخذ هذا الاسم فى نهاية عام ١٩٤٨م.. وتكونت لجنته التأسيسية عام ١٩٤٩م يفقدون جزءاً كبيراً من مصداقيتهم.. فهناك وثيقة تاريخية مؤكدة تنفى ذلك.. وهى العريضة التى أرسلت إلى القصر فى ديسمبر سنة ١٩٤١م باسم "الجنود الأحرار" تطالب بمنع ما يتعارض مع الإسلام وإلغاء معاهدة سنة ١٩٣٦م ومنح الجندى الحق فى الامتناع عن أى عمل يناقض الشرع.. ووزعت منشورات داخل وحدات الجيش بمضمون هذه العريضة التى وقعت باسم "الجنود الأحرار"

وهذا ما أكدته تقارير الأمن العام والبوليس المخصوص فى ٧ ديسمبر سنة ١٩٤١م..

وهذا يقودنا إلى تأكيد دقة ومصداقية رواية عبد المنعم عبد الرؤوف حول نشأة التنظيم ومصدر تسميته بهذا الاسم:

يذكر عبد المنعم عبد الرؤوف الذى انضم عبد الناصر وخالد محيى الدين وحسين حمودة وغيرهم إلى التنظيم عن طريقه «فى مذكراته أن اسم الضباط الأحرار كان من اقتراح الصاغ محمود لبيب.. وأطلق على تنظيم الإخوان بالجيش.. ووُقِّعت به المنشورات التى كانت تصدر عن التنظيم».

ويؤكد اللواء صلاح شادى هذه الرواية بقوله:

"وفى سنة ١٩٤٤م.. وبعد ان اسنَدَ إلى المرشد العمل بقسم الوحدات جمعنى والصاغ محمود لبيب والسندى وحسين كمال الدين لتنسيق العمل كلٌ فى اختصاصه.. وأدركت حينذاك استقلال الصاغ محمود لبيب فى العمل بقسم الضباط.. وكان هذا اللقاء أول مجالات الصلة بينى وبينه.. وأدركت منه مجال نشاطه.. فحدثنى عن المنشورات التى تُكتب لإيقاظ الضباط وتعريفهم بواجبهم حيال مصر والإنجليز.. وكيف انها لاقت رواجًا فى صفوف الجيش على وجه العموم.. وكانت هذه المنشورات تطبع بمعرفة الإخوان.. ويوزع بعضها قسم الوحدات ويوقع بعضها باسم الضباط الأحرار.. وبعضها باسم الجنود الأحرار.. وكان قسم الوحدات يشارك فى توزيعها".

يتضح من ذلك أنه لم تكن هناك حركة لها نبض حقيقى فى الجيش سوى حركة الإخوان المسلمين.. ولم يكن هناك تنظيمات.. اللهم إلا التجمع الهلامى من بعض ضباط الطيران الذى لم يصل إلى المستوى الذى يستحق أن يطلق عليه اسم التنظيم.. وفى نفس الوقت كان مضطربَ الأهداف - إذا أحسنا الظن- لا ينبع سلوكه من فهم أصيل لمعنى التحرر الوطنى الحقيقى.. وإنما رأيناه ينبع فقط من كراهية الإنجليز والرغبة فى الاستعانة عليهم بالألمان.

الإخوان.. والسادات.. والجيش المصرى

ونعود لنقرأ الأحداث من زاوية جديدة.. وهي ارتباط التنظيم بالإخوان.. فقد بدأ ظهور حركة الإخوان فى الجيش فى سنة ١٩٣٨م حينما نشطت صحيفة الإخوان "النذير" فى مناقشة قضايا الجيش جنودًا وضباطًا.. وافسحت المجال لمناقشة الأخطاء والعيوب التى تسمح بها نظم الجيش المختلفة.كنظام المراسلة وعدم إقامة الأذان فى أوقات الصلاة.. بل عدم تخصيص وقت لصلاة الجنود أصلاً.

ومنذ هذا التاريخ أى سنة ١٩٣٨م.. كان الإمام حسن البنا يتحدث عن الإسلام فى الوحدات العسكرية فى المناسبات الدينية كمولد الرسول صلى الله عليه وسلم وغزوة

بدر فى شهر رمضان.. حيث تفتح أبواب الوحدات العسكرية للوعاظ لإلقاء دروس فى هذه المناسبات للجنود.

ولم يكن الأمر يخلو من وجود الضباط فى هذه الاحتفالات الموسمية.. لأن الضابط المناوب بالوحدة كان من عمله الإشراف على هذه الاحتفالات التى لم تكن تتقيد بالوعاظ الرسميين فقط.. فكانت أصداء كلمات الرجل تبعث فى سامعيه الرغبة فى الانتماء إلى ما يدعو إليه فى وقت كانوا يشعرون فيه بالضياع لقهر النظام العسكرى.. وفساد الرؤساء والمرءوسين.. ولذا وجدت دعوى صداها بين الضباط والجنود والعمال العسكريين.

وكانت دروس الثلاثاء فى دار المركز العام هى الملتقى الأسبوعى لكل راغبٍ من جنود الجيش وضباطه فى التزود من حديث الإمام الشهيد حسن البنا.

ثم فكر الإمام حسن البنا فى إنشاء قسم "الوحدات العسكرية للإخوان" فى أوائل الأربعينيات.. وبدأت النشأة المنظمة لهذا القسم بزيارة الإمام الشهيد لمدرسة الصيانة التابعة لسلاح الصيانة أسبوعيًا كل يوم أربعاء.. حيث كان يدعوه إلى ذلك بعض الإخوان الطلبة كالأخ عباس السيسى وغيره.. وألف هؤلاء الإخوة الذهاب إلى المركز العام للإخوان.. وانضم إلى صحبتهم آخرون من وحدات أخرى.

وكان لهذا القسم دعاة مدنيون فى وحدات الجيش المختلفة يقومون بتعريف الجنود بدينهم.. وشمول هذا الدين لكل نواحى الحياة.. وكيف يمارسون حياتهم داخل الوحدات مهتدين بأصوله مستظلين بأحكامه.

وكان من مهام الدعاة المدنيين التعرف بضباط الوحدات حتى إذا وجدوا منهم تجاوبًا فى الفهم ورغبة فى الاستزادة.. رسموا لهم طريق الصلة بالمرشد الذى كان يعرفهم بدوره فى أول الأمر بالصاغ محمود لبيب.. ويعرفهم هذا بدوره بعبد الرحمن السندى الذى كان يقوم بتبعة العمل الحقيقى فى النظام الخاص.

ولما كثر عدد المنتسبين من الضباط فى النظام.. أفرد لهم المرشد قسمًا خاصًا يرأسه الصاغ محمود لبيب وكيل الإخوان.. وبدأ استقلال محمود لبيب بعمله فى هذا القسم فى سنة ١٩٤٤م مستعينًا "بعبد المنعم عبد الرؤوف الذى كان يمارس نشاطه معه منذ سنة ١٩٤٣م.

وفى عام ١٩٤٤م كانت الخلية الأولى مكونة من سبعة من الضباط هم:

- يوزباشى:عبد المنعم عبد الرؤوف
- يوزباشى: جمال عبد الناصر حسين
- ملازم أول: كمال الدين حسين
- ملازم أول: سعد حسن توفيق
- ملازم أول: خالد محيى الدين
- ملازم أول: حسين محمد أحمد حمودة
- ملازم أول: صلاح الدين خليفة

وحسب رواية حسين حمودة وتأكيد عبد المنعم عبد الرؤوف:

"تكررت اجتماعات هذه الخلية أسبوعيًا ولم تنقطع حتى مايو ١٩٤٨ م.. ثم انقطعت بسبب حرب فلسطين.

وطيلة هذه السنوات تحرَّك أفراد هذه الخلية لتكوين خلايا فرعية.. وضم أكبر عدد ممكن من الضباط إلى التنظيم.. وشكَّل كل فرد من أفرادها خلية فرعية لا تزيد على سبعة أفراد على ألا يخطر أى منهم الآخرين بأسماء المنضمين معه فى الأسر الفرعية مراعاة لأمن الحركة.. وكان محمود لبيب يحضر الاجتماع الأسبوعى للأسرة الرئيسية.. ويحضر أيضًا الاجتماعات نصف الشهرية للأسر الفرعية المنبثقة من الأسرة الرئيسية.

واصبح بذلك محمود لبيب هو الشخص الوحيد فى هذا التنظيم السرى الذى يعرف جميع المشتركين فيه".

الضباط الأحرار يتحدثون عن تنظيمهم

جمال عبد الناصر

فى سلسلة مقالات نشرت بمجلة المصور فى الخمسينيات من القرن الماضى.. وبعد قيام الثورة بسنوات قلائل كتب حلمى سلام تحت عنوان "قصة ثورة الجيش من المهد إلى المجد" ذكريات عبد الناصر عن نشأة ومولد تنظيم الضباط الأحرار.. قال عبد الناصر لسلام إنه التقى فى صيف ١٩٤٤م بمحمود لبيب فى جزيرة الشاى بحديقة الحيوان بالقاهرة.. وأنه تأثر بحديثه تأثرًا عميقًا حين حدثه عن ضرورة العقيدة وعن الهيئة (الإخوان المسلمون).. ولما سأله عبد الناصر عن الأسلوب العلمى للتخطيط أجابه بأن نبدأ فى تنظيم جماعة فى الجيش تعتقد بما تؤمن به حتى إذا جاء الوقت المناسب نكون انتظمنا فى صف واحد فيستحيل على أعدائنا أن يقهرونا.. أى أن عبد الناصر حدد عام ١٩٤٤ لبداية انضمامه للنواة الأولى التى تشكل منها فيما بعد تنظيم الضباط الأحرار الذى انبثق وفقاً لاسترساله فى الحديث فيما بعد من بين الخلايا التابعة للإخوان.

حسين حمودة

يقول حسين حمودة أحد أفراد المجموعة الأولى من تنظيم الضباط الأحرار:

قدمت نفسى يوم ١٩٤٣/٦/٢٨م للكتيبة الثالثة المشاة بألماظة.. وكنت وقتئذ ضابطًا برتبة الملازم أول.

وتصادف أن نقل إلى هذه الكتيبة اليوزباشى عبد المنعم عبد الرؤوف.. وحدث أثناء تناول الطعام مع الضباط فى الميس أنه كان يجلس بجوارى فأخذت أتجاذب معه أطراف الحديث.. وما لبث أن همس فى أذنى أنه يريد التحدث معى على انفراد فى موضوع مهم بعد الغداء.

وانفردت معه بالميس بعد انصراف الضباط.. فقال عبد المنعم عبد الرؤوف لى إنه لاحظ اهتمامى الزائد بعملى وحرصى على تفوق سريتى فى التدريب وتمسكى بمبادئ الأخلاق الكريمة.. وأنه يود أن أزوره فى منزله ليتحدث معى حديثًا أكثر حرية.. وأعطانى موعدًا مساء الجمعة.

ذهبت لمنزل عبد المنعم عبد الرؤوف بالسيدة زينب.. وتحدث معى حديثًا خلاصته ان مصر حالتها لا تسر أحدًا.. وأن إنقاذ شعب مصر من الاحتلال البريطانى والحكم الملكى الفاسد لن يتأتى إلا بثورة مسلحة يتولاها ويدبر أمرها المخلصون من الشباب فى الجيش والشعب فوافقته على ذلك الرأى.

والتقيت بعدها مع عبد المنعم كثيرًا حتى اطمأن لى واطمأننت له ووثق بى ووثقت به.. فعرفنى بشخصية من الشخصيات التى لها باع طويل في الجهاد فى سبيل مصر والعروبة والإسلام تلك الشخصية العظيمة هى شخصية الصاغ محمود لبيب.

كمال الدين حسين

وذكر كمال الدين حسين أن أهداف تنظيم الضباط الأحرار كانت العمل على تطبيق الإسلام.. ولا نعلم له هدفًا غير ذلك.. ويقول فى خطابه الذى دونه لعبد الحكيم عامر: إن حركة الضباط الأحرار منذ بداياتها سنة ١٩٤٤م لا يعرف لها هدف سوى الحكم بكتاب الله.. وأنهم جميعًا: عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وعبد المنعم عبد الرؤوف قد بايعوا محمود لبيب والمرشد والسندى.. وأن الحركة قد انتكست عندما أضاف إليها عبد الناصر ضباطًا من غرز الحشيش والخمارات سنة ١٩٤٨م.[٧]

خالد محيى الدين[٨]

"بعد أن بدأنا منذ ١٩٤٤م التفكير بشكل عملى لتحرير مصر من الفساد والتبعية للاحتلال تعرفتُ عن طريق زميلى عبد المنعم عبد الرؤوف بالصاغ محمود لبيب الذى كان يتناقش معنا بلهجة ذات نكهة إسلامية.. ومن يومها بدأت علاقة من نوع غريب مع

(٧) سامى جوهر.. كتاب " الصامتون يتكلمون ".
(٨) سيرته الذاتية.. كتاب "الآن أتكلم"

الإخوان.. وتكونت بعدها مجموعة عسكرية تضم العديد من الضباط.. ولم نعد نلتقى فى أماكن عامة.. ولكن فى اجتماعات منتظمة فى البيوت.. وأذكر أننا التقينا فى إحدى المرات بمنزل الضابط أحمد مظهر وهو نفسه الفنان المعروف فيما بعد " أحمد مظهر ".

وكان الإخوان يحسون أنهم أمام كنز من الضباط المستعدين لعمل أى شىء لخدمة الوطن.. وعندما بدأنا نسأل محمود لبيب عن برنامج الجماعة كان يجيب "الشريعة".. فأقول له: نحن جميعًا مسلمون ونؤمن بالشريعة.. ولكن ماذا سنفعل بالتحديد؟ هل سنخوض كفاحًا مسلحًا أم نقبل بالتفاوض؟. وكان محمود لبيب يراوغ حتى انتهى الأمر بإحضار حسن البنا المرشد العام للإخوان.. وبعد أن طرحت عليه أنا وعبد الناصر آراءنا قال لنا بهدوء وذكاء إن الجماعة تعاملنا معاملة خاصة.. ولا تطلب منا نفس الولاء الذى تطلبه من العضو العادى.. وتتالت مقابلاتنا.. وظل عبد الناصر مستريبًا فى أن الجماعة تريد استخدامنا لتحقيق أهدافها الخاصة.

ثم بدأت أنحو منحى يساريًا.. وهكذا أصبحتُ عضوًا شاذًا فى جماعة يُفترض أنها تابعة للإخوان المسلمين.

وحاول حسن البنا أن يشدنا للجماعة برباط وثيق.. وقرر ضمى أنا وعبد الناصر للجهاز السرى.. وبالفعل قابلنا عبد الرحمن السندى قائد الجهاز السرى فى أحد المنازل القديمة بحى الدرب الأحمر.. ودخلنا غرفة مظلمة تمامًا ووضعنا أيدينا على مصحف ومسدس.. ورددنا خلف صوت أحدهم يمين الطاعة للمرشد العام فى المنشط والمكره (الخير والشر).. وأعلنا بيعتنا التامة الكاملة والشاملة له على كتاب الله وسنة رسوله.. وبدأنا عملنا وأخذونا للتدريب فى منطقة قرب حلوان.

وحيد رمضان

يقول وحيد رمضان هو قائد تنظيم الشباب فى العهد الناصرى[٩]

" لقد تعرفت فى سنة ١٩٤٥م فى منزل عبد المنعم عبد الرؤوف على جمال عبد الناصر.. وكانت أول مرة ألقاه فيها.. كما تعرفت على كمال الدين حسين فى إحدى

---

(٩) نشر ذلك فى صحيفة آفاق عربية القاهرية العدد (٦٢١) الصادر فى ٢١ أغسطس ٢٠٠٣م.

الأسر التى كان يحضرها الصاغ محمود لبيب.. وكان يشاركنا أيضًا خالد محيى الدين.. وكان لنا موعد دورى نلتقى فيه حتى بدأت حرب فلسطين".

السادات.. والحرس الحديدى

بعد عودة السادات إلى الجيش.. انضم إلى الحرس الحديدى الذى كان يشرف عليه يوسف رشاد.. وكان الجهاز مسئولا عن تنفيذ بعض الأعمال الخاصة وغير المشروعة لصالح الملك.. وكان ذلك تكتيكاً من تنظيم الضباط الأحرار لمعرفة أخبار القصر.

وهناك غموض شديد يحيط بعلاقة السادات بكل من الحرس الحديدى وتنظيم الضباط الأحرار فهل كان السادات عميلا مزدوجا للطرفين؟

الحقيقة أن السادات لم يكن عميلا لأية جهة ضد مصلحة مصر بل كان رجلا وطنيًا أفنى شبابه وحياته وصحته فى خدمة مصر ولما كانت طبيعة العمل الوطنى تقتضى الاتصال بالقوى والتيارات كافة لمعرفة ما يدور داخلها فلقد انضم السادات إلى الحرس الحديدى لمعرفة ما يدور داخل السراى وإبلاغها أولا بأول إلى رجال الثورة واذكر هنا على سبيل المثال أن الملك فاروق وجد فى أحد الأيام منشوراً من الضباط الأحرار موضوعا على مكتبه.

وبناء على هذا قرر تعيين حسين سرى باشا وزيرا للحربية وكان تعيينه يعد بمثابة كارثة على رجال الثورة لأنه يعرف معظم أسمائهم.

السادات ينقذ الثورة من فشل محقق

ولكن السادات أخبر يوسف رشاد رئيس الحرس الحديدى بأن الذى وضع هذا المنشور الضابط الوطنى "مصطفى كمال صدقى" وليس تنظيم الضباط الأحرار وبناء على هذا أبلغ يوسف رشاد الملك بأنه ليس من الحكمة تعيين حسين سرى باشا وزيرا للحربية حتى لا تحدث مشاكل.. فاختار الملك بناء على هذا زوج شقيقته اسماعيل شريف وزيراً للحربية.

ونظرا لخطورة تلك التطورات أبلغ السادات رجال الثورة بضرورة تقديم موعدها والذى حدد له شهر اكتوبر عام ١٩٥٢ وبناء عليه اتخذ رجال الثورة قرارا بتحديد موعد جديد للثورة فى ٢٣ يوليو من العام نفسه وهكذا استطاع السادات ومن خلال صلته بالقصر ان ينقذ الثورة من فشل محقق.

السادات ليلة قيام الثورة

هناك واقعة شهيرة يتندر بها أعداء السادات عليه.. وهى ما يحكى عن دخول السادات السينما ليلة الثورة.. فى محاولة للتنصل من الثورة فى حالة فشلها وأنه افتعل مشاجرة مع أحد الرواد ليثبت تواجده بالسينما فى هذا التوقيت..وإن صحت هذه الرواية فهى تعد بلا شك تكيتيكًا ذكيًا من رجل يعرف أبعاد المهمة التى يقوم بها.. فربما أراد من خلال تلك المشاجرة وعمل محضر لها أن ينجى نفسه فى حالة فشل الثورة حتى يتمكن بعد ذلك من إكمال مسيرة العمل الوطنى وليس التنصل من الثورة كما يشكك البعض من هذا.. وحول هذه الواقعة وعندما كان رجال قيادة الثورة يحبون مداعبة "السادات" عندما كان يجتمعون ويتأخر.. أو يتغيب أنور السادات.. ويسأل أحدهم " فين أنور السادات " الباقى يردون " تلاقيه فى السينما ".

وعلى الجانب الآخر قيل إن السادات كان فى رفح عندما حُدد ميعاد ثورة ٢٣ (يوليو) ولم يكن يعلم الموعد الذى استقر عليه قادة التنظيم.. وعندما عاد من رفح ووجد رسالة مشفرة تركها له " عبد الناصر " عند بواب العمارة التى يسكن بها.. فصعد إلى شقته على الفور.. وارتدى بدلته العسكرية.. وذهب إلى مقر قيادة الثورة.. وأذاع بنفسه البيان الأول لها.. وهذا يدل على أن دوره لم يكن هامشياً فى الثورة.. كما أن عبد الناصر نفسه كان يرتدى هو والمشير عامر ملابس مدنية وقت قيام الثورة.. وكان سيتم القبض عليهما من جانب بعض الوحدات العسكرية للثورة والتى تحركت قبل موعدها لولا أن يوسف صديق تعرف عليهما وأفرج عنهما.

وفى كتابيه (قصة ثورة يوليو).. و(شهود ثورة يوليو) ذكر أحمد حمروش[١٠] شهادات بعض أعضاء التنظيم مثل " إبراهيم الطحاوى ".. و" حسن إبراهيم ".. و" عبد الحكيم عامر".. و"توفيق عبده إسماعيل ".. و" ثروت عكاشة ".. وجميعهم أكدوا ما ذهب إليه سابقوهم من نفس المعلومات في ما يتعلق بالتنظيم.. ونشأته.. ومؤسسيه.. ومن مجموع هذه الشهادات تتأكد الحقيقة التى توصل إليها أيضاً الباحث الفرنسى.. ونستطيع نحن أيضاً أن نستخلص من كل ذلك عدة نقاط مهمة:

١- فى شهادة كل هؤلاء لم يذكر اسم السادات على الإطلاق..

٢ ـ اتفق الجميع على ما خلصنا إليه سابقاً ـ وهو بالمناسبة أحد أهم نقاط الإختلاف التاريخى ـ أن تنظيم الضباط الأحرار ولد من رحم جماعة الإخوان المسلمين.. وهو فى الحقيقة تنظيم الإخوان الضباط بالجيش.. وأن مؤسسه والمسئول الأول عنه هو الصاغ محمود لبيب.. وهو صاحب هذه التسمية "الضباط الأحرار" بدليل ما ذكره خالد محيى الدين تحديداً بأنه انضم إلى تنظيم الأخوان الضباط عن طريق عبد المنعم عبد الرؤوف.. والذى عرفه بدوره بمحمود لبيب وكيل الإخوان.. وانتظامه فى اجتماعاتهم التنظيمية التى كان يحضرها باستمرار محمود لبيب.. وكان يزورهم ويلتقى بهم المرشد العام حسن البنا.. كما يعترف صراحةً بأنه وعبد الناصر بايعا عبد الرحمن السندى رئيس النظام الخاص للإخوان.

٣- أن هناك جنودًا مجهولين كان لهم الفضل فى تدشين تنظيم الضباط الأحرار لم يأخذوا حقهم الكامل إعلامياً.. ولا تاريخياً خاصةً "

(١٠) الكتاب الأول " الجزء الرابع" .. وفى أكثر من موضع بالكتاب الثانى.

محمود لبيب ".. والضابط طيار " عبد المنعم عبد الرؤوف " أول أعضائه المؤسسين.. والذى تمكن من ضم باقى أفراد الخلية الأولى فى التنظيم.. وغيرهم.

٤- أن عام ١٩٤٤ هو العام الذى اتفق الجميع على أنه كان بداية التفكير فى استخدام ضباط الجيش للاستعداد لعمل ثورة شاملة.. وأن التنظيم ظل مستمرًا فى انتظام وتوسع حتى قيام حرب فلسطين فى ١٩٤٨/٥/١٥م.. حيث سافر عدد من ضباط الصف الأول فيه إلى ميدان القتال فى فلسطين كجمال عبد الناصر وعبد المنعم عبد الرؤوف وكمال الدين حسين وغابوا عن مصر لفترة.

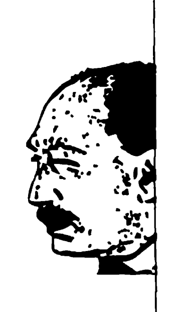
٥- ثم مرت بعد ذلك جماعة الإخوان.. بمحنة الحل والاعتقالات التى طالت أغلب رجالها وقادتها وأوقفت حركة أقسامها المختلفة.. ومنها بالطبع الحركة داخل الجيش.

٦ ـ بعد عودة الضباط من ميدان الجهاد فى فلسطين وخروج الإخوان من المعتقلات بدأت مرحلة جديدة من العمل والعلاقات بين الإخوان وضباط الجيش.. تغيرت فيها الظروف والعلاقات والشخصيات تغيرًا كبيرًا ـ ويكفى أن " حركة الإخوان المسلمين " كانت هى الهيئة المدنية الوحيدة التى أخطرها عبد الناصر بموعد حركة الجيش للثورة..باعتبار أنها كانت الهيئة الوحيدة التى من الممكن أن تساعد الجيش فى صد الإنجليز فى حالة تدخلهم عسكرياً ـ بحسب تبرير جمال حمدان فيما بعد ـ أو دخول قواتهم القاهرة عن طريق السويس أو الإسماعيلية.. فكانوا هم الأقدر على تنظيم مد شعبى يمكنه التصدى لفلول القوات البريطانية إن فكرت فى ذلك.. خاصةً أنهم كانوا يمتّلكون السلاح اللازم.

٧- أكد جمال عبد الناصر فى إحدى خطبه أن نسبة نجاح ثورة ٢٣ يوليو لم تكن تزيد على ٢٠٪..

٨- ويبقى أن نشير إلى دور المقدم "يوسف منصور صديق" الذى قام بدور بطولى كبير فى ثورة ٢٣ يوليو وأنقذها من الفشل.. وهو للأسف لم يأخذ ما يستحقه تاريخياً. فقد وصل هذا الرجل إلى القاهرة على رأس مقدمة الكتيبة الأولى مدافع مشاة.. والتى كانت موجودة وقتها فى العريش فى ١٣ يوليو.. وكان دور يوسف منصور صديق على رأس هذه القوة الهزيلة الضعيفة أن يكون عنصر مساعد للسرية الرابعة التى كان دورها محدداً فى احتلال مبنى رئاسة الجيش.. والمفاجأة أن هذه القوة الهزيلة هى التى هاجمت. وسيطرت على مبنى رئاسة الجيش بكل ما فيه.. ومن فيه من قادة الجيش الكبار.. بعد أن اقتحمت المبنى.. وانطلقت إلى الداخل ودخل يوسف صديق ببسالته وبجرأته إلى مكتب رئيس الأركان.. وأثناء صعوده إلى مكتبه حاول "رقيب الحراسة" منعه هو ومن معه من باقى أفراد الكتيبة وكان عددهم عشرة أفراد فاضطر "صديق" لأن يطلق رصاصة من مسدسه الميرى فى الهواء.. وقتها دب الفزع فى قلوب جميع الموجودين.. فاستسلموا على الفور.

■■■



3

السادات.. أسئلة.. وعلاقات غامضة!

■■



■■

بين عبد الناصر.. والسادات

عبد الناصر يورط السادات فى قراءة البيان الأول للثورة[11]

عندما استقطب جمال عبد الناصر.. السادات للانضمام إلى تنظيم الضباط الأحرار كان ـ كما قلنا من قبل ـ يتعامل معه بوضعية مختلفة عن باقى الضباط المنضمين فى نفس التوقيت للتنظيم.. باعتباره رجلاً له تاريخه الثورى.. المعادى للقصر.. والاحتلال البريطانى لمصر.. وكان جمال عبد الناصر قد أوضح للسادات أن الاتفاق بين أعضاء الضباط الأحرار على أن يكون موعد الثورة أوائل عام ١٩٥٥ حتى يتمكنوا من الاستعداد لها جيداً.. لكن ما حدث بعد ذلك فى انتخابات نادى الضباط.. وصعود اللواء محمد نجيب لرئاسته رغماً عن أنف الملك شخصياً.. ووضوح قوة تأثير الاتجاه المعادى للملك بين صفوف ضباط الجيش.. بالإضافة لانفجار القاهرة بعد حريق ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢.. وما أعقبه بعدها من اهتزاز شديد للشارع المصرى ضد الملك.. وحكمه الفاسد جعل قيادات التنظيم يستشعرون بأنهم أمام فرصة نادرة لابد من استغلالها.. والتعجيل بقيام الثورة.. وهو ما حدث بالضبط .. ودفع الضباط الأحرار للإسراع فى تنفيذ خطتهم.. وتم الاتفاق على الفترة من ٢٢ يوليو إلى ٥ أغسطس لتتم الثورة فى أى من هذه الأيام.

لكن عند رصد العلاقة بين عبد الناصر والسادات نفاجأ على سبيل المثال بما ذهب إليه.. وأكده الدكتور محمود جامع " طبيب السادات.. وصديقه الشخصى.. فقد ذكر

---

(١١) نص البيان محفوظ حالياً بالمتحف الحربى..

أن عبد الناصر لم يكن يحترم السادات.. وأن السادات كان يكره عبد الناصر.. فكيف دارت إذن العلاقة بين الاثنين.. وهى العلاقة التى استمرت أكثر من ثلاثين عاماً.. منذ زمالتهما فى الكلية الحربية.. وانتهاء بأن أصبح أحدهما رئيساً.. والآخر نائباً له.. وهل كان السادات منافقاً إلى هذا الحد.. وهو يسمى ابنه الأول على اسم " جمال عبد الناصر ".. ثم وهو يؤلف أحد أشهر كتبه عن عبد الناصر.. ويختار له اسم " يا ولدى.. هذا عمك جمال!! ".. ثم ماذا كان يقصد السادات فى خطبه التى كان يلقيها على مسامعنا.. ومسامع العالم أجمع طوال فترة حكمه.. وهو يقول.. ويردد دائماً " إن كانت هناك أخطاء لجمال عبد الناصر.. فأنا.. وبكل شجاعة أتحمل مسئوليتها كاملة"؟.. مع هذه المسلمات.. نحاول إذن أن نرصد أبعاد تلك العلاقة من بداياتها.

قيل إن جمال عبد الناصر كان يعلم ألاعيب وحيل "أنور السادات" جيدًا.. ويتعامل معه من خلالها.. بمعنى أنه من الممكن أن يكون متواجداً فى مكان.. وله شهود بتواجده فى مكان آخر فى نفس التوقيت مثلما حدث فى واقعة اغتيال أمين عثمان.. فأراد " جمال عبد الناصر" أن يورط أنور السادات فى الثورة فى حال فشلها.. لذلك كلفه بقراءة البيان بنفسه.. ومما يذكر أن كاتب البيان هو " جمال حماد ".. وليس السادات كما يشاع وكان ذلك أيضاً بتكليف من " عبد الناصر " نفسه.. الذى قرأ البيان فى البداية.ووافق عليه بحسب ما ذكره جمال حماد فى كتاباته.. وقال بالنص:

قال لى عبد الناصر أنت هتكتب لنا البيان.. أنا بأكلفك بكتابة البيان باعتبارك إنك أنت أديب وشاعر.. وعاوزين بيان قوى.. ويعرف الجميع أن أملنا فى انضمام الجيش والشعب إلينا هو هذا البيان فعلا.. ولم يغير به ولا حرف إنما اللى غير هو محمد نجيب.. وطلب إضافة فقرة تؤكد على أولوية الدستور..

ويستطرد حماد قائلاً:

" شعرت باضطراب شديد جدا لما كلفنى جمال عبد الناصر بكتابة هذا البيان..قلت دى مسؤولية خطيرة جدا.. إنما لما قعدت على المكتب.. وجبت ورقة فلوسكاب.. وطلعت قلمى الحبر.. وبدأت أكتب.. ابتديت أنسى الاضطراب وكل التوتر الشديد اللى كان

عندى.. واختلفت أنا و" عبد الحكيم عامر " حول بعض النقاط.. مثل حكاية إن إحنا نطمئن الأجانب على أن ما فيش اى خطورة عليهم. وده كان باقتراح منه.

هذا هو الملمح الأول في علاقة السادات بعبدالناصر قبل وأثناء قيام الثورة.. فماذا عن صورة العلاقة بعد قيامها؟

دهاء السادات

بعد قيام الثورة.. وفى السنوات الأولى منها.. كان السادات قابعاً فى الظل بالرغم من طموحه الشديد وحبه للشهرة كما قيل مراراً.. وتكراراً عنه.. وشاهد وراقب كيف تأكل الثورة أبناءها مثلها مثل كل باقى الثورات.. فبعد قيام الثورة.. ونجاحها أصيب كلٌ من السادات وناصر بالإحباط والحزن بسبب ما حدث بين أعضاء مجلس قيادة الثورة من انشقاقات.. الذين أذهبت عقولهم صدمة السلطة المفاجئة.. فقد كانوا جميعاً صغار السن.. وليست لديهم الخبرة الكافية للتعامل مع وضعهم الجديد.. وذلك بالطبع باستثناء اللواء محمد نجيب الذى تم الإجماع عليه منذ البداية.

وعندما أجبر جمال عبد الناصر محمد نجيب على الاستقالة.. تصاعدت حدة الخلافات بين أعضاء الثورة.. وتم حل مجلس قيادة الثورة فى يونيه سنة ١٩٥٦.. وتم انتخاب جمال عبد الناصر رئيساً للجمهورية فى وقت كانت فيه مصر تعج بالفساد والاعتقالات التعسفية من جانب أعضاء قيادة الثورة.. ثبت فيما بعد أن السادات تحدث عن هذه الفترة ملقياً اللوم على عبد الناصر.. واتهمه بالفشل فى تنظيم وزرائه.. وبدأ عبد الناصر يظهر أمام العالم كشخص غير مستقر.. تحركه الشكوك والهواجس.. ولا يملك سياسة واضحة.. ولا متماسكة لحل المشاكل.. وهذا ما جعل بريطانيا والولايات المتحدة تستغلان الموقف فأوعزا إلى البنك الدولى بسحب عرض تمويل بناء السد العالى.. مما أغضب ناصر وجعله يطلق خطابا ملتهبا فى الإسكندرية يعلن فيه تأميم شركة قناة السويس والسيطرة عليها.. وكان هذا الإعلان مفاجأة لأنور السادات شخصيا.. لكنه لم يغضب وعاتب ناصر بلطف قائلا: لو كنت أخذت رأيى فى ذلك لقلت لك: كن حذرا فهذه الخطوة تعنى الحرب.. وأنت لست مستعدا لها كما أننا لم نتدرب على الأسلحة السوفيتية الموجودة لدينا.. بل تدريبنا كان مع بريطانيا.. لكنك الآن أخذت

القرار بالفعل.. وبالطبع كلنا سوف نؤيدك.. وأنا أول من يفعل ذلك.. وتبع تلك التطورات حرب ٥٦ والعدوان الثلاثى على مصر.

وقد روى أن السادات كان يعرف طوال عهد عبد الناصر أن عصر عبد الناصر .. هو عصر الفرد الواحد.. والقرار الواحد.. وأن الديكتاتورية هى التاج الذى يرتديه ناصر وهو جالس على عرش مصر.. وكان ينظر إلى زملائه الذين طالتهم يد عبد الناصر.. وكان على يقين يصل لحد التوجس.. أن أحداً لن يسلم من غدر عبد الناصر.. لذلك كان السادات يتصنع الضعف.. ولو اعترض على قرار واحد.. أو حتى أبدى رأيا فسوف يكون مصيره هو مصير كل وأغلب أعضاء مجلس قيادة الثورة والضباط الأحرار الذين غدر بهم وفتك بهم.. وأدرك السادات أنه ليس من الحكمة معارضة عبد الناصر فى أى شىء لأن عبد الناصر بطبيعته شخصية قيادية لا تقبل النقد ولم يعترض السادات على أى منصب أسند إليه.. بالرغم هذا من كونه كان مختلفاً تماماً عنه.. فى فكره.. وتوجهاته.. لأن السادات كان غربى الفكر.. ولذا فعندما تولى السادات الحكم هدم كل أعمال عبد الناصر وأعاد القضاة الذين فصلهم عبد الناصر وألغى الحراسات وأعاد الحياة الحزبية.

وهناك روايات تؤكد أن السادات لعب دورًا كبيرًا فى توريط عبد الناصر فى حرب اليمن.. وأنه هو الذى أقنعه بدخول تلك الحرب بعد اتصالات جرت بينه وبين كمال أدهم رئيس المخابرات السعودية .. والحقيقة أن هذه الروايات شأنها شأن العديد من الروايات الأخرى التى تتحدث عن علاقة السادات بعبد الناصر كانت عارية تماماً من الصحة.. ولا تستند لأى دليل مادى يعززها.. فالثابت أن السادات لم يورط نفسه يوما فى مناقشة عبد الناصر فى أمرٍ ما.. أو محاولة إقناعه أو الاعتراض على رأى له حتى لو لم يكن مقتنعا به.

السادات بين ناصر.. وعامر

كان عبد الحكيم عامر هو الرجل الذى كان يطلق عليه الريس نمرة ٢ فى مصر.. وكان هو وعبد الناصر أقرب أعضاء الثورة لبعضهما البعض.. وفى نفس الوقت أكثر أعضائها غيرةً من بعضهما البعض.. وبعد نكسة يونيو ١٩٦٧ بدأ المشير عبد الحكيم عامر بتكديس الأسلحة والعديد من صغار الضباط حوله فى بيته مطالبين ببقائه على

راس الجيش ومهددين بقلب نظام الحكم إن أقال ناصر عبد الحكيم عامر من منصبه.. وحاول عامر استقطاب السادات لصفه ضد عبد الناصر.. إلا أنه لم يفلح فى ذلك.. فلم يقع السادات أبدًا - وطوال تاريخه السياسى - فى فخ الانتماء إلى الصراعات وحافظ على مكانته عند الاثنين معاً عبد الناصر وعبد الحكيم عامر..

والاثنان كانا يشتكيان له من أفعال كل منهما.. ويتلقيان النصيحة منه.. واستطاع السادات بذكاء شديد.. لايخلو بتاتاً من دهاء.. ومكر اشد أن يحافظ فى نفس الوقت على قربه من الاثنين.. والثقة الشديدة منهما فى شخصه.. فلم ينحاز لأحد على حساب الآخر.. وإن كان كل منهما يعتقد فى قرارة نفسه أنه - أى السادات - أكثر ولاء له من الآخر.

السادات نائباً لناصر

وفى هذا التوقيت وتحديدًا بعد النكسة أخذ عبد الناصر ينظر لكل من حوله ممن تبقى من قيادات تنظيم الضباط الأحرار.. فوجد معظم من تبقى منهم.. إما يدين بالولاء لعبد الحكيم عامر.. أو طامع فى القفز ليجلس مكانه على كرسى الحكم مستغلاً تبعات النكسة.. ومن بين كل هؤلاء قفز فجأة لمخيلة عبد الناصر صورة السادات.. الرجل الذى عرف عنه طيلة كل السنوات الماضية أنه لاينظر إلى ما فى يد غيره.. ولا يطمع.. أو يطلب لنفسه منصباً.. أو جاهاً.. بل بالعكس لا يتردد فى إظهار ولائه دائماً لعبد الناصر.. سواءً أمامه.. أو من وراء ظهره.. كان باختصار شديد صورة للرجل المستكين.. القانع بما فى يديه.. ولا يطمع فيما هو أكثر من ذلك.. فبدأ يقربه منه كثيراً عن ذى قبل.. وبعد قيام عبد الناصر بخلع عامر من قيادة الجيش وتعيين محمد فوزى مكانه.. واعتقال من تبقى من رجال عامر.. وبعد أن أعاد إحكام قبضته على الأمور الداخلية.. استشعر ضرورة أن يختار لنفسه نائباً لرئيس الجمهورية نتيجة لتعرضه لنوبات قلبية من جراء الضغط العصبى الواقع عليه.. علاوة على علمه بأن هناك مؤامرة لاغتياله تتم بين وزير داخلية المغرب وقت ذاك اللواء «محمد أوكفير» مشاركاً مع المخابرات المركزية الأمريكية وذلك أثناء القمة العربية بالرباط.. وبناء عليه تم استدعاء السادات لأداء اليمين الدستورية وتعيينه نائبا لرئيس الجمهورية.. فى مفاجأة لم يكن

السادات نفسه يتوقعها هو ولا أكثر المتفائلين بالنسبة لمستقبل السادات السياسى وفى الوقت الذى ترددت فيه شائعات كثيرة أن عبد الناصر كان ينوى تعيين عبد اللطيف بغدادى نائبًا له بدلاً من السادات إلا أن القدر لم يمهله؟.. وأيضاً لم يستطع أحدٌ أن ينفى أو يؤكد هذه الأقاويل.. وقيل إن " حسين الشافعى " الذى كان يطمع أن يعينه عبد الناصر نائبا أول له ذُهل عندما سمع خبر تعيين عبد الناصر للسادات نائباً له.

هل حدد عبد الناصر إقامة السادات تمهيداً لإقالته

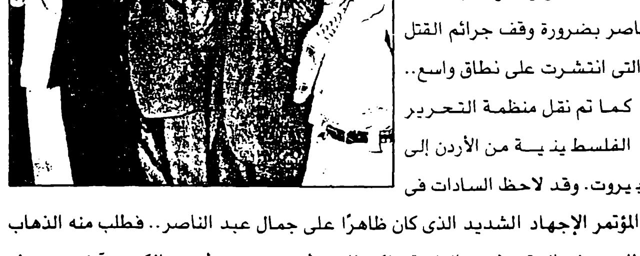
وحدث بعد ذلك بعدة شهور.. ومع بدايات يوليو ١٩٧٠ أن انتشرت شائعة غريبة.. انتشار النار فى الهشيم.. حيث أصيب السادات بأزمة قلبية أثناء تواجده بمنزله منفرداً فى ميت أبو الكوم وكان أولاد السادات وزوجته فى ذلك الوقت موجودين فى اوروبا واتصل السادات بطبيبه الخاص " د. محمود جامع " لإحضار طبيب القلب محمد عطية .. وعندما طالت مدة مرض السادات انتشرت الشائعات.. خاصة من بعض الإذاعات المعادية للنظام المصرى وقتها.. وذكرت الشائعات أن السادات قد حُددت إقامته.. ومما ساعد على انتشار هذه الشائعة أن عبد الناصر كان يخطب فى يوليو عام ١٩٧٠.. وكان عبد الناصر وقتها يستعد لتوقيع " مبادرة روجرز " وكان - بحسب ما ذكره د. جامع فى كتابه عرفت السادات - يتصل بالسادات يومياً للاطمئنان عليه وإخباره بكل خطواته.. وأثناء إلقاء عبد الناصر لخطابه فوجئ الجميع بأحد أعضاء الاتحاد الاشتراكى يسأل عبد الناصر عن سبب تغيب النائب أنور السادات فأخبره انه يعانى من نزلة برد مما ساعد على تدعيم الشائعات المثارة ضده.. وعندما ذهب بعدها عبد الناصر إلى الإسكندرية وكان ذلك يوم٢٦ يوليو مر على السادات وطلب منه ضرورة الذهاب معه إلى الإسكندرية للقضاء على الشائعات التى تثار ضده فقبل السادات رغم خطورة حالته.

وفى الإسكندرية اتصل به السفير السوفيتى للاطمئنان عليه وطلب زيارته.. فارتدى السادات ملابسه حتى لا يلاحظ أى شيء وكتب السفير السوفيتى تقريره بأن حالة السادات الصحية مطمئنة.. والغريب أن السفير السوفيتى توفى بأزمة قلبية بعد كتابة تقريره مباشرةً.

السادات ينصح عبد الناصر نصيحته الأخيرة

بعد ذلك قام ناصر بشن حرب استنزاف ضد إسرائيل بمساندة روسيا عبر قناة السويس.. وردت إسرائيل بغارات جوية فى عمق الأراضى المصرية حيث قامت بضرب مصنع أبى زعبل على أطراف القاهرة فى يناير ١٩٧٠.. وكان للظروف الصعبة التى تمر بها مصر والعالم العربى وخاصة فلسطين أكبر الأثر فى تدهور الحالة الصحية لجمال عبد الناصر.. حيث قام بعقد قمة عربية بالقاهرة بعد المذبحة التى تعرض إليها الفلسطينيون على يد الأردنيين حين حاول الفلسطينيون الاستيلاء على السلطة بعمان (الأردن) فقرر الملك حسين تصفية المقاومة فى الأردن فاشتبك معها فى صدام مسلح مما أدى إلى مذبحة.. وذلك ما دعا عبد الناصر إلى عقد مؤتمر قمة للدول العربية.. وكانت المحادثات بالقمة متوترة.. وطالب فيها ناصر بضرورة وقف جرائم القتل التى انتشرت على نطاق واسع.. كما تم نقل منظمة التحرير الفلسطينية من الأردن إلى بيروت. وقد لاحظ السادات فى المؤتمر الإجهاد الشديد الذى كان ظاهرًا على جمال عبد الناصر.. فطلب منه الذهاب للبيت لينال قسط من الراحة.. لكن ناصر أبى حتى ودع أمير الكويت آخر ضيوف المؤتمر.. وبعد ذلك وفى نفس اليوم توفى جمال عبد الناصر بالسكتة القلبية.





هدى عبد الناصر تتهم السادات بقتل أبيها..!

وقبل أن نترك صفحة علاقة " السادات " بعبد الناصر.. نتوقف قليلاً عندما أثارته تصريحات[12] " هدى " ابنة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر التى أثارت ضجة إعلامية كبيرة عندما قالت فى حوار تليفزيونى "السادات قتل أبى.. وأنه - أى السادات - كان عميلاً للمخابرات الأمريكية".. وللأسف كان الدليل الوحيد الذى تستند إليه هدى التى تحمل درجة علمية رفيعة.. وهى دكتوراة فى العلوم السياسية لهذا الاتهام هو قولها "أشعر... وعندى شعور داخلى بأنه مات - أى والدها - مقتولاً".. وعندما سألها المذيع عن الدليل على اتهامها للسادات! قالت الدكتورة هدى: لأنه كان يقيم فى الغرفة المجاورة له فى الهيلتون أثناء مؤتمر القمة![13]

---

(١٢) نشرت مجلة "صباح الخير" القاهرية فى ٤ فبراير ٢٠٠٥ نص تصريحات هدى عبد الناصر بالحرف الواحد ضمن تحقيق صحافى حول هذا الموضوع.. وفى يوم الاثنين الموافق ٣١ مارس ٢٠٠٨ قضت المحكمة بإلزام هدى جمال عبد الناصر بتغريمها ١٠٠ ألف جنيه كتعويض لرقية أنور السادات عن الأضرار الأدبية التى لحقت بها جراء ما ادعته هدى عبد الناصر على أبيها. فى حوار أجرته فى مجلة الإذاعة والتليفزيون أن السادات قتل والدها.. وأنه كان عميلا للمخابرات الأمريكية ويتقاضى مبلغ ٥ آلاف دولار شهريا من المخابرات الأمريكية.

(١٣) لقد قيل وكتب ونشرت روايات بالغة الغرابة حول وفاة جمال عبد الناصر! يكفى مثلاً ان الكاتب محمد حسنين هيكل كتب ونشر نحو خمس روايات مختلفة حول ظروف وملابسات الوفاة جمعها الكاتب الراحل جمال سليم " ونشرها فى كتابه "كيف قتلوا عبد الناصر".. وقيل أيضاً أن المدلك على العطفى. قصته كاملة ضمن فصل السادات وعلاقات غامضة بالكتاب. كان يقوم بالعلاج الطبيعى للرئيس واتضح أنه جاسوس إسرائيلى.. لكن هذه الرواية نفاها خالد جمال عبد الناصر ومحمد حسنين هيكل ومنصور فايز ووصفها سامى شرف بأنها مختلقة من الألف إلى الياء.. بل وصل الأمر برئيس وزراء الصين الراحل شواين لاى وكان يستقبل وفداً مصرياً رفيع المستوى برئاسة الدكتور لبيب شقير رئيس مجلس الأمة ومحمد عبد السلام الزيات.. انه سألهم: لماذا مات جمال عبد الناصر؟.. وحسب رواية الأستاذ هيكل فى كتابه "عبد الناصر والعالم" فان أعضاء الوفد شعروا بالحيرة والذهول وأجابوا بأنه مات نفاذاً لإرادة الله وقضائه؟.. وهنا قال لهم شواين لاى: يجب الا نحمل الله مسؤولية ما نفعل لا بد من سبب "إننى لا استطيع ان أتصور كيف مات.. لقد كان رئيس دولة وزعيماً للعالم العربى وكانت تتوافر له أفضل العناية الطبية فكيف سمحتم له بأن يموت؟! وخيم الصمت على أعضاء الوفد حتى قال لهم رئيس الوزراء: سأوضح لكم السبب.. لقد مات من الحزن والقهر.. مات كسير القلب.. أما الذنب فى ذلك فهو ذنب الاتحاد السوفيتى فقد خدعه السوفيت ودفعوه إلى مأزق ثم تخلوا عنه وتركوا فؤاده يتحطم وينكسر!

وعندما قال لها "ولكن هذا ليس مبرراً كافياً لهذا الاتهام الخطير؟!

قالت هدى "بعد مرور ٥٠ سنة على الثورة تم الإفراج عن الوثائق الأمريكية الخاصة بثورة يوليو.. وأشارت الوثائق إلى ان السادات كان عميلاً للمخابرات الأمريكية".

وهكذا انفجرت القنبلة

وليست هدى عبد الناصر فقط هى من تحدث عن علاقة السادات بالمخابرات الأمريكية.. فقد سبقها " سامى شرف " أيضاً.. حيث زعم أن السادات كان يتلقى اموالا من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية.

وكان خصوم السادات يستندون فى ما يدعونه عليه فى هذا الشأن إلى مقال كتبه " جيم هوجلاند " ونشرته (واشنطن بوست) عام ١٩٧٧.. وذكر كاتب المقال أن السادات.. كان يتلقى هو والعاهل الأردنى الر احل " الملك حسين فى الستينيات وأوائل السبعينيات " أموالاً من المخابرات الأمريكية.. دون أن يعزز ادعاءه بأى وثائق.. أو مصادر حقيقية.. وكان من المستحيل على الكاتب أن يثبت ما إذا كانت للسادات صلات بوكالة المخابرات المركزية الأميركية أم لا.. ولم تسفر المحاولات التى جرت مع اثنين من عملاء المخابرات الأمريكية فى مصر خلال الستينيات وأوائل السبعينيات لاستخلاص إجابات منها عن اى شىء!

كما أن السجلات الخاصة بقانون حرية المعلومات التى تم رفع الحظر عنها والبرقيات الصادرة عن وزارة الخارجية الأمريكية التى تم رفع الحظر عنها أخيراً لم يرد فيها أو على الأقل لم ينشر حتى الآن ما يشير إلى أى معاملة خاصة مع السادات.

فإذا كان للسادات علاقة مع المخابرات الأمريكية سواء بشكل مباشر أو من خلال كمال أدهم فمن المحتمل ان يكون ذلك قد تم بعلم وموافقة عبد الناصر نفسه "الذى لم يكن يشكك على الإطلاق فى وطنية السادات.. فضلاً عن أنه كان يمارس رقابة شديدة على الجميع.

وعلى صعيد آخر وذكر أحد الضباط الأحرار أن عبد الناصر كان قد كلف السادات بالقيام بدور من هذا القبيل قبل انقلاب ١٩٥٢.

السادات.. وطرد الخبراء الروس

استطاع السادات أن يخرج الاتحاد السوفيتى من قلب منطقه الشرق الأوسط - مصر - وان يجبره على البحث عن موطئ قدم آخر وأن يحرم الأسطول السوفيتى من قواعد وتسهيلات فى المياه الدافئة لم يستطع تعويضها بعد ذلك... وبذلك استطاع ان يحل معادله السياسة الأمريكية الصعبة (إسرائيل - السعودية - مصر) وأصبح التواجد الامريكى مفروضاً بالمنطقة بعد أن أخلى أمامهم الطريق بما فعله مع الاتحاد السوفيتى.. وبذلك استطاع أيضاً أن يحدث تغييرا استراتيجياً كبيراً فى السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط.. بعد أن تحولت أمريكا للمورد الأول لتسليح الجيش المصرى.. وأكبر مانح للمعونات لمصر .. وبغض النظر عن عمق هذا التغيير أو عن كيفيه استخدام هذا الدعم وهذه المنح فيعتبر هذا تحولاً ضخمًا على أى مقياس بعد كل هذه المواجهات وفى هذه المدة القصيرة..

السادات.. وأبو غزالة.. والمجاهدين الأفغان

وهناك صورة أخرى للحرب التي شنها السادات ضد الاتحاد السوفيتى الذى كان يكن له كراهية شديدة.. ولكنها صورة تنطوى علي حرب غير مباشرة.. بدأت الأنظار تتجه إليها بعد أن وردت معلومات نشرتها صحيفة أمريكية واسعة الانتشار عن قيام مصر بتزويد المجاهدين الأفغان بالسلاح السوفيتى فى سبعينات القرن الماضى بعد وصلة من الرقص الشرقى أدتها راقصة أمريكية فى مكتب المشير عبدالحليم أبو غزالة وزير الدفاع المصرى الأسبق..

وقالت صحيفة "وول ستريت جورنال" إن ابو غزالة ـ أحد أهم القادة البارزين فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ ـ قد وافق على إمداد المجاهدين الأفغان بالسلاح فى سبعينات القرن الماضى بتعلميات خاصة من السادات بعد "وصلة" رقص شرقى فى مكتبه.. وأن ذلك كان سببا فيما بعد فى تصدير الإرهاب للعالم الإسلامى ونشأة تنظيم القاعدة.

وبدأت القصة.. حسب الصحيفة.. عندما نجح عضو الكونجرس الأمريكى تشارلى ويلسون فى تجنيد راقصة أمريكية تدعى "كارول" تجيد الرقص الشرقى لإقناع أبو غزالة بتزويد المجاهدين الأفغان بالسلاح الروسى من مصر.

وبينما اعتبر المستشار الشخصى للرئيس الراحل أنور السادات إن القصة ساذجة.. لأن إمداد الساحة الأفغانية فى ذلك الوقت بالرجال والسلاح جاء من أعلى مراكز صناعة القرار ممثلا فى السادات نفسه فى ظل مصالح متبادلة مع واشنطن.. وبين عشية وضحاها أصبح المشير أبو غزالة ذلك الرجل الذى ما زال محبوبًا بشكل كبير فى الشارع متهمًا بجريمة صعبة التصديق عندما نشرت مجلة "روز اليوسف" الحكومية.. مطلع تسعينيات القرن الماضى نصوص تسجيلات هاتفية حول علاقة أبو غزالة بسيدة مجتمع شابة.. كانت سببا فى عزله من منصبه.. فيما عرف بفضيحة "لوسى ارتين".

والحقيقة.. إن قرارا بهذا الحجم خرج من أعلى مراكز القرار.. بطاب أمريكى فى ظل مصالح متبادلة مع مصر.. تمحورت فى ضرورة إسقاط الشيوعية وإنهاء الحرب الباردة لتتفرغ الولايات المتحدة بعد ذلك لحل مشكلة الشرق الأوسط وإنهاء الاحتلال الإسرائيلى للأراضى العربية.. مشيرا أيضا إلى دور النزعة الدينية للسادات فى هذا القرار.

وأضاف د. محمود جامع المستشار والطبيب الخاص للسادات أن أبو غزالة لعب دورًا مهما فى مسألة أخرى عندما نصح السادات بإمداد نظام الرئيس العراقى السابق صدام حسين بالسلاح فى حربه ضد إيران رغم دور "صدام حسين" فى عزل مصر والسادات فيما بعد عن العالم العربى بعد إبرامها معاهدة كامب ديفيد وتأسيس ما عرف بجبهة الصمود والتصدى.. وكان أبو غزالة يرى ذلك من ضرورات الأمن القومى المصرى.

واتفق د. نبيل شرف الدين الخبير فى الجماعات الإسلامية الأصولية.. مع د.جامع فى وصف هذه القصة بالساذجة وقال: "صحيح أن هناك قصصا تم تداولها فى التسعينيات ونشرت الصحافة بعضها مثل علاقة أبو غزالة بفضيحة لوسى أرتين[١٤]..

(١٤) قصة لوسى أرتين كاملة مع أبو غزالة فى فصل التوضيحات آخر الكتاب.

أو بإحدى الفنانات التى برزت فى تلك المرحلة.. إلا أننى استبعد تماما أن يكون للجانب النسائى أى دور فى إمداد المجاهدين الأفغان بالسلاح الروسى الذى كان موجودا فى مصر.. فالأمور السيادية الكبرى لا تجرى بمثل هذا العبث"

وأضاف: "كان هذا القرار من صناعة أنظمة عديدة فى المنطقة.. بعضها وجد فى هجرة الإسلاميين الأصوليين للساحة الأفغانية بمثابة خلاص منهم.. وكل ذلك تم بالطبع بتنسيق أمريكى.. دون أن يتوقعوا أنهم يساهمون بذلك فى صناعة تنظيم "القاعدة" الذى ظهر للوجود بعد انتهاء مرحلة الجهاد الأفغانى ضد الروس.. وهو أمر لم يعد سرا.. ولم يكن بالنسبة لمصر يحتاج إلى إغراء راقصة أمريكية أو غيرها.. فمن السهل على مسئول كبير الحصول على إغراءات نسائية مجانًا ودون ضجيج"

وفى إطار رواية صحيفة "وول ستريت جورنال الأمريكية قالت "إن تشارلى ـ عضو الكونجرس الأمريكى - استخدم أساليب الإغراء لحشد التأييد والتسليح للمجاهدين الأفغان.. لمحاربة الاتحاد السوفيتى.. وهو ما أدى لانتصار أمريكا فى الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفيتى.. لكنه فى ذات الوقت أهدى للعالم الإرهاب الإسلامى.. ممثلاً فى تنظيم القاعدة.. الذى كان المجاهدون الأفغان نواته.. والذى تحاربه أمريكا الآن".

وأضافت أن "تشارلى اصطحب معه صديقته كارول شانون التى تجيد الرقص الشرقى.. حيث قدمت وصلة رقص.. واستخدمت "السيف" بشكل مثير تحت حزام المشير أبوغزالة". وذكرت الصحيفة أن الأمن السرى وافق على اصطحاب الراقصة بالسيف إلى مقر أبوغزالة.. وأنها رقصت ووضعت السيف فوق راس ابو غزالة.. ثم وضعته أثناء الرقص على أذنه.. ثم نزلت إلى صدره ثم بطنه ثم....".

وواصلت الصحيفة قائلة "إن الحرس الخاص لأبو غزالة حاول عدة مرات توقيفها.. وأخذ السيف منها.. ولكن تشارلى كان يصرخ فيهم: "دعوها.. هذا جزء من العرض".. وهو ما وافق عليه أبو غزالة"[١٥].

---

(١٥) الرواية بكل هذه الفجاجة نظنها كاذبة ولا تتفق إطلاقًا مع هيبة رجل بثقل وشخصية أبو غزالة.. ولكن نسوقها من باب التأريخ فقط.

وأضافت أن أبو غزالة وافق فى اليوم التالى على مساعدة تشارلى والولايات المتحدة فى حربه السرية ضد الاتحاد السوفيتى.. وأكد أنه لا توجد قيود على كمية السلاح.. الذى يمكن أن ترسله مصر إلى الأفغان.

وقالت الصحيفة إن الهدف من قيام مصر بإرسال سلاح سوفيتى إلى أفغانستان كان فى إطار التمويه على قيام الغرب بمساعدة المجاهدين الأفغان.. وادعاء أن هذا السلاح تم الاستيلاء عليه من الجيش السوفيتى.

القصة تناولتها أكثر من صحيفة أمريكية.. منها صحيفة "لفكين دايلى نيوز" التى نقلت تفاصيل أكثر عن الراقصة التى تعيش حاليًا فى شيكاغو.. وتبلغ حاليا من العمر ٦٠ عاما.. وهى أم مطلقة لفتاتين تمارسان الرقص الشرقى أيضا.

السادات.. ومراكز القوى

سؤال مهم..

● هل كان صراع السادات مع مراكز القوى صراعاً على السلطة.. أم صراعاً من اجل المبدأ؟

الحقيقة التى لا شك فيها أنه كان صراعاً على السلطة.. لأن كل طرف كان يرى أنه أقدر على تحقيق المصلحة العامة وفق منهجه الخاص.. وكان يرى أنه أحق بالسلطة من الآخرين.

وفى حديث خاص لسامى شرف يتحدث فيه عن أحداث ما عرف تاريخياً بـ " ثورة التصحيح " قال:

أولاً: كانت هذه الأحداث ليلة (١٣) مايو.. وليست (١٥) مايو كما يشاع.. فنحن قدمنا استقالاتنا يوم ١٣ مايو.. والانقلاب تم فى نفس اليوم.. أى أن كل شىء تم يوم ١٣ وهو رقم «نحس» كما يعلم الجميع وهذا التاريخ لم يكن ثورة بأى شكل.. ولكن كان انقلاباً على ثورة يوليو قام خلاله السادات بالمرور على خط جمال عبد الناصر «بأستيكة» أمريكية - صهيونية.. وقامت بتمويله السعودية.. أى أنها كانت ثلاثية الأبعاد.. وهذه الثلاثية هى التى تقوم بتخريب العالم.

وما قيل عن وجود تسجيلات خاصة توافرت لدى السادات تديننا بالتآمر. فكل هذه أمور مفبركة.. فقد كنا وقتها نستخدم تليفوناً بخاصية «الكونفرانس»[١٦] وهذا نظام معروف ويقوم بالتسجيل أوتوماتيكياً ومعمول به فى البيت الأبيض وفى غيره.. وهو يسجل أى مكالمة.. وهو ما اتخذه السادات حجة لتلفيق القضية.. لكننا لم نسجل للسادات على الإطلاق ولو كنت قد سجلت له أى شىء لكنت قد علمت بأنه قابل كمال أدهم رئيس المخابرات السعودية وشقيق زوجة الملك فيصل والذى لو كنت قد علمته لكنت ذبحت السادات «بسكينة تلمة» بمبادرة فردية منى ولو شككت لحظة فى ذلك لما ترددت فى إقصائه والحقيقة أننا عندما اختلفنا مع السادات مارسنا حقوقاً دستورية وشرعية وتعاملنا معه بأخلاق لكن السياسة ليس فيها أخلاق وهو تعامل معنا بدون أخلاق واعتقلنا ووضعنا فى السجون... وقد أخطأنا فى ذلك وكان يمكننا أن نتعامل مع الأمر بسياسة وليس بأخلاق.. فقد كان يمكننا أن نشكل مجلس رئاسة مثلاً بدون أن نحرك أى جندى ونقوم بإقصائه أو نقول إنه استقال أو أنه مريض بالمستشفى وكان الفريق فوزى يستطيع ذلك ولكننا مارسنا حقاً دستورياً وتعاملنا بأخلاق وأنا أقول ذلك بكل أمانة وصدق ورجولة وأتحمل أى جزاء على ذلك فنحن أخطأنا التقدير مع السادات.

الأحداث برؤية أخرى:

ومن واقع أحد برامجه التى تحدث فيها عن أحداث تلك الليلة متعرضاً لبدايات احتكاك السادات برجال مراكز القوى.. عائداً بذاكرته إلى يوم وفاة جمال عبد الناصر.. حتى تفجر الأحداث يقول " د. محمود جامع ":

توجهت إلى قصر الطاهرة ثانى يوم وفاة عبد الناصر لمقابلة السادات.. فوجدته نائماً فى غرفة القصر ويرتدى بيجامة بلا أزرار ومظهره غير مهندم.. وكان فى شبه انهيار واضعاً وجهه بين يديه كسيراً حزيناً ..

سألته لماذا أنت منهار فرد: جمال مات.. قلت الله يرحمه.. مات الملك يحيا الملك .. أنت رئيس الجمهورية.. فرد السادات قائلاً: قبل حضورك بدقائق التقيت وفداً من

(١٦) خاصية تمكن كل من طرفىّ المكالمة من رؤية الآخر أثناء الحديث.

قيادات الجيش وهددونى بأن الجيش سيتحرك ويستولى على السلطة فى حالة تولى على صبرى رئاسة الجمهورية.. فقلت جميل.. رد السادات محتداً ومحبطاً الجيش لم يبايعنى إنهم منحازون لحسين الشافعى.. وكان حزينا لموقف الجيش الذى استبعده ولم ينحز إليه.

وبعد أن تولى السادات الرئاسة.. ذهب إليه حسين الشافعى مطالباً إياه برئاسة الحكومة ومنصب نائب رئيس ورفض السادات الأولى.. ومنحه منصب النائب مؤقتاً ثم استبعده بعدها.

وكان من الممكن أن ينتهى الصراع على السلطة بين السادات ومراكز القوى بسيناريو أسوأ كثيراً مما انتهت إليه الأحداث بالفعل .. لكن لأن مراكز القوى فى صراعها مع السادات لم تكن متحدة الأهداف مما أعطى السادات القدرة على حسم الصراع لصالحه .. وانشطرت إلى جبهتين صغيرتين برئاسة على صبرى.. وسامى شرف.. وبدأ كل فريق يلعب لصالحه خاصة فى الرحلة الجماعية للاتحاد السوفيتى والتى ضمت شعراوى جمعة وعلى صبرى ولبيب شقير وسامى شرف.. حيث اتفقوا مع الكريملين على تولى صبرى الرئاسة بعد الإطاحة بالسادات.. وعاد الجميع عدا سامى شرف الذى تخلف بحجة إجراء فحوصات طبية وأبرم صفقة تم بمقتضاها مبايعة روسيا له عقب تخلص على صبرى من السادات.. وألا تعترض على انقلابه المتفق عليه ضد على صبرى.. وقتها لم يخف «شرف» سعادته وتوجه إلى لندن لملاقاة شقيقه عز الدين الذى شغل منصب القنصل العام لمصر.. وقد حذره شقيقه من اللعب بالنار حرصا على استقرار البلاد التى كادت تدخل حربا على السلطة قد تتطور إلى حرب أهلية خاصة بعد الأحداث التى سبقت تقديم الاستقالة الجماعية والتى بدأت بعده محاولات لاغتيال السادات فشلت جميعها.

وفى كل الأحوال كان الجيش موجودا لكنه لم يكن متفق الأهداف.. فوزير الدفاع كان أحد مراكز القوى.. بينما كان الفريق «صادق» رئيس المخابرات العسكرية منحازا للسادات بجانب الليثى ناصف الذى رفض خيانة السادات.. وفطن لحيلة مراكز القوى بتعيين نائب له يكون عينا لهم على الحرس الجمهورى ورئيس الجمهورية.. وطلب

الليثى من السادات إصدار قرار بأن تكون تبعية الحرس الجمهورى لرئيس الجمهورية وحده وعزله تماماً عن الجيش.. وهو ما أتاح الفرصة لليثى ناصف التحرك والدحول بثقله فى المعركة لصالح السادات الذى استغل الاستقالات الجماعية وأعلن قبولها وطلب الليثى التحرك للقبض على مراكز القوى التى فشلت فى تقدير قوة رئيس الحرس الجمهورى الذى نجح تماما فى تأمين السادات ونقل قيادة الحرس من منشية البكرى إلى الجزيرة لتكون قريبة من بيت السادات بالجيزة.. كما كان الفريق صادق عيناً للسادات على قيادات الجيش التابعة لمراكز القوى وقدم له معلومات مهمة فيما يتعلق بعمليات الاغتيال التى فشلت فى قتل السادات.

حكاية الليثى ناصف

وقبل أن نغلق ملف " مراكز القوى " نتوقف عند علاقة السادات بشخص آخر وهو الفريق " الليثى ناصف ".. وهى علاقة شديدة الالتصاق بما حدث ليلة ١٥ مايو ١٩٧١.. فلولا هذا الرجل لما استطاع السادات أن يسيطر على الموقف.. ويحكم قبضته على الوطن الذى كان هؤلاء يستكثرون عليه أن يحكمه.. ونبدأ أولاً بتعريف من هو..

" الليثى ناصف"

اختار الرئيس عبد الناصر " الليثى ناصف " لتأسيس وقيادة الحرس الجمهورى لثقته الشديدة فى شخصه.. ثم استمر الرجل فى منصبه أيام السادات.. بعدها قام بدور مهم فى اعتقال نجوم مراكز القوى بدايةً من الفريق محمد فوزى القائد العام للقوات المسلحة وعلى صبرى.. وسامى شرف.. وأحمد كامل المسئول عن المخابرات. وشعراوى جمعة.. ولبيب شقير.. عبد المحسن أبو النور .. وغيره.. وذهب إلى السادات فى منزله ليؤدى له التحية العسكرية ويطمئنه مؤكداً له أنه أصبح منذ تلك الليلة فقط يستطيع أن يحكم مصر.. بعد أن أصبح حاكمها الأوحد. ويستطيع أن ينام ملء جفونه.. فكافأه السادات بتكريمه عام ٧٢ ومنحه رتبة الفريق وعينه كبيراً للياوران

وقائدًا للحرس الجمهورى.. وفجأة بعدها اتخذ قراراً بعزله من منصبه ونقله من السلك العسكرى إلى السلك الدبلوماسى وعينه سفيراً لمصر بلندن.. هذا الرجل عثر عليه صباح الرابع والعشرين من أغسطس ١٩٧٣ جثةً هامدةً أسفل عمارة «ستيورت تاور».. بعد أن سقط من الدور العاشر حيث كان يسكن هناك فى شقة أشارت بعض الكتابات فيما بعد إلى أنها كانت تتبع جهازاً أمنياً مصرياً.. وكان فى هذه الفترة يعالج من تكرار إصابته بدوار شديد يعتريه من وقت لآخر.. وكانت زوجته فى إحدى الغرف بالشقة فى الوقت الذى شعرت بتأخر خروجه من الحمام الذى كان قد دخله منذ وقت.. فطرقت عليه باب الحمام أكثر من مرة ولما لم تسمع إجابة فتحت باب الحمام فلم تجد زوجها.. ظنت فى البداية أنه قد خرج وارتدى ملابسه دون أن تشعر به ونزل ليمارس رياضة المشى التى كان معتاداً عليها فى هذا التوقيت من كل يوم.. بعدها بدقائق سمعت طرقاً على الباب وعندما ذهبت لتفتح فوجئت بضابط من الشرطة البريطانية يخبرها بأنه قد عثر على جثة زوجها أسفل البناية اللندنية الشهيرة.. وعندما هرولت الزوجة إلى أسفل شاهدت جثة زوجها «والشبشب» الذى يرتديه فى قدميه كما هو .. ولم تجد آثاراً لأية دماء على الجثة!!.. التبرير الشائع فيما بعد أن الليثى كان يقف فى شرفة الشقة وأصيب بدوار شديد أفقده توازنه فسقط من الشرفة.. التصور غير الرسمى للحادث على لسان الزوجة يتمثل فى اختفاء مجهولين ليلة الحادث فى مكان ما بالشقة وفى الصباح عندما واتتهم الفرصة تمكنوا من الرجل ووضعوا كمامة بها مخدر على أنفه ثم سحبوه إلى أسفل حيث قتلوه بطريقة ما وألقوه حيث عثر فيما بعد على جثته..

مبررات الانتحار..!!

فهناك من قال بأن الليثى ناصف كان مريضاً.. ومر بتراجعات وظيفية حادة بعد أن كان قائد الحرس الجمهورى واللاعب الأهم فى تصفية ما عرف بمراكز القوى فى بداية عهد الرئيس السادات.. وفجأة وجد نفسه خارج المضمار تماماً فى الوقت الذى كان يتخيل فيه بأنه أصبح الأقرب والأهم عند السادات الرجل الذى قام بحمايته وسلم له مصر على طبق من ذهب فوجئ بأنه يقصيه تماماً عن الطريق بعد صدامهما

الشهير.. وعلى حسب ما أكده الدكتور محمود جامع أحد الأصدقاء الشخصيين للرئيس السادات فى مذكراته الشخصية أن الليثى ناصف قائد الحرس الجمهورى أنقذ السادات من عدة محاولات اغتيال.. وانه أنقذ مصر كذلك من حرب أهلية حينما طلب الليثى من السادات إصدار قرار بأن تكون تبعية الحرس الجمهورى لرئيس الجمهورية وحده.. ويتم عزله تماماً عن الجيش.. وهو ما أتاح لليثى قدرة التحرك والدخول بقوة للقبض على مراكز القوى.. وقام الفريق الليثى ناصف بتقديم استقالته من ديوان رئاسة الجمهورية والحرس الجمهورى.. بعد أن أراد رئيس الديوان حافظ إسماعيل تنظيم الديوان.. بحيث لا يتصل كبير الأمناء وقائد الحرس الجمهورى بالرئيس إلا عن طريقه.. وهو ما لم يرض الليثى.. وقبل السادات استقالته على الفور.

عداء قديم!!

من ربطوا بين أشرف وتصفية الليثى ذكروا أنه كان هناك عداء كبير ومستمر بين الإثنين.. وأن الليثى كان هو المسئول الأمنى الذى يبحث وراء أشرف أثناء ممارسة كل منهما لعمله فى رئاسة الجمهورية.. ذلك الشخص الذى كان.. وما زال أحد أهم علامات الاستفهام فى تاريخ السادات.. فأراد أشرف الانتقام منه.. وقيل أنه كان يعرف بحكم عمله السابق كرئيس للحرس الجمهورى الكثير من أسرار أشرف..

السادات و" الطفل المعجزة "

حكاية الليثى تقودنا بلا شك إلى أن نفتح ملف علاقة السادات بصهر عبد الناصر.. وزوج ابنته الصغرى " منى ".. وهو " أشرف مروان " تلك العلاقة التى كانت.. ومازالت واحدة من أكثر علاقات السادات غموضاً برجاله.. كما تقودنا فى نفس الوقت لإلقاء المزيد من الضوء على أحداث تلك الليلة الفاصلة فى تاريخ السادات.. وهى ليلة ١٥ مايو.

فمن مكتبه الخاص.. وبوضعية مميزة عن الآخرين بدأت علاقة أشرف مروان بالسادات تتسع بشكل كبير.. وعندها بدأ نجمه يبزغ بشدة أكثر.. وأكثر.. تحديداً منذ ليلة الخامس عشر من مايو ١٩٧١ حيث كان دور أشرف فى تلك الليلة هو نقطة

التحول الأساسية ومحطة مهمة من أهم محطات حياته.. ففى مذكراته التى تحمل عنوان «البحث عن الذات» يحكى السادات عن هذه الليلة فيقول:

«فى الساعة الحادية عشرة إلا ثلاث دقائق من مساء ١٢ مايو ١٩٧١ جاءنى أشرف مروان وكان يعمل مديراً لمكتب سامى شرف.. يحمل استقالات رئيس مجلس الأمة.. ووزير الحربية.. ووزير الإعلام.. ووزير شئون رئاسة الجمهورية.. وأعضاء من اللجنة المركزية.. وأعضاء من اللجنة المركزية العليا.. وكان المقصود بهذه الاستقالات أن يحدث انهيار دستورى فى البلد.. قبلتها جميعا..»

بوادر أزمة مايو!

بينما تقول جيهان السادات فى مذكراتها «سيدة من مصر» عن نفس الواقعة:

كنت أشاهد أنا وأنور أخبار العاشرة وهى آخر برنامج فى ذلك اليوم حين سمعنا طرقاً على الباب.. كان الطارق هو أشرف مروان زوج ابنة الرئيس عبدالناصر وكان يعمل فى مكتب سامى شرف وزير شئون رئاسة الجمهورية.. ورحبنا بأشرف إذ كان من أصدقائنا الشخصيين ولكن ما جاء به كان الورقة الأخيرة فى الانقلاب المبيت.. وهى استقالة رئيس مجلس الشعب.. وغيرهم.. وقال أشرف «بشىء من الخجل»: إن الاستقالات ستذاع فى التليفزيون بعد بضع دقائق.. ونظر أنور إلى أشرف وهز رأسه كأنه غير مصدق.. وسألت الشاب الواقف أمامنا فى حرج: أشرف.. لماذا لم تخبرنا بذلك من قبل؟

فقال: لم يدعنى الوزير أترك مكتبى؟

وقد يكون ماقاله أشرف حقيقيًا.. فهو لم يكن إلا موظفاً عليه أن يطيع أوامر رؤسائه..

●●●

سامى شرف(*) يتحدث



أنتهى شهادة ...

ولن تكتمل الرؤية إلا بالذهاب لشهادة سامى شرف أحد أضلاع المؤامرة نفسه.. فيقول عنها فى حواره مع الكاتب الراحل «عبدالله إمام» مايلى:

عندما جاء أشرف مروان ـ وكان يعمل معى ـ لتسلم الاستقالات لتسليمها لأنور السادات.. قلت له بالنص:

"يا أشرف خذ هذه الاستقالات لتوصيلها إلى أنورالسادات بدون قيود وبدون أى شروط.. فأبلغنى أشرف بأنه لن يستطيع الاستمرار فى عمله.. فطلبت منه أن يستمر.. وقلت له: أنت تقعد حتى أطمئن إلى وجود أحد أمين فى هذا المكتب.. وأنت لست طرفاً".. أنا من حقى كوزير دستورياً أن أعرب عن رفضى لما يحدث بالاستقالة..

ويكمل سامى شرف باقى ما جرى بقوله: «عندما قبل أشرف أن يستمر ولا يستقيل كلفت سكرتيرى محمد سعيد بتسليم كل مالديه لأشرف مروان.. وقد تم هذا بعد منتصف الليلة نفسها.. كانت هذه الأوراق ثلاث شنط جلدية بها تسجيلات لجميع محاضر الاجتماعات الرسمية لجمال عبدالناصر سواء فى مجلس الوزراء أو فى اللجنة التنفيذية العليا أو فى منزله بمنشية البكرى»..

(*) سامى شرف شغل منصب وزير رئاسة الجمهورية والسكرتير الخاص للرئيس عبد الناصر وهو أحد مؤسسى جهاز المخابرات العامة.. تخرج من الكلية الحربية.. وعمل فى سلاح المدفعية.. وكلف من قبل عبد الناصر بمهام خاصة عام ١٩٥٥ عندما سافر الرئيس إلى مؤتمر باندونج فانشأ سكرتارية الرئيس للمعلومات وفى عام ١٩٧٠عين وزيراً لشئون الرئاسة وكان سامى شرف قد طلب من السادات التقاعد ٣ مرات حتى تم اعتقاله فى مايو ١٩٧١ وأفرج عنه فى مايو ١٩٨١..

حكاية خزينة عبد الناصر!!

ويروى صلاح الشاهد كبير الأمناء برئاسة الجمهورية الذى كان زميل دراسة للرئيس السادات فى مدرسة فؤاد الأول الإبتدائية فى حديثه لجريدة الغد (عدد ٤ يوليو ٢٠٠٧) أنه كانت هناك خزينتان سريتان فى منزل الرئيس الراحل عبد الناصر إحداهما كبيرة كان يوضع بها الأموال المخصصة للمصاريف السرية.. والأخرى صغيرة كان يحتفظ فيها الرئيس بالمستندات والتقارير التى تحمل قدراً كبيراً من الأهمية والسرية المطلقة القادمة فى الغالب من المخابرات والأجهزة الأمنية.. وبعد وفاة عبد الناصر أبلغت السيدة تحية زوجته المسئولين بشأن هاتين الخزانتين.. ولما كان سامى شرف يحمل مفتاحًا إضافيًا للخزينة السرية فقد كلف محمد سعيد أحد المؤتمنين لديه بالذهاب الى منزل الرئيس الراحل وإحضار تلك المستندات التى كان بعضها قد كتبه سامى شرف نفسه هو وأشرف مروان ضد السادات ورفعاها لعبد الناصر.. وكانت تلك المستندات بحسب تعبير الشاهد ـ تودى فى داهية ـ وبمجرد خروج محمد سعيد بالمستندات وانطلق بسيارته.. انطلق خلفه أشرف مروان وأطلق الرصاص من مسدسه الخاص على السيارة وتمكن من إيقافها والاستيلاء على ما حمله محمد سعيد من مستندات واستبعد منها ما يدينه وحمل الباقى إلى الرئيس السادات وكأنه يقدم له عربون إخلاص غالى الثمن يدين ويكشف له كل أعدائه..

وقد ذكرت هذه الواقعة بروايات مختلفة.. ما بين استيلاء أشرف على الخزينة بما تحتويه.. أو المستندات فقط.. وفى كلتا الحالتين أصبحت المستندات فى حوزة أشرف..

استطاع اشرف بدءاً من هذه الليلة أن يحوز على ثقة السادات بشكل كبير.. وأصبح بعدها أحد.. بل أهم المقربين منه.. حتى تم نقله للعمل كرئيس لمجلس إدارة الهيئة العربية للتصنيع.. ثم نقله للعمل كسفير بالخارجية المصرية..

أين الدليل؟

وكان لموسى صبرى الدور الأكبر فى ترويج العديد من الشائعات والهجوم المستمر على أشرف.. والغريب أنه وهو كاتب صحفى مخضرم.. المفترض فيه أنه يعرف تماماً

الفرق بين ترويج الشائعات.. وتحقيقها صحفياً وتاريخياً.. باعتباره حاول أن يرتدى ثوب المؤرخ أوعلى الأقل الصحفى العالم ببواطن الأمورلم يحاول أن يوثق ادعاءاته التى طال بها الرجل وحتى لم يتمكن من ادانته فى أى منها وإنما تركها مرسلةً بلا توثيق.. وبدأ يشن حملات متوالية وضارية ضده ويمد أعضاء مجلس الشعب وفى مقدمتهم الدكتور حلمى مراد بما يصلح لتقديم استجواب عن أعمال أشرف مكتفياً بأن يثير حول الرجل موجات ضبابية من الشكوك.. فمرة يتحدث عن تلقى أشرف مروان عمولات خاصة من صفقات أسلحة وطائرات.. ثم صفقة السيارات تم توريدها الى رئاسة الجمهورية واتهمه فيها كذباً بتلقى عمولة ثبتت براءته منها بعد تحويلها للتحقيق.. ثم القصة الأكثر بشاعة وغرابة وهى شائعة سرقة مجوهرات من حجرة أشرف مروان بأحد فنادق لندن..

(السادات.. والصحافة)

.. ولهذه الواقعة تحديداً قصة غريبة نسوقها للتأكيد على بعد غائب عن ذهن الكثيرين.. وهو علاقة السادات بالصحافة.. وإيمانه بحرية الصحافة.. فبعد أن بدأ إسماعيل فهمى يضجر من طغيان مروان على اختصاصاته كوزير للخارجية.. أخذ يسرب إلى الصحف أخباراً تمس سمعة أشرف مروان.. حدث أن اتصل عبدالحميد عبدالغنى رئيس تحرير «أخبار اليوم» فى السبعينيات به ليسأله عن خبر ما وكان الإثنان تربطهما معاً علاقة صداقة شخصية.. فأجابه إسماعيل فهمى بأن ما يسأل عنه شىء غير ذى أهمية قياساً بخبر آخر سوف يأسره به.. وعندما تحركت حواس عبد الغنى الصحفية كانت المفاجأة التى أخبره فهمى بها وهى سرقة كمية من المجوهرات تقدر قيمتها بعشرات الآلاف من الجناح الذى كان يقيم به أشرف مروان فى أحد فنادق لندن!.. والأمر يحمل فى طياته اتهاماً غير مباشر من وزير الخارجية لأشرف مروان.. وأكد وزير الخارجية لرئيس تحرير الأخبار سرية الخبر الذى لم تكن وكالات الأنباء قد نقلته وأنه تلقى الخبر بصفة رسمية وسرية.. وكتب رئيس التحرير قصة السرقة بدون أسماء.. لكن بشكل يوحى بأن المقصود بالخبر هو أشرف مروان..

ونشر الخبر فى كل من أخبار اليوم ومجلة آخر ساعة فى شكل تحقيقات مطولة وصفته بـ "الفضيحة".. وبعد النشر اتصل السادات بموسى صبرى يستوضح من المقصود بالخبر فأجابه بأنه أشرف مروان .. وكان النشر بهذا الشكل المبهم قد أثار غضب أسرة عبد الناصر بالكامل بعدما ترددت شائعات تؤكد أن المقصود بالخبر هو خالد ابن الزعيم الراحل جمال عبدالناصر الذى كان يدرس وقتها فى لندن.. وطلبوا السادات معترضين على هذا النشر المبهم وضرورة تحديد الشخص المقصود حتى لا تزيد الشائعات.. وقال السادات لموسى صبرى بحسب ما جاء فى كتابه «الحقيقة والأسطورة»:

إننى لا أجور على حرية الصحافة.. ولا أحمى أحد.. ولكننى ضد نشر الأخبار المعماة التى يمكن أن تسىء إلى أكثر من شخص.. إذا كان لديكم خبر عن شخص.. أى شخص.. وانتم متأكدون من وقائعه.. انشروا الخبر بالأسماء.. حتى لا يظلم برىء»..

حكاية كاذبة!!

.. وأمام السادات تحدى " أشرف مروان " الجميع وطالبهم بالبينة.. فكلفت أخبار اليوم "زغلول السيد" مدير مكتبها فى لندن بتحرى الحقيقة بتكليف من السادات.. وكان رد "زغلول" بعد فترة انه سعى لدى كل الجهات بما فيها الشرطة البريطانية "اسكوتلاند يارد" وبعض الجهات الأمنية السرية.. ونفى الجميع صحة هذه المزاعم.. وهنا طالب السادات "مروان" بمقاضاة أخبار اليوم.. إلا أنه اكتفى بما حدث وتيقن السادت شخصياً من براءته ورفض مقاضاتهم.. وهذه القصة تنطوى على قدر غير عادى من السذاجة فأين صاحب هذه المجوهرات ولماذا تواجدت تلك المجوهرات أصلاً فى حجرة أشرف مروان بالفندق؟ هل نسيها نزيل سابق مثلاً.. إن المجوهرات التى وصفها وزير الخارجية وقتها بأنها تساوى عشرات الآلاف من الجنيهات يقطع بأن حجمها لم يكن صغيراً حتى ينساها صاحبها هكذا وكأنه ينسى علبة سجائره.. عموماً القصة من بدايتها واضح أنها مجرد اختلاق وأكاذيب والمقصود منها فقط إثارة نوع من البلبلة.. وهذا ما تأكد فيما بعد..

الشخص المناسب..!!

ولم ييأس موسى صبرى وجماعته وذات يوم فاتح الرئيس مباشرةً دون مواربة فى موضوع أشرف مروان وسأله بتعجب واندهاش: إن الشعب يرفض أشرف مروان.. فلماذا تتمسك به؟ فرد عليه الرئيس قائلاً: أنا لا أقبل أن أمد يدى إلى أى حاكم عربى ولكننا نتعرض لمأزق مالية خطيرة.. وأشرف يقوم بهذه المهمة.. ويستطرد موسى قائلاً: إن دبلوماسية السادات التى تعتمد على الاتصال المباشر مع الرؤساء كانت تجد فى شخص أشرف مروان من يستطيع تنفيذها بدون بروتوكول وإجراءات رسمية.. فهو عندما يذهب إلى السعودية مثلاً لا يعامل وفقاً لقواعد البروتوكول.. كما أنه من الممكن أن يتحدث إلى الأمراء العرب وغيرهم بغير كلفة أو رسميات.. ويعبر لهم بكلام صريح عن التصرفات التى تغضب السادات.. أوالمطالب التى يريد السادات تحقيقها.. وفى هذا يختلف تماماً عن وزير الخارجية.. وكان السادات يجاهر بالثناء على أشرف مروان وعلى أمانته وكفاءته فى توصيل الرسائل المطلوبة وقدرته الخاصة فى التعامل مع الأمراء العرب وإقناعهم بمطالب ووجهة نظر القاهرة.. وأنه قدم لمصر خدمات جليلة قبل حرب أكتوبر ونجح فى إقناع كثير من الدول العربية بتقديم السلاح والمساعدات المختلفة..

لكن موسى الذى كان فيما يبدو يأخذ موضوع وقضية أشرف مروان بمنظور شخصى غريب لم يتوقف أمام ثقة السادات الشديدة فى الرجل.. ولا أمام تعمده تجاهل كل ما يسربونه له من شائعات عديدة وأقاويل تراكمت أمامه يوماً بعد يوم مثل اعتياد أشرف مروان لعب القمار على موائد نادى «البلاى بوى» بلندن وخسارته مبالغ مالية باهظة هناك.. وحياة البذخ التى يعيشها فى شقته الخاصة التى يملكها فى لندن.. وجعل من أشرف مروان قضيته الخاصة التى لا يمل من الضغط بكافة الوسائل على الرئيس ليأخذ موقفاً منها بالشكل الذى كان يتمناه ولا يحتمل إلا الإقالة لـ "الطفل المعجزة" كما سماه على أمين وكم كان يحلو لهم تسميته.. وزاد السادات فى تجاهله لكل تلك المحاولات المكشوفة من صبرى وحزبه..

وعندما تم إنهاء إعارة أشرف مروان للهيئة العربية للتصنيع.. ونقله إلى وزارة الخارجية.. يومها نشر موسى صبرى الخبر فى جريدة " الأخبار " الصحيفة التى كان يرأس تحريرها آنذاك بشكل فيه تشفٍ وتعمد الإساءة لأشرف تحت عنوان:"انتهاء اسطورة أشرف مروان ".. فذهبت منى عبد الناصر باكيةً لمنزل الرئيس السادات وفى يديها نسخة من الجريدة.. انفعل السادات للغاية وغضب غضباً شديداً.. وبدا وكأنه فوجئ بالأمر.. وانتقد النشر بهذا الشكل واعتبره تشهيراً متعمداً.. واخذ هو وزوجته السيدة جيهان فى تهدئتها.. وطمأنها أنه يعتبرها بمثابة ابنته.. وما لا يرضاه لابنته.. لايرضاه لها.. وأنه لا يرضى أبداً بتشويه سمعة أشرف.. وأنه سوف يرد لأشرف اعتباره بطريقته الخاصة.. والتى سوف يقطع بها ألسنة كل هؤلاء.. فلا يرضيه أبداً أن يكون إبعاد أشرف مروان فى شكل طرد له..

وفى نفس اليوم تمكن أشرف من لقاء السادات فى استراحة الهرم.. وأخبره أشرف بما يردده موسى صبرى من أن الرئيس السادات هو الذى طلب منه النشر بهذا الأسلوب.. وأن الأمر برمته ما هو إلا مؤامرة مقصودة للتشهير به لصالح آخرين.. وطلب السادات موسى صبرى تليفونياً وعنفه وأمره برفع الخبر من الطبعات التالية ووضع مكانه بياناً صادراً عن رئاسة الجمهورية جاء فيه أن الرئيس السادات قرر تعيين أشرف مروان سفيراً من الدرجة الممتازة بوزارة الخارجية كما كلفه بحمل رسائل خاصة إلى ثلاثة من الرؤساء العرب.. ونشر فى البيان أيضًا أن أشرف مروان هو الذى قدم استقالته من الهيئة العربية للتصنيع التى ساهم فى أن يقدم لها خدمات جليلة ..

وفاجأ السادات الجميع بتكريم أشرف رسمياً.. ومنحه وسام الجمهورية من الطبقة الأولى.. تقديرا للخدمات التى أداها للدولة فى حرب أكتوبر.. بحسب حيثيات قرار التكريم ومنح الوسام.. وخص من تلك الخدمات نجاح أشرف فى الحصول على قطع غيار حربية من فرنسا فى وقت كانت فيه المصانع مغلقة بسبب عطلة رسمية.. وقال السادات بالنص فى كلمته بمناسبة منح أشرف الوسام:

"إنى أمنحك هذا الوسام من الطبقة الأولى تقديراً لما قمت به نحو بلدك خاصةً فى أحلك الأوقات وأثناء معارك أكتوبر المجيدة.. ويجب أن يعلم الجميع أنه فى الوقت

الذى كانت فيه القوات الجوية فى أمس الحاجة إلى قطع الغيار لتقوم بمهامها القتالية وكانت جميع المصانع فى أوروبا مغلقةً قمت أنت بمجهودك الشخصى بتوفير قطع الغيار اللازمة لها.. مما مكن القوات الجوية من تحقيق مهامها القتالية بالكفاءة المطلوبة ".. ومن هنا انتهت علاقة أشرف مروان الرسمية بالرئيس السادات ولكن بقيت علاقتهما تدور فى إطار العلاقة الشخصية.. وكان كثيراً ما يصطحبها أشرف لزيارة الرئيس وأسرته فى بعض المناسبات الاجتماعية..

" مبارك " يستقيل.. والسبب أشرف!

ويبدو بالفعل أن أشرف كان له نفوذ غير عادى حيث ثبت أن المرة الوحيدة التى تقدم فيها النائب حسنى مبارك باستقالته من منصبه كان بتخطيط خاص منه شاركته فيه السيدة جيهان السادات وفوزى عبد الرحمن سكرتير السادات الشخصى عندما خططوا جميعاً للإطاحة بمبارك وتصعيد منصور حسن بديلاً عنه.. وتم تقليص مهام مبارك لصالح حسن.. وهو ما رفضه النائب حسنى مبارك وقتها وقام بتقديم استقالته للرئيس وذهب خارج القاهرة معتزماً اعتزال العمل العام ومصراً على موقفه.. فى نفس التوقيت صدرت مجلة الحوادث اللبنانية وعلى غلافها صورة لمنصور حسن وتحتها كتبت المجلة " الرجل القادم فى مصر " وذلك بإيعاز من محمد حسنين هيكل الذى كان قد بدأ وقتها مرحلة الصدام مع السادات.. ورأى السادات المجلة فغضب غضباً شديداً وأرسل يستدعى نائبه السابق.. وطالبه بالعودة لممارسة مهام منصبه مرةً ثانية.. ووافق مبارك بشرط عودة اختصاصاته المسحوبة منه بنص القرار الجمهورى ١١٩ فرد عليه السادات بالموافقة وأخبره بأنه سوف يلغى تماماً منصب وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية وهو المنصب الذى كان يشغله منصور حسن فيما يعنى أنه يقيله ليرضى نائبه..

أشرف يحتجز رجال الأمن فى مكتبه ..!!

وفى الفترة الأخيرة من حكم السادات وبعد أن انتهت تماماً العلاقة الرسمية بين أشرف والسادات.. وأثناء زيارة السادات الشهيرة لإسرائيل.. دبرت إحدى الجهات

الأمنية وسيلة للإيقاع بأشرف مروان وضبط معاملاته.. وبعد استئذان النيابة أعدت العدة لوضع أجهزة تتصت فى مكتب مروان الضخم الذى كان يملكه بمصر الجديدة.. ولكن أحد المنوط بهم تنفيذ العملية أبلغ أشرف مروان واستطاع أن يضبط هو الكمين المعد له وأن يصورهم أثناء تفتيشهم مكتبه.. واعتقل المكلفين بالعملية فى المكتب.. ورفض إطلاق سراحهم.. وهدد بأنه سوف يطلق عليهم جميعاً النار فى حالة محاولة اقتحام مكتبه بالقوة.. واتصلت الجهات المختصة بالرئيس السادات الذى طلبه تليفونياً على الفور وأمره بإطلاق سراحهم.. وامتثل مروان لأوامر السادات وأطلق سراحهم.. واستغل فيما بعد هذه الواقعة للتدليل على ما يحاك ضده من مؤامرات لإفساد العلاقة بينه وبين الرئيس السادات..

السادات.. والإخوان



وكنا فى البداية قد تحدثنا عن علاقة الإخوان بتنظيم الضباط الأحرار.. وهي العلاقة التى انسحبت تلقائيًا على السادات باعتباره أحد قادة هذا التنظيم.. فماذا عن العلاقة المباشرة بين السادات والإخوان؟

وهل تلاعب بهم بعد أن أفرج عنهم بقصد ضرب التيار الناصرى؟

الحقيقة أن السادات أفرج عن الإخوان بعد توليه الحكم لأسباب عدة أهمها:

١ ـ اكتساب شعبية كان عند بداية توليه السلطة فى أشد الاحتياج إليها.. والإخوان تيار مهم له قاعدته الشعبية العريضة ليس فى الشارع المصرى فحسب.. وإنما على مستوى جميع الدول العربية.. لذلك أفرج عنهم.. وأعادهم إلى وظائفهم بعد أن عذبهم عبد الناصر وفصلهم من وظائفهم.

٢- إحداث نوع من التوازن الشعبى.. بين الشيوعيين والناصريين.

٣ ـ تغيير شكل النظام بإضفاء طابع الحرية والديمقراطية عليه.

ولكن كيف بدأت علاقة السادات بالإخوان؟

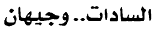
البداية عندما فكر ضباط الجيش فى عمل تنظيم للقيام بالثورة.. ووقتها لم يكن هناك ما يسمى بـ " تنظيم الضباط الأحرار " بل كان يسمى تنظيم ضباط الجيش داخل الإخوان المسلمين وكان يقوده فى ذلك الوقت عبد المنعم عبد الرؤوف.. ثم أنور السادات.. ثم عبد الناصر أى أن عبد المنعم عبد الرؤوف هو القائد الحقيقى لتنظيم الضباط الأحرار وهو الذى أطلق النار على سراى الملك.

وعندما تكوّن تنظيم ضباط الجيش داخل الإخوان ضم هذا التنظيم بالإضافة إلى عبد المنعم عبد الرؤوف والسادات وعبد الناصر كلاً من خالد محيى الدين.. وكمال الدين حسين.. ومحمود لبيب.. وغيرهم وأقسم هؤلاء الضباط على المسدس والمصحف على العمل بكتاب الله وسنة رسول الله.. ولكن عبد الناصر اختلف فيما بعد مع عبد المنعم عبد الرؤوف على نوعية المنضمين لهذا التنظيم.. فكان عبد المنعم عبد الرؤوف يرى ألا ينضم إلى التنظيم سوى الضابط المتدين العارف بكتاب الله وسنة نبيه.. ولكن عبد الناصر كان يرى أن ذلك سوف يأخذ بعض الوقت.. واحتكم الطرفان الى عزيز المصرى الذى رأى انه طالما أن الإخوان والضباط يسعون لهدف واحد فليشكل كل واحد تنظيمه.. ورغم انضمام عبد الناصر للإخوان فإنه كان يميل للشيوعية.. وانضم للتنظيم الشيوعى وكان اسمه الحركى موريس.

السادات.. وأحداث ٥ سبتمبر ١٩٨١

الذى دفع السادات لما فعله فى أحداث ٥ سبتمبر ١٩٨١ والتى بلغ عدد المعتقلين السياسيين بها ١٥٣٦ معتقلاً كان بينهم عدد كبير جدًا من الإخوان.. وأفرج عنهم جميعًا الرئيس مبارك بعد توليه الرئاسة مباشرةً؟

هل شعوره بالجبروت بفعل الانجازات التى أنجزها كطرد الخبراء السوفيت.. والعبور.. ومبادرة السلام ومنحه جائزة نوبل للسلام مناصفة مع " مناحم بيجين " رئيس الوزراء الإسرائيلى وقتها.. ومن منطلق تلك الانجازات وتسليط الأضواء عليه من جانب وسائل الإعلام وتزيين بطانة السوء أعماله كل هذا جعله يشعر بأنه لا يخطئ مما دفعه إلى سجن معظم من عارضوه بسبب معاهدة " كامب ديفيد ". أم أنه استشعر خطورة حركة المد الدينى والتيار الإخوانى.. وأنهم القوة الأولى التى تهز الكرسى من تحته.. فأراد أن يظهر لهم ـ العين الحمراء ـ وأن يعيد المارد الذى أخرجه من القمقم بيده إلى حيث كان.



السادات.. وجيهان





كيف تعرف السادات على زوجته الثانى "جيهان صفوت رؤوف".. التى عرفت فيما بعد باسمها الأشهر "جيهان السادات" وهل كانت تتدخل فى الحكم؟نجيب أولاً عن الشق الأول من السؤال الذى يعد أحد معضلات التاريخ السرى للسادات.. وهو كيف تعرف السادات على " جيهان ".. والإجابة تعد هى أقوى الدلائل على قدرات السادات الشخصية الاستثنائية من حيث تعرفه على (جيهان) وزواجه منها.. وهنا يبزغ سؤال

آخر.. وهو ما الذى يجعل مثل هذه الفتاة الجميلة.. والصغيرة.. التى تنتمى لإحدى العائلات المحترمة تجرى بعروقها دماء انجليزية تجد فى رجل "صاحب سوابق" وخريج سجون كان متهما بالاشتراك فى عملية اغتيال شهيرة فى مصر ما جعلها توافق على أن يكون شريكا لحياتها؟

فى أحد الأيام أثناء إقامته بحلوان حضر إليه صديقه حسن عزت يدعوه إلى السويس لكى يفصل بينه وبين شركائه فى عمليات تجارية بين مصر والسعودية عن طريق السويس وكان حسن عزت يريد أن يخيف شركاءه ببطل قضية أمين عثمان حديث كل المجلات والصحف.. واصطحب حسن عزت السادات إلى أحد محلات الملابس وقام بشراء بدلة وقميص له ثم توجها إلى بيته بمدينة السويس.. وهناك التقى بجيهان رؤوف ابنة عم حرم حسن عزت.. وكانت فى ذلك الوقت فتاة تبلغ من العمر الخامسة عشر عامًا وكانت فتاة جميلة مثقفة قرأت وسمعت الكثير عن بطولات السادات فى محاربة الفساد والنضال للحصول على حرية بلاده.. وذلك من كثرة نشر صوره فى قضية أمين عثمان. بعد هذه الزيارة عاد السادات إلى القاهرة وبدأ البحث عن عمل.. فذهب إلى صديقه إحسان عبد القدوس ليساعده فى الالتحاق بعمل مناسب.. وبالفعل تم تعيينه كمحرر «ديسك مان» مهمته إعادة صياغة الموضوعات بشكل صحفى جذاب بدار الهلال.. وبتكرار اللقاءات بينه وبين جيهان فتن السادات بظرفها وجمالها وحسن حديثها بصورة لم يرها فى أى سيدة أو فتاه أخرى كما بادلته هى أيضا هذه المشاعر حيث بادرت هى بالاعتراف له بهذه المشاعر.. وذلك ما جعله يفكر فى كيفية زواجه الأول وهو لا يزال صغيرًا.. وزوجته لا تهتم بالسياسة ولا بالثورات.. بل حياتها كلها انصبت فى أطفالها وكيفية إطعامهم.. كما كان يكفيها الفخر بأن زوجها ضابط بالجيش المصرى.. وكانت غير راضية على أنشطته الخطيرة التى تعرضه كثيرا للسجن.. وهذا ما جعله يفكر جديا لاتمام زواجه الثانى.. ومر مشروع الزواج هذا بعقبات شديدة حيث كانت جيهان فتاة لم يسبق لها الزواج من قبل وكانت تصغره بخمسة عشر عامًا كما أنها جميلة ومثقفة وابنة لأم إنجليزية.. ورغم كل هذه

العقبات إلا أنه استطاع أن يحصل على موافقة والديها بعد أن قدم لهما الوعود بالسعى للعودة لعمله كضابط جيش.. والبعد الكامل عن العمل السياسى كما ساعد حماس جيهان للارتباط به فى الحصول على تلك الموافقة. وفى أوائل ١٩٤٩ اختلف حسن عزت مع شركائه بالسويس وانتقل للإقامة بالقاهرة.. كما طلب من السادات أن يشاركه فى الأعمال الحرة "المقاولات".. وكان من الصعب أن يرفض السادات مد يد العون إلى صديقه القديم الذى طالما وقف بجواره فى محنه المتواصلة.. وبالفعل قدم استقالته من دار الهلال.. ثم انتقل إلى مدينة الزقازيق بمحافظة الشرقية لمتابعة العمل بها وأخذ معه عروسه الجديد وذلك فى ٢٩مايو ١٩٤٩.

إذا كان السادات باختصار هو العريس غير المناسب لفتاة مثل جيهان فهو كان فوق ذلك متزوجا من قبل ولديه أولاده بالإضافة انه لم يكن على قدر من الوسامة.. ولم يكن يملك ثروة بل كان يعمل فى بعض الأعمال هنا وهناك مع صديق سجنه السابق حسن عزت.. إن رجلا بهذه الصفات وعلى هذا الحال ما كانت لتقبل به فتاة فقيرة الحال والمظهر فى أية قرية مصرية فكيف قبلت به جيهان الجميلة ذات المستوى الاجتماعى المحترم؟

الإجابة الوحيدة أنها بلا شك إنها قد رأت فى هذا الرجل شخصية فذة طغت على كل السلبيات الظاهرية وسوابقه وشكله وفقره.. ورأت فيه.. وفى حياته وتاريخه قدرات استثنائية جعلتها تؤمن بأن من الممكن أن يكون له مستقبل باهر.. وقد أثبتت الأيام صدق حدسها.

والشق الثانى من السؤال نستطيع أن نرجعه إلى أن " جيهان السادات ".. أو كما كان يطلق عليها فيما بعد "سيدة مصر الأولى" كانت تعشق الأضواء.. وعدسات الكاميرات.. تماماً مثل زوجها.. لكن إلى حدً لا يسمح لها بأى تجاوز .. فلم تكن طبيعة السادات القروية لتسمح له بأن يترك لزوجته الحبل على الغارب.. وبالتالى لم تكن لتستطيع التدخل فى شئون الحكم.. وما ساعد على إعطاء هذا الانطباع الخاطئ للبعض هو أن العديد من الوزراء كانوا يحاولون دائما إظهار الولاء لجيهان التى كانت ترافق

السادات فى كل تحركاته الرسمية.. وغير الرسمية.. داخل مصر وخارجها.. وكانوا يستجيبون لمطالبها.. ويتطوعون لتقديم فروض الطاعة.. والولاء لها.. حتى قيل إن أحد الوزراء كان كلما يتقابل معها يأخذ فى إلقاء النكات لإضحاكها.. أما السادات نفسه فكان لا يسمح لها بالتدخل فى شئون الحكم والدليل على هذا أنها كانت تكره ممدوح سالم ورغم ذلك عينه السادات رئيسا للوزارة وكانت تحب سيد مرعى ورغم ذلك لم يحتل مناصب متميزة إلا بما كان السادات يرى أنه يستحقه.

هل كانت جيهان السادات تتجسس على زوجها؟

وقيل أن جيهان كانت تتجسس على تحركات زوجها عن طريق سكرتيره الشخصى "فوزى عبد الحافظ" وهذا كله أيضاً كان من قبيل الادعاءات التى فضلاً عن كونها لاتستند إلى وقائع معلومة.. وشيئاً لا يليق بدولة يحكمها داهية سياسى من نوعية السادات.. إلا أنه لايستطيع أحدٌ أن يؤكدها.. أو ينفيها وتبقى فى جعبة الأقاويل المرسلة.



علاقته بـ "كمال أدهم"[١٧]

قيل إن اسم " السادات " ارتبط ارتباطاً غامضاً بكل من " كمال أدهم ".. والـ " C.I.A ".. وأن العلاقة بينه.. وبين

(١٧) كمال ادهم هو صهر الملك فيصل.. عمل فيما بعد رئيساً للمخابرات السعودية. درس فى الإسكندرية بمصر أوائل الخمسينيات فى كلية كانت تسمى (كلية فكتوريا) قيل إنها كانت احد أهم مراكز المخابرات البريطانية فى الوطن العربى آنذاك.. حيث كانت تعمل على تجنيد وتخريج العملاء الموالين لبريطانيا... وزامله فى دراسته (الملك حسين) ملك الأردن الراحل.. و(عدنان خاشقجى) الذى اصبح فيما بعد من أهم تجار السلاح فى العالم.. وعمل كقناة سياسية لكواليس السياسية العربية لتمرير صفقات الحكام العرب الخاصة.

المخابرات الأمريكية تحديداً بدأت منذ عام ١٩٥٩ أى بعد قيام الثورة.. وأثناء تواجده فى صدارة مجلس قيادتها.. ولذلك قصة مفادها أن العلاقة بدأت بين السادات.. وكمال أدهم عندما التقى الاثنان فى مقر منظمة المؤتمر الإسلامى بالمنيل فى القاهرة عام ١٩٥٩.. وكان كما أدهم ممثل السعودية المفوض فى المؤتمر.. وفى عام ١٩٧٦ نشرت مجلة " الواشنطن بوست " مقالاً للصحفى الأمريكى الشهير " بوب وودوارد " وثيق الصلة بالمخابرات المركزية الأمريكية تحدث فيه عن علاقة جمعت بين السادات.. وأدهم.. والمخابرات الأمريكية فى هذا التوقيت.. ومن خلال مقر المؤتمر.. وهو نفسه ما أكده " محمد عبد السلام الزيات " نائب رئيس الوزراء المصرى فى كتابه " السادات.. بين القناع.. والحقيقة "

السادات.. والـ "C.I.A"

إذن المسئول الأول عن تفجر هذه المعلومة.. وأن السادات كان عميلاً للمخابرات الأمريكية منذ منتصف الستينيات.. وكان يتقاضى مقابل ذلك مبالغ مالية هو صحيفة "واشنطن بوست ".. وايضاً لا يستطيع أحدٌ أن يحدد ما إذا كان هذا حدث بالفعل.. أم لا.. لكن ما ينفى هذا من الأساس هو أن المخابرات الأمريكية التى تُخرج مستنداتها للنور كل ربع قرن.. لم يحدث أن تناولت هذا الموضوع من قريب أو بعيد بشكل رسمى.. إلا أن هناك رواية شهيرة بطلها " أمين شاكر " أحد الضباط الأحرار والذى كان يشغل مدير مكتب عبد الناصر وأحد المقربين له.. والذى عمل أيضاً خلال فترة من حياته سفيراً لمصر فى بروكسل نشر كتاباً ذكر فيه انه عندما كان يشغل منصب سفير مصر فى بروكسل اتصل به السفير السوفيتى واخبره بأن المخابرات السوفيتية جندت بعض المسئولين كعلى صبرى والفريق محمد فوزى وسامى شرف للعمل معها.. وعندما استمع إلى هذا طار إلى القاهرة وأخبر عبد الناصر بما حدث.. ولم يفعل عبد الناصر شيئاً وقيل إن عبد الناصر كان يبقى بعض رجاله رغم انحرافاتهم فى مناصبهم حتى يستطيع السيطرة عليهم وعلى نفس الصعيد كشفت صحيفة "كورييرديلا سيرا" الإيطالية عن عمليات تجسس قامت بها مشاركةً وكالة

الاستخبارات الأمريكية "CIA" والمخابرات الإسرائيلية "الموساد" للتجسس على رؤساء عرب من بينهم الرئيسان الراحلان جمال عبد الناصر وأنور السادات.. رغم ما كانا يحظيان به من إجراءات أمنية مشددة.. أو هكذا كانا يتخيلان.. ففى تقرير لها تحت عنوان "التجسس على رؤساء الدول العربية".. ذكرت الصحيفة أن الحالة النفسية للرؤساء العرب ظلت تشغل دومًا بالـ " "CIA و"الموساد".

وأكدت نفس الصحيفة "أن الـ "CIA" قام بالتجسس على الرئيس السادات بعد قيام الثورة الإيرانية خوفًا من إبرامه أى معاهدة مع قائد الثورة الإسلامية الخمينى.. مشيرة إلى أن السادات كان يصاب دائما بنوبات من القلق العصبى الشديد فى الليل كما أنه كان يدخن بشراهة فى الأوقات العصيبة.. استنادًا لتقارير المخابرات الأمريكية".(١٨)

■■■

(١٨) لم يكن السادات.. ولا عبد الناصر فقط هم من تتجسس عليهما المخابرات المركزية الأمريكية.. فقد ذكرت نفس الصحيفة أن الـ " "CIA قامت بالتجسس على الزعيم الليبى معمر القذافى فى فترة الثمانينيات ورصدت حالته النفسية فى ذلك الوقت.. حيث قال أحد تقارير المخابرات الأمريكية عنه.. إنه بسبب ظروف خاصة تعرض لها فى طفولته.. فإنه امتص بشكل مبالغ فيه الخصائص البدوية المتمثلة فى المثالية الساذجة.. والتعصب الدينى.. والإحساس الحاد بالكرامة.. والتقشف وكراهية الأجانب.. والحساسية تجاه الإهانات.. وأضاف تقرير الصحيفة الإيطالية أن القذافى واجه اضطهادا من أهل المدينة خلال سنوات دراسته الأولى مما أدى إلى خلق نوع من النفور الحاد من النخبة المستقرة والتزام صارم بأشكال الحياة البدوية ومناصرة المقهورين والمضطرين..



4

السادات رئيساً.. وعلاقات أخرى حيرت الجميع!

■■



■■

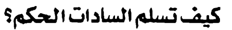
تسلم السادات الحكم.. والوطن مجروح بأثر طعنة.. وهزيمة يونيو ٦٧ .. لكن بقدر ما نجح وبرع السادات فى محو هزيمة ٦٧ وحقق حلم الانتصار.. والعبور.. بمقدار ما فشل فى الحفاظ على ما حققته الثورة من حركة نهوضية تحررية باهرة.. وبدلاً من أن يغذى ويرعى النهضة الجريحة قام بتغيير مسار الثورة المصرية بشكل حاد ومضاد بإطلاقه يد الجماعات الإسلامية المتزمتة التى انطلقت هائجة فى الشارع والجامعة.. ومكاتب العمل والنقابات العمالية والمهنية.. واتحادات الطلاب وإدارات تحرير الصحف.. وراحت - بتشجيع من السادات الذى توهم فيها سندا له وقوة شعبية تحميه من الناصريين - تستحوذ على مواقع النفوذ فى هذه كلها بمزيج من الترغيب والترهيب مستخدمة النداء الدينى الذى يصعب على معظم الناس مقاومته.. وهكذا راح المجتمع المصرى الذى كان على قدر ما من العلمانية(١٩) يتحول تدريجيا إلى مجتمع دينى متزمت مغلق. ثم بمرور الوقت راحت الفورة الدينية تشتد وتغلى حتى أصبحت الحياة العامة فى مصر فى شبه حالة من الهوس الدينى.

ومع صعود مظاهر الهوس الدينى انتشرت الزوايا والمصليات فى كل عمارة سكينة للحصول على إعفاء ضريبى.. وانطلقت الميكروفونات فى الشوارع تصدح بالخطب والمواعظ الدينية التى يتسم معظمها بالتشدد والتزمت والعدوانية على الآخرين من "الكفار".. وانتشرت الكتب الدينية السطحية التى تنشر الخرافات وتتحدث عن السحر والشعوذة والعفاريت والجن والقبور والحوريات واختفاء عيون التراث الفكرى الاسلامى

(١٩) العلمانية كما هو معروف مصطلح يعنى فصل الدين عن السياسة.

لمجددين ومفكرين مثل ابن رشد والكواكبى ومحمد عبده وغيرهم.. وانتشار الكاسيتات الدينية وتوزيعها فى حافلات النقل العام بل وانتشار الواعظين والواعظات فى هذه الحافلات ليصبوا على الراكبين المتعبين المساكين التهديد والوعيد بالجحيم وعذاب القبور لمن لا يتبع طرقهم ويستسلم لاساليبهم. من هذا المناخ الذى خلقه السادات وأشرف عليه نمت وترعرعت حركات الجهاد الاسلامى والدعوة الإسلامية وكافة حركات التطرف الاسلامى التى تحولت تدريجيا إلى حركات إرهابية تغتال المعتدلين من المسلمين من رجال دين وفكر وتقتل وتروع الأقباط فى سلسلة من الحوادث التى بدأت بعد تولى السادات الحكم بحوالى عام واحد فى حادثة حرق كنيسة الخانكة ومازالت حتى اليوم.





كيف تسلم السادات الحكم؟

تولى السادات الحكم فى أصعب ظروف يمكن أن تواجه رئيساً.. فعملياً كان السادات فى نظر الجميع هو أضعف رجال الدولة نفوذا.. وجاء ليحكم بلدا مهزوما عسكريا وأرضه محتلة.. وخيرة شبابه موجودة على الجبهة فى تجنيد إجبارى غير محدد المدة.. والجميع معلقون على قرار بقيام الحرب لا يعلم أحدٌ كيف.. ولا متى يصدر.. واقتصاديا كان البلد فى حالة شلل اقتصادى تام بعد أن توقفت جميع مشروعات التنمية لخدمة المعركة والجيش.. ويتحمل هذا الاقتصاد نتائج فترة سابقة من الحكم تمخض عنها مسئولية الدولة الكاملة عن المواطن فى أمور حياته.. ومن ناحية أخرى كان يوجد على ارض الدولة قوات لدول أجنبية.. بعضها يأخذ أومره من قيادة الدولة مثل الطيارين الكوريين الشماليين الموجودين فى بعض المطارات.. وبعضها كان يأخذ أوامره من بعيد كقوات الدفاع الجوى

السوفيتية.. وبعضها كان يتولى المشورة دون أى مسئولية كالمستشارين السوفيت المتواجدين حتى مستوى الوحدات.

و نفسياً: كان من الصعب على الشعب المصرى أن يجد شخصاً يملأ الفراغ الذى تركه رجل بحجم.. وزعامة جمال عبد الناصر.. ولامجال للمقارنة بين رجل من طبقت شعبيته وزعامته ـ ولا تزال ـ على الجميع.. ورئيس جديد لم يكن أحدٌ يتخيل أنه يستحق ما صول إليه.. وتأرجحت مشاعر الشعب - مع كل هذه الضغوط الاقتصادية والعسكرية والنفسية - ضد ومع السادات فى فترات مختلفة لنجد الشعب ضده فى الفتره من ١٩٧١ وحتى ١٩٧٣ (و هى فترة انتظار واستعجال الحرب) ثم نجد الشعب معه فى الفتره من ١٩٧٣ حتى ١٩٧٧ (و هى فتره الحرب نفسها وانتظار نتائجها) ثم نجد الشعب ضده فى الفترة من ١٩٧٧ وحتى ١٩٨١ و هى فتره التحولات الاقتصادية الكبرى وكذا حركة السلام والتغييرات الحادة فى اتجاهات السياسة المصرية.

لكن استطاع السادات فى الفترة من الخامس عشر من مايو ١٩٧٠ وحتى.. اغتياله عام ١٩٨١ أن يقضى تماماً على كل خصومه.. ومنافسيه السياسيين باقتدار.. أن يصحح الوضع العسكرى المصرى.. وأن يحول دفة الاقتصاد المصرى من الاقتصاد الموجه الى الاقتصاد الحر.. لكنه فى المقابل.. ودون أن يدرى قضى تماماً على الطبقة الوسطى فى المجتمع المصرى.. وهى دعامة أى مجتمع صحى وسليم.

وإن كان قد نجح فى القضاء على خصومه السياسيين.. ممن كانوا يطمعون فى الكرسى الذى يجلس عليه.. فقد صنع السادات على الجانب الآخر ـ لنفسه وبنفسه ـ أعداء داخليين ابتداء بالتيارات السياسية المعلنة والسرية.. وانتهاء بأخطر أعدائه الذين رباهم بنفسه وهم الجماعات الأصولية المصرية وتحولت الجبهة الداخلية السياسية المصرية إلى تيار متوحد فى الهدف وهو معاداة السادات ومختلف فى الغرض اشد الاختلاف لحد التعارض.. ابتداء من اقصى اليسار.. إلى أقصى اليمين.. ووقف باقى الشعب تحت ضغط الحاجة.. والفقر متفرجا على ما يدور حوله من ألعاب سياسية.

السادات.. وأحداث ١٨ ، ١٩ (يناير)

كان السادات يحلو له أن يطلق على هذه الأحداث " انتفاضة حرامـ ية ".. بعد أن أطلق عليها معارضوه تسمية " انتفاضة شعبية ".. واندلعت هذه الأحداث حين خرج المواطنون من الإسكندرية إلى أسوان.. ثائرين.. محطمين.. ومدمرين كل ما تقع عليه أيادهم من سيارات.. أو مبانٍ حكومية وغيرها.. وذلك رداً على ما أعلنته الحكومة من رفع لأسعار السلع الغذائية بصورة فجائية.. وقتها كان الرغيف بقرش صاغ وكيلو اللحم بـ ٦٥ قرشاً .. وأنبوبة الغاز بنفس الثمن.. وكيلو الأرز بخمسة قروش وزجاجة الزيت بـ ١١ قرشاً وكيلو السكر بـ ١٢ قرشاً.. وكان السادات وقت وقوعها متواجداً هو وزوجته السـ يدة " جـ يهان السادات " فى أسوان.. وحينما وقعت المظاهرات تهرب كل الوزراء من مسئولياتهم وطلب السادات من وزير الحربية نزول الجيش إلى الشوارع فرفض إلا بعد صدور أمر مكتوب من السادات.. وهنا كان للواء نبوى اسماعيل موقف حكيم.. فعندما وجد أن المظاهرات يصعب السيطرة عليها بواسطة قوات الشرطة طلب السادات تليفونياً برغم انه كان فى ذلك الوقت مدير مكتب وزير الداخلـ ية وطالبه بضرورة تدخل الجيش حتى يمكن السـ يطرة على الموقف.. عندئذ اتصل السادات بنائبه حسنى مبارك وطلب منه نزول الجيش إلى الشوارع.. وبناء على ذلك اتخذ مبارك موقفا ذكـ يا يحسب له عندما أمر بنزول قوات رمزية من الجيش إلى الشوارع مع إعطائها أوامر مشددة بعدم إطلاق النار على المتظاهرين ولولا هذا لما أمكن السـ يطرة على الموقف.. وصدرت أوامر عليا بحظر التجول فى الشارع بعد السابعة مساءً.. وقد أجبرت الأحداث السادات على التراجع عن قراره لأول مرة فى حياته.

السادات.. وأخطر العلاقات!

فى هذه الفترة.. وعلى الجانب الآخر كانت للسادات علاقاته المريبة بالعديد من الشخصـ يات الأخرى.. وهى علاقات تحوم حولها العديد من علامات الاستفهام.. ونستطيع القول إن كل علاقة من هذه العلاقات كانت بمثابة مسمار دقه السادات بيده فى نعش حـ ياته.. وهى علاقات أحـ ياناً تبدو منفصلة.. وأحـ ياناً أخرى تبدو متداخلة

بشكل خطير.. وفى مجملها كانت بمثابة منعطفات خطيرة.. ونبدأ هذا الفصل بعلاقة السادات بـ:

عثمان أحمد عثمان:



بلغ نفوذ عثمان أحمد عثمان فى عهد السادات إلى درجة ان إحدى النكات التى شاعت فى ذلك الوقت هى نكتة جرت وقائعها فى فصل دراسى حيث سأل الأستاذ أحد التلاميذ: من هو مؤسس الإمبراطورية العثمانية؟ فأجاب التلميذ على الفور: عثمان أحمد عثمان. وكان عثمان أحمد عثمان قد أصبح بالفعل فى مصر دولة داخل دولة على حد تعبير الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل وأحيانا دولة فوق الدولة خصوصا بعد أن تزوج ابنه من كريمة الرئيس السادات.. فمن هو عثمان أحمد عثمان؟.. هو مهندس مصرى من مواليد ٦ أبريل ١٩١٧ بالإسماعيلية.. حصل على بكالوريوس الهندسة فى عام ١٩٤٠.. وهو من أشهر شخصيات عهد السادات.. بدأ اسمه يبزغ على الساحة عندما ساهم بشركته التى أسسها وهى " شركة المقاولون العرب " التى كان يزهو دائماً بأنه أسسها بمبلغ ثلاثين جنيها بنى بها إمبراطوريته[٢٠] وشركاته.. فى بناء السد العالى عام ١٩٥٨.. وهى تعد أكبر شركة مقاولات عربية فى الستينيات وحتى الثمانينيات.. وفى نفس الوقت.. وفور قربه من "الرئيس السادات" ارتبط الاثنان بعلاقة نسب.. ومصاهرة عندما تم زواج ابنه (محمود) من ابنة الرئيس أنور السادات (جيهان) فى نوفمبر ١٩٧٨.

وعندما تم تأميم شركة "المقاولون العرب" فى عام ١٩٦١ تأميما نصفياً.. ثم فى عام ١٩٦٤ أممت الشركة تأميماً كلياً.. وتم تغيير اسمها من "الشركة الهندسية للصناعات والمقاولات العمومية" إلى "المقاولون العرب «عثمان أحمد عثمان» وشركاه"..

---

(٢٠) طوال فترة رئاسة السادات كانت مجلة فوربس الأمريكية تورد اسم عثمان احمد عثمان ضمن أغنى ٤٠٠ شخصية فى العالم.

احتفظ بمنصبه كرئيس لمجلس إدارتها مستغلاً نفوذه وعلاقاته فى بقائه رئيساً لمجلس إدارة الشركة بالرغم من تأميمها تأميما نصفيا ثم كليا بعد ذلك.. بل واستثناء الشركة من شرط تمثيل العاملين فى مجلس الإدارة.. كما عمل على تقريب أفراد عائلته.. ومنحهم المناصب الكبرى بالشركة حيث كان حوالى نصف أعضاء مجلس الإدارة منهم.

وفى أكتوبر ١٩٧٣.. وقبل مصاهرة السادات وعثمان عينه السادات وزيرًا للتعمير.ثم فى ٢٦ سبتمبر ١٩٧٤ وزيراً للإسكان والتعمير (وزارة د. عبد العزيز حجازى).. وفى ١٦ مايو ١٩٧٥ وزيراً للإسكان والتعمير (وزارة ممدوح سالم) يونيو ١٩٧٦.. حتى خرج من الوزارة فى ٢ يناير ١٩٧٧..ليتم تعيينه أميناً عاماً للحزب الوطنى بالإسماعيلية.و فى مارس ١٩٧٩ تم انتخابه نقيباً للمهندسين.. ثم انتخب عضواً فى مجلس الشعب ١٩٧٩ إلى ١٩٩٠.. قبل وفاته فى ١ مايو ١٩٩٩.

بداية علاقته بالسادات:

احتاج السادات لإصلاح وترميم بيته فى الهرم.. فتولت شركة " عثمان أحمد عثمان " العملية.. وتقاضى نظير ذلك مبلغ ثمانين جنيهاً فقط[٢١].. ومن هنا بدأت العلاقة.. والصداقة بين الاثنين.. وعندما عينه السادات وزيراً للتعمير عام ١٩٧٣ بدأ دون كلل يدير الوزارة بعقلية المقاول دون بعد سياسى أو اجتماعى ففجر أزمة الإسكان التى لازلنا نعانى منها حتى الآن.. ثم تمددت سطوته حتى سيطر تماما على الحياة الاقتصادية فى مصر طوال حياة صديقه وصهره "أنور السادات" أى أنه جامل "أنور السادات" فى فيللا.. فجامله السادات فى وطن.

عثمان يقدم رشاد عثمان إلى السادات:

نستطيع القول إن "عثمان أحمد عثمان" كان بمثابة الأب الروحى لنجوم نستطيع أن نطلق عليهم مسمى " الهاربون بأموال مصر ".. فمن تحت عباءته خرج أولهم وأشهرهم "توفيق عبد الحى" وآخرون منهم "هدى عبد المنعم".. بل إنه هو الذى قدم "رشاد عثمان"

---

(٢١) ضآلة المبلغ بالطبع تعكس أشياءً كثيرة لها مدلولها.

فى إحدى الأمسيات إلى "أنور السادات".. ومن هنا جاءت العبارة التى ربطت بين الاثنين ويتندر بهاالمصريون حتى الآن حين طلب الرئيس من رشاد أن " يخلى باله من الإسكندرية " ويجعلها أحسن من بيروت.. وقيل إن عثمان هو الذى كان يعين الوزراء ورؤساء تحرير الصحف ويحدد أيضا الرابح والخاسر فى لعبة السوق.

توفيق عبد الحى:

كان "توفيق عبد الحى" يعمل أثناء دراسته كمندوب للإعلانات فى جريدة "الطلاب" وكانت جريدة معتدلة عرف عنها شدة انتقادها لكل من "أنور السادات" وتابعه "عثمان أحمد عثمان " وسياسة الانفتاح التى كانت تسميها " سياسة الإنفشاخ ".. وفكر "عثمان" أن يضرب الجريدة عن طريق مندوبها "توفيق عبد الحى".. فأسس له جريدة باسم "صوت الطلاب" لا هم لها سوى مدح "أنور السادات" و"عثمان".. ومهاجمة الجريدة الأخرى.. والقائمين على تحريرها.. وأغدق "عثمان" المال على "توفيق" وجريدته حتى اختفت الجريدة الأصلية تحت وطأة الأزمات الخانقة.. وبقيت الجريدة المزيفة تنافق السادات وعثمان حتى ملها الناس وانصرفوا عنها فأغلقت أبوابها هى الأخرى.. فأصدر له عثمان جريدة من أموال وزارة التعمير باسم "التعمير" وكان يتم توزيعها بالأمر.

حكاية شركة " إريك ":

كان السادات يتمتع بحس لغوى عال.. لذلك كانت تستوقفه.. وتستهويه العبارات.. والألقاب الطنانة والرنانة.. على شاكلة " الأمن الغذائى ".. " بطل الحرب والسلام ".. و"انتفاضة حرامية " إلى آخره من تلك العبارات التى كانت من لزمات الخطاب الساداتى بشكل عام.. وكان "عثمان" يعرف ذلك جيداً فى رب نعمته " السادات ".. وذات يوم لعب فى رأس عثمان تعبير جديد أعجبه.. أسر به للسادات.. وسرعان ما تحول هذا التعبير اللغوى إلى سياسة دولة.. توضع له الخطط.. وترصد له الميزانيات.. كان هذا التعبير هو "التنمية الشعبية".. وأنشأ له شركة خاصة سميت شركة "أريك" [٢٢] وأقيم لها

---

(٢٢) غير معروف المقصود بالتسمية.. ولكن الأقرب أنها كانت اختصارًا لمجموعة من الأسماء كعادة مثل هذه الشركات عند اختار مؤسسيها لأسمائها التجارية.

مجانًا ١٥٢ منفذًا للبيع فى أهم الأماكن وكان معظمها _ مع الأسف _ مخالفًا للقانون والغريب أن "عثمان" و"عبد الحى" اللذان اقتنصا الملايين بسبب هذه النفحة الساداتية لم يدفعا فى هذه الشركة إلا خمسة آلاف جنيه فقط.

عثمان بعد اغتيال السادات:

تلاشى نفوذ "عثمان أحمد عثمان" بعد اغتيال السادات.. وحدث أن تمكنت الجمارك المصرية من ضبط شحنات دجاج فاسدة كانت قد تم استيرادها بمعرفة شركة " إريك " التى كان المسؤل عنها وقتها " توفيق عبد الحى ".. وتبين أنها حتى لا تصلح سماداً للتربة أو طعاماً للكلاب (بحسب نص التقرير).. وحتى هذا الوقت كانت شركة " إريك " قد أدخلت باسم " التنمية الشعبية " ١٠٥ شحنات دجاج ضخمة من محارقها فى الخارج إلى بطون المصريين.. وتبين أن أفضل الشحنات كانت منتهية الصلاحية من سبع سنوات.. وتبين أن "توفيق عبد الحى" نهب ملايين البنوك بضمانات وهمية وأنه حتى لم يسدد للدولة جنيها واحداً كضرائب.. ورغم ذلك فقد وجد "توفيق عبد الحى" من ينبهه إلى أن أمرا من النيابة سيصدر بالقبض عليه.. فهرب الرجل إلى اليونان ليكون باكورة طابور الهاربين وهو الطابور الذى بدأ به ولم ينته للآن.

فلوسنا واحنا أحرار فيها:

كان من بين البنوك التى نهبها "عبد الحى" بنك المهندس الذى يشرف عليه "عثمان" ويمتلك أغلب أسهمه ورأس ماله ورغم ذلك قال "عثمان" للصحف: "فلوسنا وإحنا أحرار فيها".. المفارقة شديدة السخرية فى هذه القضية هى أن المحامى العام لنيابات الأموال العامة الذى كان مسئولاً عن التحقيق فى فساد "توفيق عبد الحى" هو نفسه المستشار "ماهر الجندى" الذى تمت إدانته فيما بعد فى قضايا فساد أخرى.. وقت أن كان محافظاً للغربية ثم محافظاً للجيزة.. وأثناء تحقيقه فى قضية توفيق عبد الحى استبعد "الجندى" من التحقيقات الذين الوزراء الذين تورطوا وتواطؤوا مع "توفيق عبد الحى".. وجاء ذكرهم فيما بعد من خلال بعض الكتابات التى تعرضت للقضية.. وإن كنا هنا نتعرض لأسمائهم فذلك من باب التأريخ للحدث.. وليس من باب الاتهام الذى لم

يطولهم رسمـ يأ.. وهم على سبيل المثال " وجـ يه شندى " وزير السـ ياحة الأسبق.. والمهندس "سالم محمدين سداد الدين " وزير الصناعة الأسبق.. وغيرهما.

نهاية عثمان أحمد عثمان:

ثم أصيب "عثمان أحمد عثمان" بالزهايمر وقبل أن يتوفى رفع عليه أحد ابنائه قضـ ية حجـر.. ثم توفى الرجل الذى كان ملكاً غـ يـر متوج على مصـر طوال فترة السبعينيات.

الفريق سعد الدين الشاذلى



يوصف الفريق سعد الدين الشاذلى المولود فى قرية شبراتنا بمركز بسيون التابع لمحافظة الغـربيـة فى أبريل ١٩٢٢..بأنه الرأس المدبر للهـجـوم المصـرى الناجح على خط الدفـاع الإسرائيلى بارليف فى حرب أكتوبر عام ١٩٧٣.. لكن يوصف أيضـاً فى نفس الوقت بأنه كـان الشوكة التى تقف فى " زور " السادات.. بعد أن تفنن الرجل فى عصـ يانه.. وتحديه للسادات فى الوقت الذى كان السادات ينظر إلى نفسه بأنه " رب العائلة ".. أو كما كان يصفه معارضوه بـ " الفرعون" .. فمن هو سعد الشاذلى؟

تمتّع الشاذلى بمهارات بارزة كرجل عسكرية محترف.. وثقة شديدة فى النفس ـ وصفها البعض بأنها مستحقة.. والبعض الآخر بأنها تصل لحد الغرور ـ وكان له تاريخه العسكرى المتمـ يز.. ففى بدايات حـ ياته العسكرية حظى الشاذلى بشهرة كبـ يرة لأول مرة عام ١٩٤١ عندما كانت القوات المصرية والبريطانية تواجه القوات الألمانية فى الصحراء العربية.. وعندما صدرت

الأوامر للقوات المصرية والبريطانية بالانسحاب.. بقى الملازم الشاذلى ليدمر المعدات المتبقية فى وجه القوات الألمانية المتقدمة.. وفى عام ١٩٦٧ أثبت الشاذلى كفاءته العسكرية المتفردة مرة أخرى عندما كان يقود وحدة من القوات المصرية الخاصة فى مهمة لحراسة وسط سيناء.. ووسط أسوأ هزيمة شهدها الجيش المصرى فى العصر الحديث.. وهى هزيمة يونيو.. وانقطاع الاتصال مع القيادة المصرية.. نجح الشاذلى فى تفادى النيران الإسرائيلية.. والعودة بقواته وجميع معداته إلى منطقة تجمع الجيش المصرى سالماً.. وكان الشاذلى آخر قائد مصرى ينسحب بقواته من سيناء.. فضلاً عن كونه هو أول مؤسس وقائد لفرقة مظلات فى مصر فى عام ١٩٥٤.. وقائد أول قوات عربية موحدة فى الكونغو كجزء من قوات الأمم المتحدة (١٩٦٠-١٩٦١).. ثم عمل كملحق عسكرى فى لندن (١٩٦١-١٩٦٣).. بعدها تولى قيادة لواء المشاة (١٩٦٥-١٩٦٦).. ثم قيادة القوّات الخاصّة (الصاعقة) (١٩٦٧-١٩٦٩).. ثم قيادة منطقة البحر الأحمر العسكرية (١٩٧٠-١٩٧١) .. وفى مايو ١٩٧١ عيّن رئيس هيئة أركان القوّات المسلّحة المصرية حتى شارك فى انتصار اكتوبر ١٩٧٣.

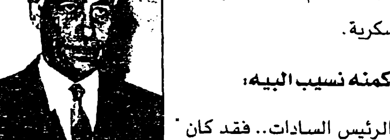
السلك الدبلوماسى:

فى قمة تميزه العسكرى.. ودوره المهم فى انتصار أكتوبر ١٩٧٣ تم تسريح الفريق الشاذلى من الجيش بواسطة الرئيس أنور السادات.. وتم تجاهله فى الاحتفالية التى أقامها مجلس الشعب المصرى لقادة حرب أكتوبر والتى سلمهم خلالها الرئيس أنور السادات النياشين والأوسمة كما ذكر هو بنفسه فى كتابه مذكرات حرب أكتوبر.. ثم نقله السادات للعمل بالسلك الدبلوماسى.. فأصبح سفير مصر لدى بريطانيا (١٩٧٤-١٩٧٥) وبعد ذلك نقل لنفس الموقع فى البرتغال فى ١٩٧٥.. حتى تم طرده من الخدمة فى ١٩٧٨ بعد انتقاده علانيةً لسياسات السادات .. وتوقيعه معاهدة كامب ديفيد ومعارضتها علانية.

السادات ينفى الشاذلى.. والشاذلى يصعد هجومه على السادات:

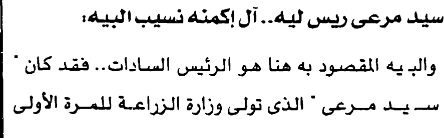
إزاء إصرار الشاذلى على مهاجمة السادات.. ونقده علانيةً فى كل جلساته.. والتى كانت تصل أولاً بأول فى تقارير مخابراتية للسادات.. أمر السادات بنفيه من مصر حيث استضافته الجزائر ليعيش هناك أربعة عشر عاماً تخللتها اغتيال السادات.. وفى المنفى كتب الفريق الشاذلى مذكراته عن الحرب والتى اتهم فيها السادات باتخاذ قرارات خاطئة رغماً عن جميع النصائح من المحيطين أثناء سير العمليات على الجبهة أدت إلى وأد النصر العسكرى والتسبب فى الثغرة وتضليل الشعب بإخفاء حقيقة الثغرة وتدمير حائط الصواريخ وحصار الجيش الثالث لمدة فاقت الثلاثة أشهر كانت تصلهم الإمدادات تحت إشراف الجيش الإسرائيلى.. كما اتهم فى تلك المذكرات الرئيس السادات بالتنازل عن النصر والموافقة على سحب أغلب القوات المصرية إلى غرب القناة فى مفاوضات فض الاشتباك الأولى وأنهى كتابه ببلاغ للنائب العام يتهم فيه الرئيس السادات بإساءة استعمال سلطاته.. وهو الكتاب الذى أدى إلى محاكمته غيابيًا عام ٨٣ بتهمة إفشاء أسرار عسكرية.. وحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات مع الأشغال الشاقة.. وليس هذا هو كتابه الوحيد.. وإنما له عدة مؤلفات مثل حرب أكتوبر الخيار العسكرى العربى.. الحرب الصليبية الثامنة.. أربع سنوات فى السلك الدبلوماسى.

عودته إلى مصر:



وفى العام ٩٢ عاد باختياره إلى مصر.. وقضى عاماً ونصف العام فى السجن الحربى تنفيذاً للحكم الذى صدر عليه مسبقاً بتهمة إفشاء الأسرار العسكرية.

سيد مرعى ريس ليه.. آل إكمنه نسيب البيه:



والبيه المقصود به هنا هو الرئيس السادات.. فقد كان "سيد مرعى" الذى تولى وزارة الزراعة للمرة الأولى

عام١٩٥٧مرتبطاً بعلاقة نسب مع الرئيس السادات بعد زواج ابنه حسن من نهى ابنة السادات.. وفى عهده توحش نفوذ " سيد مرعى " بشكل كبير.. وترأس مجلس الشعب أثناء حكم نسيبه.. وأصبح من أشهر السياسيين والدبلوماسيين.. وكان قد بدأ رحلته مع أهل السلطة مبكراً بعد قيام ثورة يوليو بفترة وجيزة.. وكان قبل الثورة عضواً بالحزب السعدى.. وفور استتباب الأمور ذهب وهنأ الثوار.. وبارك رجالها ليصبح بعد ذلك وزيراً للزراعة واستصلاح الأراضى.. ثم يرافق الرئيس السادات لمؤتمر القمة العربية الذى عقد فى الجزائر فى ديسمبر ١٩٧٣.. ورئيس لجنة الأحزاب ورئيس مجلس الشعب ومساعد رئيس الجمهورية فى نهاية عام ١٩٧٩.

أخطر العلاقات

(حكاية السادات مع" العطفى " طبيبه الخاص!)

سر الكتاب المجهول..!

عرف الرأى العام اسم على العطفى كجاسوس مع بدايات الثمانينيات من القرن الماضى.. وذلك على أثر انتشار كتاب يحمل اسم " على العطفى " كعنوان ومؤلف فى نفس الوقت.. انتشر الكتاب بين أوساط المصريين العاملين فى الدول العربية فى هذا التوقيت الذى كانت فيه الدول العربية تعج بالآلاف من العمالة المصرية هناك.. قال العطفى عبر صفحات الكتاب المنسوب إليه أنه هو الذى قتل الرئيس الراحل جمال عبدالناصر.. وادعى أنه كان مدلكاً خاصًا لعبد الناصر وأنه هو الذى تسبب فى موته عن طريق تدليك جسده وقدميه بكريم مسمم تسبب فى إنهاء حياته بشكل مرحلى.. بعد أن كان السم يتسلل إلى الدورة الدموية ببطء ليفسدها تدريجيًا..

وأثار الكتاب موجات متتالية من علامات الاستفهام الممزوجة بالغضب الشديد حول من هذا الـ " عطفى " الذى يدعى أنه الذى قتل عبد الناصر على سرير نومه.. وجاءت الإجابة مقتضبة من بعض من يعرفون صاحب هذا الاسم.. لا تشفى غليل أحد.. ولا تجيب عن أى من علامات الاستفهام تلك.. وبقى الغضب مشتعلاً داخل صدور الجميع..

فقد كان الرجل معروفا طوال حقبة السبعينيات المنصرمة فقط للعديد من الشخصيات المهمة والمعروفة فى مصر.. الذين كان يتمتع بصداقتهم جميعاً.. صداقة ذات نفوذ.. ومصالح متبادلة بين الطرفين.. أما على المستوى الشعبى العادى فلم يكن يعرف عنه الكثيرون شيئًا على الإطلاق..

وعندما خرج الكتاب للنور.. كان العطفى فى نفس التوقيت يقضى عقوبة السجن فى معتقل أبى زعبل.. وبلغت به الوقاحة أنه كان يردد ذلك بين زملائه بالسجن.. بل وكان يتباهى بعمالته للموساد.. فقد ذكر شيخ محاميى مصر وقتها "عبد العزيز الشوربجى". وهو الرجل الذى كان خارجاً لتوه من المعتقل[٢٣] حيث كان معتقلاً فى نفس السجن مع على العطفى ـ أن العطفى أكد واعترف له شخصيًا أثناء تواجدهما معاً بالمعتقل أنه قتل عبد الناصر.. وحكى الرجل القصة التى رواها الكتاب المشار إليه..

وكان ذلك يعنى أن المخابرات الإسرائيلية قد تغلغلت داخل بيت الرئيس.. بل وحجرة نومه.. وعلى سرير نومه عبثت بجسده وخلايا ساقيه كيفما شاءت.. وأخذت تحطمه ببط شديد.. لتسمم القلب الذى كانت تقبع فيه أحلام العروبة كلها.. مستمدة قوتها من دفقات الدم التى يدفعها هذا القلب الذى سممته أصابع الخيانة ليس فى جسد ناصر فقط.. إنما فى جسد العروبة كلها.. فأى نجاح يستطيع أى جهاز مخابرات أن يحققه أكثر من ذلك؟!

و كان لابد للشائعة أن تنتشر بسرعة شديدة انتشار النار فى الهشيم..

فلم تكن هناك عائلة فى مصر لا يوجد أحد أبنائها فى الخليج.. كما لم يكن هناك بيت لا توجد به صورة للزعيم الراحل..

---

(٢٣) كان ذلك فى حزب التجمع يوم ١٥ يناير ١٩٨٢ حيث كان الحزب يحتفل ليلتها كعادته فى نفس اليوم من كل عام بعيد ميلاد الزعيم الراحل جمال عبد الناصر.. وأعلن الشوربجى ذلك على الملأ.. وكان الشوربجى ضمن مجموعة اعتقالات ٥ سبتمبر ١٩٨١ والتى بلغ عدد المعتقلين السياسيين بها ١٥٣٦ معتقلاً.. وافرج عنهم جميعاً الرئيس مبارك بعد توليه الرئاسة مباشرة.. جريدة الأحرار القاهرية ١٤ نوفمبر ١٩٨٢.

اشتعال الرأى العام بسبب العطفى

اشتعل الرأى العام فى مصر وكافة الدول العربية بشكل كبير للغاية بسبب تلك الشائعات.. وبعد أن أصبح اسم العطفى يتردد بين الجميع على هذا النحو.. ووقتها حاول نائب مجلس الشعب " جمال العطيفى "(٢٤) تقديم طلب إحاطة خاص للاستفسار عن وضع الجاسوس على العطفى.. ومدى صحة ما يتردد عن قتله لعبد الناصر.. وهل افرج عنه.. أم لا.. وقيل إن الاستجواب قد تم إجهاضه مبكراً قبل مناقشته بشكل علنى فى أروقة المجلس لاعتبارات سياسية.. فقد كان من الضرورى وقتها إبقاء ملف على العطفى وما آل إليه مصيره طى الكتمان مؤقتاً..

فصدرت أوامر رئاسية من السادات لرئيس مجلس الشعب بشطب طلب الاحاطة من مضبطة المجلس..

واصبح البعض يرى أن أية شبهة جنائية فى وفاة عبد الناصر.. فإنها تتجه إلى "على العطفى" فوراً.. لكن الحقيقة لم تكن أبدا كذلك.. فبالرغم من أن الرئيس عبدالناصر أصيب بالفعل بجلطة فى ساقه اليسرى استدعت سفره للعلاج خارج مصر.. وتحديدا "فى " تسخالطوبو" بالاتحاد السوفيتى.. وأنه احتاج لإجراء عمليات تدليك وإجراء جلسات العلاج الطبيعى من أواخر عام ١٩٦٦ إلى نهاية ١٩٦٧.. إلا أن الذى كان يتولى ذلك هو مدلك خاص اسمه (زينهم) كان أحد أفراد طاقم الحراسة الشخصية للرئيس عبد الناصر.. وكان فى نفس التوقيت يعمل فى جهاز المخابرات المصرية..

وأن ما روجه الكتاب المشبوه.. والذى كان الموساد بلا شك وراء نشره وتوزيعه بل وما قاله العطفى نفسه.. كل ذلك كان من باب ادعاء البطولة الكاذبة.. بدليل الآتى:

١- أن جهات التحقيق مع العطفى بعد القبض عليه تجاهلت الموضوع برمته ولم تلتفت إلى ادعاءاته التى قالها بعد انتهاء مرحلة التحقيقات الأولى.. وفيها إثبات

---

(٢٤) كان جمال العطيفى يرتبط بعلاقة نسب مع الرئيس السادات.. ومع ذلك دفعته قوة الشائعة وسرعة انتشارها وترديدها بالشارع المصرى لتجاهل ذلك.. ومحاولة تقديم طلب الإحاطة..

بالدليل القاطع ومن خلال اعترافاته هو نفسه فى تلك الاعترافات استحالة اقتراب العطفى من جمال عبد الناصر.. حيث إن توقيت تجنيد الموساد للعطفى كان من منتصف عام ١٩٧٢ وحتى منتصف مارس ١٩٧٩.. أى بعد وفاة عبد الناصر وليس فى حياته..

من واقع أقوال واعترفات العطفى نفسه والمدونة فى ملف القضية لم يشر من قريب.. أو بعيد لعلاقة ما جمعته بعبد الناصر.. أو حتى أنه تردد عليه لعلاجه على الإطلاق..

سامى شرف: لم يلتق بعبد الناصر!

ونأتى لشهادة سامى شرف الرجل الذى كان لصديقاً بالرئيس عبد الناصر ومديراً لمكتبه منذ أوائل الستينيات وحتى وفاته.. فقد أكد فى أحد تصريحاته (٢٥) أن العطفى لم يتعامل بأى شكل مادى أو معنوى مع الرئيس عبد الناصر فى أى مرحلة من مراحل حياته وحتى وفاته.. وأنه بحكم موقعه الوظيفى وقربه الشديد من عبد الناصر باعتباره مدير مكتبه لفترة طويلة لم يشاهد هذا الشخص أو حتى يسمع باسمه داخل مؤسسة الرئاسة.. وأضاف أنه يعرف بالاسم كل الأطباء الذين كانوا يتابعون الحالة الصحية للرئيس.. وتحدى شرف أن يكون اسم العطفى مدرجاً فى سجلات الزيارة المحفوظة حتى الآن فى أرشيف رئاسة الجمهورية والتى كان يسجل فيها اسم أى زائر.. أو أى شخص يسمح له بالدخول أو الخروج من قصور الرئاسة أو الاستراحات التابعة لها.. وأكد أن كل معرفته هو الشخصية بالرجل جاءت عن طريق سيد مرعى رئيس مجلس الشعب فى السبعينيات عندما التقاه بعد خروجه من السجن وأكد له الأخير حقيقة علاقة العطفى بكل من عبد الناصر والسادات وذلك بعد أن تفجرت قضية عمالة العطفى والقبض عليه.

لكن وبشكل عام كان سكوت الإعلام المصرى عن التصدى لهذه الشائعة.. وتغطية القضية عند الكشف عنها وتجاهلها تمامًا هو بمثابة البنزين الذى زاد النار اشتعالا.. فلماذا وقف الإعلام المصرى من هذه القضية تحديدًا ذلك الموقف الغريب؟!

---

(٢٥) جريدة الوفد ١٩٨٤..

السادات بين الخجل.. والخوف..!!

الحقيقة التى تكشفت فيما بعد أن صمت الإعلام المصرى وقتها كان بتعليمات مشددة من جانب الرئيس السادات الذى كان العطفى للأسف الشديد هو مدلكه الخاص.. بل وواحد من أقرب المقربين له على المستوى الشخصى.. والعائلى.. وعندما تكشفت الحقيقة.. كانت صدمة السادات كبيرة للغاية.. فآثر أن يتلقاها بمفرده دون ثلاثين مليوناً كانوا هم تعداد المصريين فى ذلك الوقت..

ربما خجلاً مما سيكتبه التاريخ عنه وكيف خدع فى رجل كان يسلم جسده إليه طواعيةً صباح كل يوم.. ويدخل عليه غرفة نومه.. ويتحدث أمامه بكل حرية.. فآثر أن يكتب التاريخ ما شاء.. فى وقت يكون فيه هو بعيدًا فى عالم آخر..

وربما صح عن السادات ما قيل فيما بعد من أنه أصدر أوامره للصحافة المصرية بالتكتم الشديد على الموضوع امتثالا لنصيحة نصحه بها " مناحم بيجين " رئيس الوزراء الإسرائيلى نفسه عند كشف القضية حتى لا تؤثر بقسوتها على مسار معاهدة كامب ديفيد التى كانت وقت القبض على العطفى مارس ١٩٧٩ فى مراحلها ولمساتها الأخيرة.. وحتى لا تصبح بما سوف تثيره من ردود أفعال حتمية حجر عثرة فى طريق استكمال المفاوضات وتوقيع المعاهدة..

وبعد أن مات السادات توارت الشائعة إلى حين.. لكن كانت النار لا تزال تشتعل تحت الرماد.. وبقى الرأى العام مشتعلاً دون الوصول للحقيقة.. التى بقيت غامضة.. كما بقى دائمًا اسم على العطفى هو أحد الألغاز التى تبحث عمن يستطيع أن يفك طلاسمه..

من هو على العطفى؟

ولد "على خليل العطفى" بحى السيدة زينب " بمحافظة بالقاهرة عام ١٩٢٢ لأسرة أقل من المتوسطة.. الأب كان يعمل موظفاً بسيطاً بالسكة الحديد.. والأم ربة بيت توفيت مبكراً قبل أن يصل إلى سن الخامسة عشرة من عمره.. عرف عن العطفى منذ

مراحله المبكرة الأولى ذكاؤه الشديد وطموحه الأشد.. مما جعل والده الموظف البسيط الذى لا يملك من حطام الدنيا أى شىء سوى راتب بسيط لا يتجاوز جنيهات قليلة.. يواصل العمل بكل قوته ليل نهار ليدعم استمرار ابنه الوحيد فى مشواره التعليمى.. لكنه لم يستطع الصمود طويلاً.. ولم تسعفه صحته العليلة.. فتوقف بمشوار التعليم مع ولده الأكبر "على" بعد حصوله على الشهادة الإعدادية وأصر على إخراجه مبكراً من الدراسة لمعاونته فى مواجهة أعباء الحياة التى كانت قد أثقلت كاهله بشكل ساهم فى وفاته فيما بعد مبكراً.. وليفسح الطريق أمام باقى إخوته الصغار لمواصلة تعليمهم..

وبعد وفاة الأب أصبح على الابن الأكبر أن يتحمل مسئولية باقى أشقائه الخمسة.. ومن مهنة لأخرى تنقل العطفى.. فعمل كصبى فى محل بقالة لخواجه يونانى.. ثم عامل فى أحد الأفران.. بعدها عامل بإحدى الصيدليات.. حتى وجد نفسه أخيراً فى مهنة المدلك.. وهى مهنة لم تكن معروفة إطلاقاً آنذاك فى الأوساط الشعبية التى كان ينتمى إلى إحداها.. وكان المشتغلون بهذه المهنة فى هذا التوقيت غالبيتهم إن لم يكونوا جميعاً من الأجانب.. حيث كان المهتمون وقتها بتلك المهنة بالتحديد هم علية القوم ووجهاء المجتمع.. الذين كانوا لا يريدون إرهاق أنفسهم بممارسة الرياضة.. ويجدون فى المساج أو التدليك رياضة مريحة غير مرهقة.. وفرصة للاسترخاء النفسى والعصبى.. فكان ما أسهل أن تستسلم أجسادهم المرفهة لأصابع المدلك.. المغموسة فى مختلف أنواع الزيوت والكريمات.. تدغدغ جلودهم.. وتثير لدى معظمهم شهية الثرثرة والكلام.. وكلما كانت آذان المدلك أكثر إصغاء.. كان الوجيه أكثر كرماً.. ما بين هبات لا يبخلون بها على مدلكيهم.. ثم الأهم هو المكاسب غير المباشرة عندما يكون العميل شخصية مهمة يمكن توسيطه لقضاء مصلحة أو حل مشكلة ما.. فعمل أولاً مساعد مدلك.. ومن هنا تعلم العطفى كيف يكون مستمعاً جيداً للآخرين.. وكانت تلك أهم صفاته التى جعلته بمثابة الصديق المؤتمن على أسرار أصدقائه.. كما عرف مبكراً قيمة المال ولأنه كان يحتاج إليه بشدة.. لأنه افتقده بشدة.. كان حريصاً تماماً على جمعه بأى وسيلة عن طريق استغلال معارفه هؤلاء والتوسط لديهم لقضاء أمر ما.. أو حل إحدى

المشاكل لآخرين.. وكان حرصه أكثر على عدم إنفاقه إلا للضرورة القصوى فخرجت من هنا أكثر سماته الشخصية بروزاً فى تعامله مع الآخرين.. وهى البخل الشديد.

التأميم..!

وبعد فترة من عمله مساعداً لأحد المدلكين الأجانب.. جاءت هوجة تأميم ممتلكات الأجانب فى مصر بعد حرب ٥٦ والعدوان الثلاثى فخاف معظمهم.. وقاموا بتصفية ممتلكاتهم فى مصر والهروب خارجها فى التوقيت الذى كان فيه العطفى قد اكتسب خبرة كبيرة فى هذا المجال وأصبح أحد أشهر الممارسين له فانفتح الباب أمامه على مصراعيه ليكون الأكثر شهرة وطلباً من المهتمين بأن يبدأوا يومهم بالاستسلام لأصابع المدلكين..

وازدحمت أجندة العطفى بمواعيده مع هؤلاء.. وأصبح له مساعدوه الذين يحملون له حقيبته وهو ينتقل من بيت هذا الوجيه.. إلى فيللا ذلك المسئول.. إلى قصر ذلك الباشا.. بالشكل الذى جعله يطلق على نفسه " الخبير " ويضيفها كصفة تسبق اسمه على كارته الشخصى الذى كان يقدمه للآخرين.. كما كان يعتبر نفسه " الأب الروحى لعلم التدليك فى مصر ".. وأصبحت له علاقات متعددة.. ومتشعبة.. بشخصيات على قدر كبير من الأهمية ذات نفوذ واتصالات.. خاصة فى الأوساط والمجتمعات الراقية.. ساعده على ذلك انضمامه أيضًا فى هذا التوقيت لقائمة مدربى اللياقة البدنية بالنادى الأهلى.. حيث ملتقى الصفوة من رجال الأعمال.. والسياسيين.. والشخصيات العامة بمصر آنذاك..

وكان علم العلاج الطبيعى.. والطب الرياضى.. وإصابات الملاعب فى مصر وقتها وبشكل عام هى أشياء مستحدثة لا يعلم عنها أحد شيئاً.. فبرع العطفى بما يملكه من "كاريزما خاصة" فى فرض نفسه على الجميع من خلال تميزه الفعلى فى هذا المضمار.. وكل ذلك جعله ينضم إلى قائمة مدربى العلاج الطبيعى بمعاهد التربية الرياضية فى مصر.. حيث بدأت دراسة هذا العلم داخل تلك المعاهد عام ١٩٥٤ تحت إشراف منظمة الصحة العالمية.. قبل أن ينشئ له فيما بعد شعبة مستقلة داخل تلك المعاهد..

وفى عام ١٩٥٦ بدأ المتميزون من خريجى تلك المعاهد الذين تخصصوا فى العلاج الطبيعى يتم إرسالهم فى بعثات مُختلفة إلى الولايات المتحدة.. والاتحاد السوفيتى.. والمانيا الغربية.. لاستكمال دراستهم هناك.

وبدءًا من عام ١٩٥٩ بدأ هؤلاء يعودون إلى مصر وهم يحملون شهادات الدكتوراة.. مما طرح ضرورة إنشاء معهد عالٍ متخصص فى العلاج الطبيعى فى مصر.. وفى عام ١٩٦٢ تم الموافقة على ذلك لكن على أن يتم أولاً إنشاؤه كشعبة متخصصة بالمعهد العالى للتربية الرياضية.. ولأنه كان يخفى عن الجميع حقيقة مؤهله فقد أشاع أنه حاصل على بكالوريوس تربية رياضية.. فتم ضمه إلى هيئة التدريس بالمعهد كمحاضر فى تخصصه.. وخبير مساج وتدليك.

وفى عام ١٩٥٨ أرسل العطفى إلى ألمانيا الشرقية فى بعثة تدريبية رسمية للتدريب على العلاج الطبيعى.. وعام ١٩٦٣ لم يصدق العطفى نفسه عندما وجد اسمه بين كشوف من تمت الموافقة على ترشيحهم للسفر إلى الولايات المتحدة ضمن إحدى المنح الدراسية التى تم إرسالها وقتها إلى أمريكا لدراسة هذا العلم المستحدث بها.. أحس للمرة الأولى أنه يستطيع أن يحقق حلم حياته الأكبر.. ويحصل على شهادة جامعية.. بعد أن تخطاه الفقر الذى كان كشبح يُطارده ويبحث عنه دائمًا..

العطفى طالب الإعدادية الذى تحول لأستاذ جامعى..!!

واستمر فى بعثته حتى عام ١٩٦٥ بعدها عاد إلى مصر.. حيث تمت ترقيته إلى درجة أستاذ مساعد بالمعهد.. ثم أستاذ للدراسات العليا [٢٦] .. بمعاهد التربية الرياضية.. وأستاذًا لمادة الإصابات بها.. وها هو أيضًا يعين بالمعهد ويتجسد أمام

---

(٢٦) بحسب ما جاء بحيثيات الحكم الصادر عن محكمة القيم فى ١٥ إكتوبر ١٩٨٠ برئاسة المستشار الدكتور أحمد خفاجى.. بخصوص وضع أمواله وممتلكاته هو وزوجته وأولاده تحت الحراسة

عيذ يه حلم حـ ياته الآخر بالانضمام لهـ يئة تدريس جامعـ ية.. ها هى الحـ ياة تعود لتبتسم له بالطريقة التى عاش حـ ياته يتمناها.. وأصبح يكتب فى كارته الشخصى اسمه تسبقه صفة الدكتور.. بل الأستاذ الدكتور على العطفى..

العطفى عميداً للمعهد العالى للعلاج الطبيعى..!

وفى عام ١٩٦٩.. وبعد أن تم انتخابه رئيساً للاتحاد المصرى للعلاج الطبيعى.. تم إنشاء المعهد العالى للعلاج الطبيـعى بشكل مستقل.. وفى المرحلة التمهـيدية قبل بدء الدراسة بالمعهد تم إسناد عمادته إلى دكتورة تدعى " فوقية عزب سليم ".. لكنها تقدمت باستقالتها من عمادة المعهد دون إبداء أسباب.. وسافرت للكويت حيث أقامت هناك بصفة نهائية.. وكان ذلك عام ١٩٧٢ حيث تولى المنصب بعدها مباشرة على العطفى الذى أصبح اسمه الأستاذ الدكتور على العطفى.. وبقى فى هذا المنصب حتى تم القبض عليه فى ١٨ مارس ١٩٧٩..

علاقات خاصة..

وبعد أن تولى العطفى عمادة المعهد زادت علاقاته بشكل كبـير.. فارتبط بصداقات شخصـية.. وعلاقات قوية جدًا مع الكثير من الشخصـيات المهمة.. والمؤثرة فى مصر والمقربة للغاية من السادات.. ومن بين جمـيع صداقات وعلاقات العطفى نتوقف تحديداً عند الأسماء التالية لخطورة مسار العلاقة بينهم وبين العطفى.. وما أدت إليه من نتائج:

١- كمال حسن على رئيس الوزراء المعروف..

٢- عثمان أحمد عثمان.. نسيب السادات.. ووزير التعمير.. والأهم.. فهو الرجل الذى وصف بأنه أكثر الأصدقاء تأثيرًا وقربًا من السادات..

٣- عبده صالح الوحش..

وأغلب الظن أن " كمال حسن على " رئيس الوزراء.. وعثمان أحمد عثمان.. تحديداً هما اللذان توليا تقديم العطفى للرئيس السادات.. وترشـيحه للانضمام إلى طاقمه

الطبى لعلاقتهما القوية معه.. ولولاهما ما استطاع العطفى الدخول إلى مؤسسة الرئاسة بسهولة..

وعبده صالح الوحش.. ذلك الرجل الذى كان مفتاح دخوله إلى الوسط الرياضى بشكل عام.. ومنه إلى المعهد العالى للتربية الرياضية.. وجاءت العلاقة بينهما أثناء نجومية عبده صالح الوحش كلاعب كرة بالنادى الأهلى.. وحيث كان العطفى يعمل مدلكاً بالنادى.. مما سهل له تماماً فيما بعد.. فرض اسمه عند ترشيح مجموعة من خبراء التدليك وإصابات الملاعب للتدريس فى قسم العلاج الطبيعى بالمعهد العالى للتربية الرياضية.. ثم تدرجه من مجرد محاضر بالمعهد.. إلى أستاذ به.. ثم استاذاً للعلاج الطبيعى فى المعهد المتخصص فى ذلك بعد إنشائه..

وارتبط الاثنان ببعضهما البعض ارتباطًا كبيرًا حتى أنهما تزوجا معًا من صديقتين تعرفا عليهما معًا أثناء إحدى سفرياتهما المشتركة إلى أمستردام فى نهاية الخمسينيات..

ورأس العطفى بعثة مصر الرياضية المشاركة فى إحدى دورات الجامعات للنشاط الرياضى.. التى أقيمت بدولة " غانا " عام ١٩٧٥.. وذلك بوصفه عميد المعهد العالى للعلاج الطبيعى.. والمفاجأة أن هذه البعثة ضمت أسماء لها شأنها فى مصر.. وقتها.. وفيما بعد.. منهم (٢٧):

١- صوفى أبو طالب.. رئيس مجلس الشعب.. ومحافظ القاهرة فيما بعد..

٢- الدكتور حسن حمدى.. عميد كلية طب قصر العينى.. ورئيس جامعة القاهرة فيما بعد..

٣- الدكتور إيهاب اسماعيل.. نائب رئيس جامعة القاهرة..

٤- يوسف أبو عوف.. مسئول الرياضة فى وزارة الشباب قبل إلغائها..

٥- محمد لطيف.. المعلق الكروى الشهير..

---

(٢٧) سامى شرف.. جريدة الوفد القاهرية.. ١٧ ديسمبر ٢٠٠٤

وهناك فى العاصمة الغانية " أكرا " لوحظ أنه كان كثير التغيب عن حضور اجتماعات البعثة على غير عادته.. وكان لا يهتم بمتابعة شئون أفرادها.. كما كان حريصًا على الفصل بين الجنسين من أفراد البعثة حرصًا على التمسك بالقيم الدينية.. والعادات الشرقية.. وعند عودة البعثة من غانا هاجمه الصحفيون المرافقون للبعثة على صفحات جرائدهم ومجلاتهم بضراوة متهمين إياه بالإهمال الشديد.. لكنه لم يلتفت لكل ذلك واستمر فى طريقه صاعدًا إلى حيث مجده الشخصى..

وبزواج العطفى من تلك الفتاة الهولندية " آنا ماريا جوهانس " التى تعرف عليها مع صديقه الوحش.. تمكن من الحصول على الجنسية الهولندية.. مما جعله يسافر ويعود بحريته من وإلى أمستردام كيفما شاء مستخدمًا جواز سفره الهولندى.. كغطاء لأعماله المخابراتية.. وحتى يتمكن من لقاء ضباط متابعته فى الموساد بحرية شديدة..

العطفى والموساد!

قصة تجنيد العطفى بواسطة المخابرات الإسرائيلية حيكت بأكثر من رواية.. لكن الرواية الأكثر تصديقاً هى التى تبنتها أوراق التحقيق فى القضية.. وجاءت على لسانه هو شخصيًا.

قصة وهمية..!

فعند إلقاء القبض عليه.. ذكر أولاً قصة وهمية مفادها أنه أثناء إحدى زياراته لأمستردام تعرف هناك على فتاة هولندية فى أحد الملاهى الليلية.. وبعد فترة من تعرفه عليها فوجئ بها تدعوه ليتعرف على أحد أصدقائها وقدمته إليه على أنه تاجر يريد أن يشاركه فى بعض المشاريع التجارية بمصر.. وفيما بعد عرف أن هذا الشخص أحد رجال المخابرات الإسرائيلية..

كانت هذه الرواية بالنسبة للعميد محمد نسيم تبدو وهو يسمعها من العطفى كسيناريو فيلم ساذج من وحى خياله تضج أحداثه بالكذب.. ولا أساس له من الصحة.. وبالضغط على العطفى تم انتزاع الحقيقة التى توافقت مع سابق التحريات التى تم جمعها عن القضية..

الحقيقـــة

اعترف العطفى بأنه هو الذى ذهب بنفسه لمقر السفارة الإسرائيلية بأمستردام.. وعرض عليهم خدماته.. وهناك فى المرة الأولى وعلى مدار عدة ساعات من الانتظار أولاً.. ثم مجىء مندوب الموساد لاستجوابه.. تم تقييم الموقف ككل.. ثم تركه ثانية حيث كان يجلس بإحدى غرف السفارة.. وعاد إليه بعد حوالى نصف الساعة.. ليخبره بأنه اتصل بقادته فى تل أبيب.. ووعدوه بدراسة العرض المقدم منه.. وأنهم سيأخذونه بعين الاعتبار.. وطلب منه مندوب الموساد العودة ثانية إلى مصر.. وهم سيتولون الإتصال به فى الوقت المناسب.. وعليه ألا يسعى هو لذلك مهما طالت المدة..

امتثل العطفى للأمر.. وعاد بعد عدة أيام إلى مصر.. بينما طار ضابط الموساد إلى " تل أبيب " لدراسة العرض الذى تقدم به العطفى بشكل أفضل مع مرؤوسيه..

وعلى مدار ما يقرب من ثلاثة أشهر.. ودون حتى أن يدرى العطفى تمت مراقبته جيداً.. ومرّ بالعديد من الاختبارات المباشرة.. وغير المباشرة.. كان ينجح فيها جميعاً بامتياز ودون أن يدرى..

الرجـل المناسـب!

الحقيقة أن العطفى بسعيه إلى المخابرات الإسرائيلية قد كفاهم تمامًا خوض مرحلة الاكتشاف.. بكل متاعبها وصعوبتها.. فهذه المرحلة تستدعى رصد ومتابعة عن قرب وكثب لتصرفات الشخص الذى تنطبق عليه المعايير المطلوبة لاكتشافه وتحديده.. ومن أهم معطيات تلك المرحلة أن يكون الشخص الواقع عليه الاختيار له نقاط ضعف واضحة يتم من خلالها السيطرة عليه وتجنيده..

فبعد البحث والتدقيق فى ماضى العطفى الشخصى عن طريق عملائهم داخل مصر.. ومن خلال تحريات سرية تم رسم صورة حقيقية كاملة عن حياته.. ووجدوا فيه نموذجاً تنطبق عليه كل شروطهم تتجمع فيه كل نقاط الضعف التى يستطيعون من خلالها السيطرة على أى فرد كيفما شاءوا..

فهو بشكل عام لديه استعداد فطرى للخيانة.. وفعل أى شىء مقابل الحصول على ما يعوض لديه عقدة النقص لفشله فى مواصلة تعليمه..

وعند بحث توجهاته الأيديولوجية.. واهتماماته السياسية.. والوطنية.. ثبت أن العطفى أبعد ما يكون عن مثل تلك الاهتمامات.. وتم رصد الكثير من محادثاته مع العديد من زملائه.. وأصدقائه.. كان كثيراً ما يسخر خلالها مما يسميه زملاؤه بالمبادئ التى يجب أن يلتزم بها المواطن نحو وطنه..

كما أنه منذ اللحظات الأولى اتضح لضباط المتابعة من الموساد أن عميلهم المرتقب نقطة ضعفه الأولى هى المال.. فتم توجيه الضابط المكلف بالتعامل معه فيما بعد أن يضرب بكل قوته على هذا الوتر.. فهو أقصر الطرق للسيطرة عليه ومدخلهم الأول إليه.

عميل مطيع..!

والحقيقة أن على العطفى لم يضطرهم أبداً للتعامل معه من منطلق عدم الاطمئنان من ناحيته إطلاقاً.. بعد أن ثبت لهم بالدليل القاطع أنه شخص مبدأه فى الحياة هو المال.. ووطنه هو مصلحته الشخصية.. وبين الاثنين لم يكن العطفى يعمل أى حساب لأى اعتبارات أخرى.. لا وطنية.. ولا إنسانية.. لذلك كان ما أيسر تجنيده.. ثم التأكد فيما بعد من إخلاصه المطلق لهم.. بعدها تمت الموافقة على اعتماد العطفى كعميل جديد..

فور الموافقة على تجنيد العطفى تم الاتصال به فى مصر من قبل أحد عملاء الموساد.. وطلب منه سرعة السفر خلال أسبوع إلى أمستردام.. وهناك سوف يعرف الباقى..

فى البداية كان برنامج التدريب الذى خضع له العطفى يتركز على تأهيله ليصبح فقط عميلاً خاصاً لهم فى مصر بعد عودته إلى هناك.. وتجهيزه ليكون نواة لشبكة جاسوسية جديدة يتم تشكيلها الهدف الأساسى منها اختراق الوسط الطبى الأكاديمى

فى مصر.. لكن تم تغيير سيناريو التأهيل وإعداده لدور أكبر من ذلك بكثير.. دور فكر فيه ضابط الموساد ولم يكن ليتوقع إطلاقاً موافقة رؤسائه عليه وهو يطرحه عليهم هناك فى تل أبيب.

ففى ذات يوم جلس برجمان يتابع تدريب العطفى على إحدى مهامه.. كان فى قرارة نفسه يشعر بكل الإعجاب والرضا عن عميله الجديد وبما يحققه من تقدم هائل فى مراحله التدريبية.. وبعد أن أثبت العطفى للجميع أنه الصيد الثمين الذى كانوا يبحثون عنه من فترة طويلة.. وفجأة خطرت له فكرة وصفها فيما بعد بينه وبين نفسه بأنها فكرةً مجنونة.. لكنه راهن بينه وبين نفسه على تحقيقها.. وعلى الفور قام بالاتصال برئيسه المباشر فى تل أبيب.. وطلب تحديد موعد مهم وعلى وجه السرعة معه هناك..

وبعد ٢٤ ساعة كان برجمان يجلس فى مكتب رئيس المخابرات الإسرائيلية يحاول إقناعه بفكرته.. وبعد إلحاح وإصرار من جانب برجمان طلب منه رئيس المخابرات إعداد تقرير وافٍ عن موقف عميله الحالى.. وما حققه من نتائج فى برامج تدريبه.. واقتراحه الجديد بشأن العطفى.. وأعطاه فرصة ٤٨ ساعة لتجهيز كل ذلك.. ثم أصدر رئيس المخابرات الإسرائيلية أوامره لسكرتارية مكتبه بدعوة كل رؤساء الإدارات الفرعية والداخلية بالموساد للاجتماع بعد ٤٨ ساعة فى مكتبه للضرورة القصوى..

اجتماع مهم فى مكتب رئيس الموساد نفسه..

" برجمان " يجلس مع قادته حول ترابيزة الاجتماع وهو يتحدث بمنتهى الحماس عن عميله الجديد ومدى اخلاصه للجانب الإسرائيلى.. ذلك الإخلاص الذى صارح رؤساءه بأنه لا يجد له مبرراً مقنعاً أكثر من كراهية العطفى الشديدة لمصر ولنظام الحكم بها..

وعندها ردّ عليه رئيس الموساد أنه تحدث مع رؤساء الأفرع الداخلية للجهاز حول اقتراحه.. وأعطاهم نبذةً سريعةً عنه دون تفاصيل .. وأبدى تخوفه من إمكانية تحقيقها بقوله: رغم بريق الفكرة.. إلا أنها خطيرة.. تنفيذها شبه مستحيل.. خاصةً

أن العميل الجديد الذى يراهن عليه "برجمان" مازال يحبو فى عالم خطير.. وجديد عليه تماماً.. عندها رد "برجمان" بقوله.. أنه يتحمل المسئولية كاملة.. فرد عليه رئيسه: إذن نطرح الموضوع للتصويت.. ولكن قبلاً وبإسهاب شديد.. وبأدق التفاصيل اعرض على السادة رؤساء الفروع اقتراحك..

فتح برجمان حقيبته الخاصة.. وأخرج منها مجموعة من الملفات.. وسلم كل واحد من الحضور نسخة منها.. وبدأ يتحدث..

برجمان: الفكرة باختصار شديد تنبع من تخصص دكتور عطفى وندرته وحداثته فى مصر.. حيث يعتبر العلاج الطبيعى هو أحدث التخصصات الطبية هناك.. وبناء على ذلك فقلة عدد الأطباء والأساتذة فى هذا التخصص سوف تعطى فرصة كبيرة لدكتور عطفى للتميز فى مجاله.. وبقليل من المساعدة العلمية والعمل على أن تتم دعوته لحضور مؤتمرات طبية كبيرة على مستوى العالم.. ثم إمداده دائماً بالحديث من الأدوية والكريمات الخاصة مما لا يتوافر لغيره من العاملين فى نفس المجال سوف يبزغ اسمه فى مصر بشكل غير مسبوق.. وحتماً مع قليل من التلميع الإعلامى مدفوع الأجر فى الصحافة المصرية.. بل والعربية.. سيكون من بين المترددين عليه شخصيات على قدر كبير من الأهمية.. على كل المستويات سياسية.. وعسكرية.. وبالتالى سوف تصبح لدينا عين قريبة جداً من معاقل صنع القرار.. ونستطيع بذلك اختراق كل الدوائر المهمة فى كل معاقل صنع القرار..

وأستطيع أن أؤكد أن دكتور عطفى بلا أدنى شك يستطيع أن يلعب ذلك الدور بكفاءة شديدة..

ويبقى أهم دوافع تفكيرى.. وهو احتمال سوف نحاول الوصول إليه بكل حيلة ممكنة.. يتمثل فى حرص الرئيس السادات على وجود مدلك خاص به فى طاقم الأطباء الذى يتابع حالته الصحية بشكل يومى.. عادةً ما يكون هذا الشخص مجرد مدلك متمرس.. والسبب كما قلنا هو ندرة المشتغلين بالطب الطبيعى فى مصر.. فماذا لو

حاولنا طرح اسم العطفى ليكون المدلك الخاص بالرئيس.. كيف.. ومتى.. وهل نستطيع.. لاشك أن الأمر لن يتم بسهولة.. وهو يحتاج إلى وقت ليس بالقليل.. لكن علينا محاولة الوصول لذلك.. فالأمر بلا شك يستحق.. حيث إن استطعنا ذلك سنكون قد اقتربنا كثيراً من معقل صنع القرار السياسى فى مصر بصورة غير مسبوقة.. بل وستكون حياة السادات نفسه بين أيدينا.. وفى أثناء محاولتنا الوصول لذلك سيكون العطفى يسير فى نفس الطريق المرسوم له من البداية وهو اختراق الوسط الأكاديمى الطبى فى مصر.. أى أن الهدف الأول من العملية ككل سوف يظل باقياً.. وسنصل إليه.. الفرق الوحيد أننا لن نحاول تكوين شبكة جاسوسية متكاملة من خلاله على الأقل خلال السنوات الأولى.. لأن ذلك قد يساعد بشكل غير مباشر فى الإيقاع بالعطفى فى حالة القبض على أحد تابعيه من قبل المخابرات المصرية.. أو أجهزة الأمن..

انتهى برجمان من توضيح رؤيته.. وبدأ رئيس المخابرات الإسرائيلية يتحدث طالباً من رؤساء الأفرع الذين يحضرون الاجتماع التصويت على أمر من اثنين.. إما رفض اقتراح برجمان.. أو الموافقة عليه.. لكن قاطعه أحد الحضور قائلاً هناك العديد من الاستفسارات.. أو التحفظات على ما أبداه السيد " برجمان " لابد أن نناقشها أولاً قبل أن يقول كل منا رأيه النهائى.. فدعا رئيس المخابرات الجميع لأن يطرحوا ما لديهم من استفسارات..

وعلى مدار أكثر من ساعتين تبارى كل قادة الأفرع الداخلية للموساد فى مناقشة كل صغيرة وكبيرة فيما يتعلق بالموضوع من الألف.. إلى الياء.. وفى النهاية تم التصويت بين أمرين.. إما استكمال العملية وفقاً للسيناريو الموضوع لها من البداية.. أو التغيير وفقاً للسيناريو الجديد الذى اقترحه " برجمان ".. وجاءت النتيجة لصالح السيناريو الجديد.. بفارق أصوات قليلة.. وتم منح " برجمان " كل الصلاحيات المطلوبة لإعداد وتجهيز عميله الجديد وفقاً للهدف الجديد للعملية.. وتصنيف

العميل ضمن الفئة الأولى الخاصة جداً من بين عملاء الموساد.. من حيث الراتب.. الميزانية الكلية للعملية..

ولم يضيع برجمان وقتاً.. حيث كان قد سبق له وأعد نماذج برامج التدريب الخاصة بالعميل وفقاً للسيناريو الجديد.. وسرعان ما حصل على الموافقة النهائية بشأنها.. وسافر على الفور إلى هولندا مرةً ثانية لبدء تجهيز العطفى للمهمة التى أطلق على ملفها فيما بعد " ملف المهمة المستحيلة "..

العطفى يعود إلى مصر!

كان العطفى قد عاد إلى مصر بعد انتهاء معسكره التدريبى الأول.. وهناك تسلم من مندوب آخر للموساد الأدوات التى تدرب عليها.. ومن المفروض أن يبدأ عمله بها..

بينما عاد " برجمان " إلى هولندا سريعاً.. ومن هناك استقل القطار إلى الريف فى الشمال حيث اجتمع مع باقى فريق تدريب العطفى وسلم كل فرد من طاقم التدريب ملف المهام الخاصة به.. ولم ينس أن يشدد عليهم جميعاً ألا يعرف العطفى عند لقائهم به فيما بعد ما استجد من متغيرات.. دون أن يوضح لهم الهدف من التغيير امتثالاً لقرار القيادات العليا بالموساد بألا يعرف أحد على الإطلاق بهدف العملية الجديد حتى العطفى نفسه تحسباً لأى احتمالات.. وحتى لا يعتريه الخوف من استكمالها..

وعلى مدار ستة شهور كاملة هى الفترة التى استغرقتها المرحلة الثانية من عملية التجهيز على فترات كان يذهب ويعود خلالها من وإلى مصر.. وحتى لا يثير غيابه الطويل أى شبهات.. كانت تتم دعوته رسميًا من خلال بعض المستشفيات الخاصة هناك للعمل بها كخبير ومدرب علاج طبيعى فترات قليلة .. فقد كان العطفى.. ولفترة طويلة يتصور أن دوره كجاسوس ينحصر فقط فى أن ينقل للموساد أولاً بأول كل ما يترامى إلى سمعه من معلومات حول وضع مصر العسكرى.. والاقتصادى.. والسياسى.. من خلال حواراته مع الشخصيات العامة.. والمؤثرة من أصدقائه المقربين فى دوائر صنع القرارات فى مصر..

وهناك رواية أخرى ترجع بداية تجنيد العطفى لأوائل فترة الستينيات.. وتتزامن مع افتتاح فندق (هيلتون القاهرة) حيث تم إنشاء ناد صحى خاص بالفندق عند افتتاحه.. وتم تعيين العطفى به كمشرف عام على النادى الذى كان وقتها هو النادى الأول من نوعه.. وكان يحتوى على وحدات تدليك.. وحمامات ساونا.. وبخار.. وبعض الأجهزة الرياضية.. وبدأ النادى يستقطب شخصيات لا حصر لها معظمهم من رجال المال والمجتمع والسياسة فى مصر.. لذا كان زرع أى عميل مخابراتى داخل مثل هذا المكان سوف يأتى بنتائج مثمرة.. فعندما يخلع هؤلاء ثيابهم.. ويدغدغ البخار الساخن حواسهم.. وتغوص أصابع المدلك الحساسة فى أجسادهم.. ويتنفسون هواء الاسترخاء.. تبحث عقولهم الواعية.. هى الأخرى عن لحظات استرخاء مماثلة.. يحصلون عليها عندما تبدأ ألسنتهم فى الثرثرة بمنتهى الحرية لتفرغ مكبوت عقولهم الباطنة.. وغالبًا ما تكون ثرثرتهم تلك هى أخطر من تصورهم.. وكثيرًا ما تتجاوز العلامات الحمراء..

وكان يدير المكان قبل العطفى مهندس ديكور يهودى من أصل مصرى اسمه (سامى هرارى).. وأشارت تلك الرواية بدون دليل تأكيد أو نفى.. إلى أن هذا المكان.. وهذا الشخص ربما جمعته علاقة ما بالمخابرات الإسرائيلية فى ذلك الحين.. ومن خلال علاقته تلك بالعطفى تمكن الموساد من تجنيده.. بعد أن توسموا فيه المقدرة على أن يكون أذنًا صاغية تنقل لهم كل ما يدور داخل هذا المكان من محادثات تشكل إلى حد كبير الملامح السياسية.. والاقتصادية لمصر فى ذلك التوقيت.. بما كان يتمتع به العطفى من كاريزما خاصة.. وذكاء.. وهدوء شديدين.. والأهم قدرته المتميزة على مد جسور الحوار مع الآخرين أيًا كانت هويتهم ببراعة ومقدرة شديدتين ..

أيًا كانت الرواية الأصح من تلك الروايات .. فقد أصبح العطفى منذ بدء تعامله مع الموساد.. وبمرور الوقت شخصاً آخر غير الذى يعرفه الجميع نهائياً.. تغير فيه كل شىء بدءاً من مظهره الذى كان لا يعبأ به فيما مضى.. إلى شخص مهندم

تماماً يرتدى أفخم وأحدث الثياب.. ويتحدث بكل لباقة.. يبدو واثقاً من نفسه أشد الثقة.. كذلك أصبحت صوره وأنباء سفره وعودته تتصدر صفحات المجتمع بكافة الجرائد والمجلات..

ومن يومٍ لآخر كان العطفى يفاجأ بدعوات من جامعات مصرية أخرى ليحاضر فيها عن تخصصه الحديث.. كما توالت عليه الدعوات من العديد من المؤتمرات العلمية والطبية للمشاركة بها.. وكان يفاجأ أيضاً بالعديد من الصحفيين من مختلف الصحف والجرائد المصرية والعربية.. بل وأحياناً العالمية يتصلون به لإجراء حوارات صحفية معه.. كان كل ذلك جزءاً من السيناريو الذى وضعه ضباط الموساد ببراعة شديدة لفرض اسم العطفى إعلامياً بشكل مكثف.. وتحول العطفى للرجل رقم واحد فى تخصصه بمصر..

وفى زمن وجيز زادت.. واتسعت بشكل كبير دائرة علاقات.. ومعارف العطفى.. بعد أن استطاع استقطاب العديد من الشخصيات المهمة فى مصر وضمهم إلى دائرة صداقاته.. ومن خلال علاقته بهم ودردشته العادية معهم كان يستخلص الكثير من المعلومات ويرسلها أولاً بأول إلى الموساد عن طريق جهاز الإرسال اللاسلكى الصغير الذى كانوا قد أمدوه به.. وكان يقوم بتخبئته فى أحد الأماكن السرية..

أشهر من نار على علم..!

فى نفس التوقيت كان يجرى العمل فى مصر على قدمٍ وساق من أجل سرعة الانتهاء من بناء وتجهيز أول معهد عالٍ للتمريض لتخريج كوادر مدربة على أساس علمى جيد ومتميز للعمل فى هذا المجال الذى استشعرت مصر أهميته ومدى الحاجة إليه عقب انتهاء حربى (٥٦ و٦٧) ومن بعدهما حرب الاستنزاف ١٩٦٩.. حيث خلفت كل من تلك الحروب بالإضافة لحركات المقاومة الشعبية الآلاف والمئات من مصابى العمليات الحربية الذين كانوا فى حاجة شديدة لإعادة تأهيلهم طبياً بواسطة العلاج الطبيعى.. وكان وقتها

يتم تسفير هؤلاء لاستكمال علاجهم بالخارج مما كان يكلف مصر أموالاً طائلة فاتخذت الحكومة المصرية قرارًا بإنشاء المعهد العالى للعلاج الطبيعى..

وعند الانتهاء من بناء المعهد وتجهيزه لبدء الدراسة به كان الدكتور على العطفى قد اصبح أشهر من نار على علم..

النقلة الكبرى

لكن لا أحد على وجه التحديد يعرف من تولى ترشيح العطفى ليكون ضمن طاقم الأطباء الخاص برئيس الجمهورية نفسه.. هل اللهث والتلميع الإعلامى الذى جعل الرجل دائماً فى بؤرة الضوء.. أم كانت هناك أياد خفية وراء ذلك الترشيح.. أم علاقته كما قلنا بكمال حسن على.. وعثمان أحمد عثمان..وغيرهما من المقربين للغاية من الرئيس السادات وقتها؟.. عموماً فوجئ العطفى ذات يوم وبينما هو فى مكتبه بالمعهد بمن يخبره بأنه مطلوب على وجه السرعة للقاء رئيس ديوان عام رئاسة الجمهورية.. بعد أقل من ساعتين كان العطفى خارجاً من مكتب رئيس الديوان وهو لا يتخيل أنه أصبح أحد أطباء رئيس الجمهورية نفسه..

وبدءاً من اليوم التالى كانت سيارة رئاسة الجمهورية تذهب إلى حيث يسكن العطفى بحى الزمالك.. لتذهب بالعطفى إلى حيث يتواجد السادات بأى قصر من قصوره الرئاسية.. سواء قصر القبة.. أم عابدين.. أم الطاهرة.. ليبدأ ممارسة طقوس يومية من كشوفات عادية على جسد الرئيس.. ثم يقوم بتدليك جسده بعد ممارسته رياضة المشى اليومية التى كان يحرص عليها السادات.. ومن ثم كان يوكل إليه أيضًا من خلال تخصصه الطبى متابعة الحالة الصحية لكل أفراد عائلة الرئيس.. وأصبح مقرباً للغاية من السادات.. وبدأ يدخل ويخرج على الرئيس فى منزله ومكتبه بحرية شديدة..

وبعدها بدأ العطفى تكوين صداقات وعلاقات كانت لا شك على قدر كبير من الأهمية والخطورة بكل من يحيط بالرئيس مباشرة.. ويصفه سامى شرف بأنه كان صديقاً للسادات وأسرته وكمال حسن على وشخصيات أخرى..

قمـة النجـاح!

وكان ذلك يمثل قمة نجاحات الموساد طوال فترة صراعها المستمر مع الجانب المصرى.. ومن خلال ذلك كان العطفى ينقل بدقة شديدة كل ما له علاقة.. أو يمت بصلة لصحة رئيس الجمهورية للمخابرات الإسرائيلية.. والأهم والأخطر كل ما يدور فى أروقة قصر الرئاسة من أحداث.. وحوارات على كل الأصعدة تجرى أمامه بمنتهى الاطمئنان لشخصه.. والأهم.. والأخطر.. بحسب ما ذكره فى سجنه فيما بعد أنه كان على وشك اغتيال السادات عن طريق تسميم جسده بكريم تدليك خاص لا يترك عند استخدامه أثرًا للمادة السمية الموجودة به فى جسد المتوفى.. ولا كذلك التحاليل العادية التى تجرى للرئيس من وقت لآخر.. كان على وشك تسلمه بالفعل من الموساد..

وعندما تمكن العطفى من أن يتبوأ تلك المكانة.. ويحظى بكل هذا القرب من الرئيس نفسه.. وأصبح من شخصيات المجتمع.. والدولة المعروفين.. واللامعين.. كان من الطبيعى أن تفتح له قاعة كبار الزوار فى مطار القاهرة الدولى عند دخوله وخروجه.. وكان من العيب أن يتم تفتيش شنطه.. أو حتى فتحها.. بل كانت تسبقه دائمًا محمولة بالنيابة عنه إلى سيارته التى تنتظره خارج بوابة المطار.. مع وافر الاحترام.. والتبجيل لطبيب الرئيس الخاص من أكبر إلى أصغر رتبة فى أمن المطار.. كان العطفى بتحقيقه كل ذلك قد وصل لدرجة كبيرة من الثقة فى كونه يستطيع أن يتحرك بسهولة تامة دون الشك فى أمره.. سواء داخل مصر.. أم خارجها..

وبعد انتهاء مباحثات الكيلو ١٠١ وما أعقبها من توقيع اتفاقات فض الاشتباك بين مصر وإسرائيل.. أصبحت العلاقات بين الدولتين على خير ما يرام.. وبخصوصية أكثر عقب نجاح هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية وقتها فى إتمام صفقة تم بموجبها تسليم إسرائيل جواسيسها المتواجدين فى السجون المصرية.. حتى رفات جثامين بعض من تم إعدامهم من هؤلاء الجواسيس مثل (إلياهو حكيم) و(إلياهو تسورى) اللذين قاما نوفمبر عام ١٩٤٤ بقتل اللورد موين وتم إعدامهما بعد القبض عليهما فى نفس العام..

فبدأ العطفى يطمئن إلى عدم اكتشاف أمره.. فمن هذا الذى يشك فى الطبيب الخاص برئيس الجمهورية.. لذا بدأ يتخلى عن حرصه الشديد والمعروف عنه فى تنقلاته.. وتحركاته.. وبعد أن كان يطوف أرجاء القاهرة بسيارته لساعات طويلة.. ومن مكان لآخر.. من العتبة.. إلى الموسكى.. إلى الدرّاسة.. إلى مدينة نصر.. حتى أنه كان يذهب أحيانا إلى بعض المدن القريبة من القاهرة مثل بنها.. وقليوب.. وغيرها.. كل ذلك من أجل فقط إلقاء خطاب بأحد صناديق البريد.. وفى كل مرة يقوم بإلقاء الخطاب فى صندوق مغاير للمرة السابقة..

بدأ العطفى يلقى بالخطابات فى أقرب صندوق بريد يقابله.. سواء عند منزله.. أم.. بجوار المعهد.. أم بجوار النادى الأهلى.. ولم يعد يقوم بجولته المعتادة بالسيارة.

وكان العطفى كثير السفر خارج مصر بحجة الدراسة.. والبحث وراء كل ما هو جديد فى عالم الطب.. والعلاج الطبيعى.. وكان يحرص فى معظم سفرياته على أن يملأ جواز سفره بتأشيرات لبلاد أخرى غير التى زارها.. ويحرص أيضًا على ألا يحمل من البلاد التى زارها ما يدل عليها.. بل أنه كان كثيرًا ما يسافر إلى بلد.. ويشيع قبل وبعد السفر أنه مسافر لبلد آخر..

لكن فى أواخر الأيام قبل اكتشاف أمره تخلى عن كل ذلك.. وأصبح يسافر أو يعود من الخارج واضعًا فى شنطة يده بلا اكتراث ما يدينه بالتجسس من أوراق وتقارير مخابراتية على درجة كبيرة من الخطورة..

وكما كان حرص العطفى الشديد فيما مضى.. واهتمامه بأصغر وأدق التفاصيل.. هما أهم أسباب نجاحه والتعتيم على حقيقته فى البداية.. كان بتخليه بلا مبرر عن كل ذلك هو السبب فى اكتشاف أمره.. ويمكننا القول إن العطفى بسذاجته غير المبررة هو الذى أوقع نفسه.. بنفسه..

عيون لا تنام!!

ففى آخر زيارة له لأمستردام وصلت جرأته وهو الرجل الذى أصبح شخصية معروفة إلى الذهاب لمقر السفارة الإسرائيلية على قدميه أكثر من مرة.. دون أى احتياطات من جانبه.. وفى واحدة من تلك الزيارات التقطته عـ يون المخابرات المصرية الـ يقظة هناك.. وتم تصويره بصحبة بعض رجال وعملاء الموساد.. وأرسلت الصور إلى القاهرة.. ليتم إعداد المشهد الأخير فى البحث عن ذلك الجاسوس الغامض الذى حير المخابرات المصرية منذ عام ١٩٧١ عندما التقطت ترداداتها اللاسلكية أول إشارة مشفرة أرسل بها الجاسوس الغامض إلى إسرائيل..

الجاسوس المجهول!

وعلى مدار الشهور التسعة التى سبقت إلقاء القبض على العطفى تـ يقنت المخابرات المصرية من وجود جاسوس مجهول حار الجميع فى تحديد شخصـ يته ينقل للجانب الإسرائيلى أولاً بأول معلومات على قدر كبير من الخطورة تتعلق بصحة الرئيس شخصياً وبعض شئون رئاسة الجمهورية.. ولم يكن هناك على الإطلاق أى معلومات تشير إليه..

وتحت عنوان (الجاسوس المجهول) كان هناك ملف.. لا يحوى سوى معلومة واحدة وهى " أنه يوجد جاسوس على مستوى عال.. وقريب للغاية من غرفة صنع القرار السـ ياسى فى مصر يبلغ إسرائيل أولاً بأول بكل الخطوات التى يخطوها الرئيـ س السادات نفسه بشكل دقيق للغاية "

وتسلم هذا الملف وقتها العمـ يد محمد نسيم.. ذلك الرجل الذى سطر بعبقريته الفذة.. وإيمانه.. وإخلاصه الشديد بالله.. ثم وطنه.. ملف هذا الجاسوس المجهول.. فعلى الرغم من كل الكفاءات الأخرى المتواجدة بجهاز المخابرات المصرية.. إلا أن الرجل كان من وجهة نظر كل قادته هو الأنسب.. والأكثر كفاءة للتعامل مع هذا الملف..

وبدأت عملية البحث عن ذلك المجهول.. وتم وضع كل المقربين من رئاسة الجمهورية.. والرئيس شخصيًا تحت المراقبة الشديدة فى كافة تحركاتهم داخل مصر

وخارجها.. والبحث وراء كل منهم.. لاستكشاف تاريخه الخاص.. وبحث كل علاقاته.. وكان بالطبع من بينهم العطفى الذى كان وقتها قد اقترب كثيرًا وبصفة شخصية تمامًا من الرئيس السادات وعائلته.. وبالطبع لم تكن أجهزة الأمن والمخابرات المصرية لتترك أى شخص يتمتع بهذه القرب الشديد من المؤسسة الرئاسية دون أن تبحث وتفتش وراءه..

وجاءت تلك المعلومة المهمة القادمة من أمستردام لتلقى بأول حجر على سطح الماء فى بحر الشك الذى كان وقتها قد طال جميع المقربين من الرئيس السادات بطريقة أو بأخرى.. فتم إرسال ضابط مخابرات خاص إلى هولندا لمراجعة كل ما يتعلق بحياة العطفى وعلاقاته بأسرة زوجته.. ولأصدقائه.. ومعارفه هناك..

وهنا فى مصر كان لابد من التحقق من باقى المعلومات التى توافرت لرجال المخابرات المصرية حول العطفى.. وعلى مدار أيام عديدة متتالية لم ير خلالها العميد محمد نسيم هو ورجاله النوم.. اكتملت أوراق الملف.. وبتضييق نطاق البحث أكثر وأكثر اتضحت كافة جوانب الحقيقة..

.. وتم اتخاذ قرار القبض على العطفى بسرعة شديدة.. حيث إن بقاء مثل هذا الرجل يمارس مهام عمله وقربه من رئيس الجمهورية شخصياً بالإضافة للعديد من الشخصيات المهمة الأخرى هكذا بمنتهى الحرية إنما يحمل فى طياته إنذاراً دائماً ومستمراً بالخطر الداهم.. لكن كان لابد أولا من عرض الملف على رئيس الجمهورية نفسه..

مفاجأة كالصاعقة..!

صعق السادات وهو يسمع كل هذه التفاصيل من رئيس جهاز المخابرات المصرية الذى أصر على أن يعرض عليه الملف بنفسه.. وتساءل بحدة شديدة كيف يجرؤ هؤلاء على مجرد التفكير فى تجنيد أحد أطبائى الخاصين.. وجاء الرد أكثر صدمة عندما أخبره رئيس المخابرات بأن عملية تجنيد العطفى للأسف الشديد بدأت مبكراً قبل أن ينضم لطاقم أطباءه الخاص..

لذا بدا السادات من البداية غير مصدق للقصة برمتها.. وبدأ يتشكك فى صحة المعلومات التى جاءه بها رئيس المخابرات وطلب منه تحرى الدقة.. وعندما سأله من الضابط المسئول عن متابعة الملف.. أجابه رئيس المخابرات أنه العميد (محمد نسيم).. ساعتها أيقن السادات لفرط ثقته الشديدة فى العميد نسيم.. أن لا محل للشك إطلاقًا فيما يعرضه عليه الرجل من معلومات.. فقط ولحساسية الموضوع لأنه يمسه هو شخصيًا.. أمر بإطلاعه أولاً بأول على كل التفاصيل التى من الممكن أن تستجد.. وأن يكون الموضوع برمته تحت إشرافه هو ومتابعته الشخصية مباشرةً.. كما أمر بإعطاء الملف صفة (شديد السرية) وهى أعلى درجات التصنيف المخابراتى.. وبعد عدة أيام قليلة صدرت الأوامر بإنهاء الملف والقبض على العطفى.

الخـــداع..!

وعلى الفور تم تكليف ضابط المخابرات المصرى المتواجد فى أمستردام بإحكام رقابته على العطفى فترة وجوده هناك.. وضرورة ألا يشعر على الإطلاق بذلك حتى لا يهرب منه.. أو يلجأ للسفارة الإسرائيلية فى هولندا.. وحتى لا تتدخل السلطات الهولندية فى الأمر وتتحفظ على العطفى وتمتنع عن تسليمه لمصر حيث لم تكن هناك اتفاقيات تبادل متهمين بين مصر وهولندا فى ذلك الوقت..

وعندما توجه العطفى لمقر شركة مصر للطيران فى أمستردام للحجز إيذانًا بعودته إلى مصر.. تلقى ضابط المخابرات المصرية تعليمات بأن يحجز هو الآخر للعودة على نفس الطائرة وعند وصولها لمطار القاهرة يقوم على الفور بالقبض على العطفى.

مفاجأة..!

أقلعت الطائرة من مطار أمستردام يوم ٢٢ مارس ١٩٧٩ وعلى متنها ضابط المخابرات.. وتأكد بنفسه قبل صعوده لسلم الطائرة أن اسم د. على العطفى مدرجًا على قائمة الركاب الحاجزين.. وفى تمام الساعة الحادية عشر والنصف من مساء نفس

اليوم هبطت الطائرة فى مطار القاهرة.. قام ضابط المخابرات مسرعًا ليقف على سلم النزول قبل أن يهبط منه أى شخص.. ليمسك بصديده الثمين.. اعترض طاقم الضيافة قبل فتح باب الطائرة.. اختلى الضابط بقائد الطائرة وأخرج له تحقيق الشخصية.. وأطلعه على حقيقة مهمته.. دون أن يسمى له الشخص المطلوب.. أمر قائد الطائرة بعدم اعتراض ضابط المخابرات.. دقائق وجن جنون الضابط بعد أن نزل جميع الركاب وليس من بينهم العطفى.. هل تبخر؟.. هل تلاشى؟.. فتش كل ركن من أركان الطائرة للبحث عنه.. فربما شعر بوجود من يتعقبه.. أو تم تنبيهه بطريقة أو بأخرى.. لكن لم يكن للعطفى المدرج اسمه على قائمة الركاب أى وجود..

كان هناك فى نفس التوقيت مجموعة أخرى من ضباط المخابرات موزعون داخل أرجاء المطار ينتظرون وصول زميلهم وبصحبته صيدهم.. تقابل الجميع فى أحد المكاتب التابعة للمخابرات المصرية فى المطار.. وتم إبلاغ العميد محمد نسيم بالأمر.. فأجرى اتصالاً هاتفيًا مضللاً ببيت العطفى تأكد من خلاله من وجوده فى بيته.. وبمراجعة أسماء الداخلين لمصر على مدار اليومين السابقين تأكد أن العطفى وصل بالفعل إلى مصر راكبًا طائرة أخرى قبلها بـ ٤٨ ساعة.. وكان حجزه على الطائرة الأخرى مجرد عملية تمويه وتضليل احتياطية ثبت اعتياده القيام بها عند كل سفرية عمل يلتقى فيها بمسئولى متابعته من الموساد.. فقد كان حريصًا للغاية.. وكان لابد من وضع خطة أخرى للقبض على العطفى.

فى بيت العطفى..!!

دق جرس التليفون فى منزل العطفى صباح اليوم التالى.. ذهبت الخادمة بالتليفون لسيدها الذى كان يتناول طعام الإفطار مع زوجته وولديه (شريف) الطالب بكلية الهندسة.. و(عمر) التلميذ بالشهادة الإعدادية.. أخبرته بأن أحد الصحفيين يريد التحدث معه.. تناول العطفى سماعة التليفون من يدها.. وانتقل ليجلس على كرسى الصالون ليرد على المكالمة.. بينما كانت زوجته وولداه مستمرين فى تناول طعام الإفطار وهما يتابعان المكالمة من بعيد..

العطفى: آلو..

الطرف الآخر: صباح الخير يا دكتور عطفى.. حمد لله على السلامة..

العطفى: مين معايا؟

الطرف الآخر: عبد الحميد إبراهيم من مجلة «آخر ساعة»..

العطفى: أهلا وسهلا.. أى خدمة..

الطرف الآخر: أنا مكلف من المجلة بإجراء حوار صحفى مصور مع سعادتك بمناسبة رجوعك من الخارج.. نتكلم فيه عن آخر ما وصل إليه علم العلاج الطبيعى على مستوى العالم..

العطفى: أهلا وسهلا بيك فى أى وقت.. بس إنت عارف أنا لسه راجع من السفر ومحتاج استريح يومين.. أو تلاتة على الأقل..

الطرف الآخر: براحتك يا أفندم.. بس أنا عندى مشكلة صغيرة.. الحوار لازم ينتهى بسرعة علشان محجوز له مساحة كبيرة فى العدد اللى هيصدر بعد يومين.. وده بتكليف خاص من رئيس التحرير نفسه.. يعنى الوقت ضيق.. ومش طمعان فى أكتر من نصف ساعة من وقت سعادتك.. ولو تحب حضرتك ممكن أخلى رئيس التحرير يكلمك بنفسه..

العطفى: المسألة مش مستاهلة.. تقدر حضرتك تشرفنى النهارده الساعة تسعة مساء.. يناسبك الميعاد ده..

الطرف الآخر: مناسب جدًا يا أفندم.. تسعة بالدقيقة هكون عند سعادتك.. بس لينا رجاء هام وضرورى جدًا..

العطفى: خير..!!

الطرف الآخر: الكلب الوولف..

العطفى: (يضحك).. حاضر هاحبسه.. ما تخافش..

الطرف الآخر: مش هاوصيك يا أفندم.. كل ما أقول لحد من زمايلى إنى رايح أعمل حوار مع حضرتك يحذرنى منه..

العطفى: (مستمر فى الضحك) لأ.. خلاص.. قلت لك ما تخافش هاحبسهولك يا عم فى المطبخ.. مبسوط.. ياللاه مع السلامة..

كان العطفى يحتفظ فى منزله الذى كان فى الأساس كان عبارة عن شقتين متقابلتين تم فتحهما على بعضهما البعض بكلب من النوع (الوولف) ضخم الحجم بشكل مخيف.. من الممكن أن يفترس ثلاثة رجال فى وقت واحد.. ربما كنوع من الحماية فى حالة حدوث أى هجوم من جهة مّا على الشقة..

وضع العطفى السماعة مكانها.. ثم قام ليدخل غرفة مكتبه.. ويغلقها خلفه.. كان العطفى معتادًا على مثل هذه اللقاءات الصحفية على مدار السنوات الماضية جميعها.. لكنه أمسك بسماعة التليفون الموجود على مكتبه.. وأدار قرص التليفون.. طالبًا مجلة آخر ساعة.. وعندما جاءه صوت عامل التليفون على الخط الآخر طلب منه أن يحدث الصحفى عبد الحميد إبراهيم.. طلب منه العامل الانتظار قليلاً ليحول الخط.. لحظات وجاءه صوت نسائى عرف منها أنها صحفية زميلة وأخبرته بأن زميلها نزل لتوه من المجلة بعد إجراؤه مكالمة تليفونية مع أحد مصادره.. شكرها وأخبرها بأنه قريب له وسيعاود الإتصال به مرةً أخرى عندما يعود.. تأكد العطفى من وجود صحفى بهذا الاسم يعمل بالمجلة.. بقى الاتصال برئيس التحرير.. وضع العطفى سماعة التليفون مكانها.. ثم عاود الإتصال بنفس الرقم.. وطلب هذه المرة محادثة رئيس التحرير نفسه بعد أن أخبر عامل التليفون باسمه الحقيقى.. لحظات وكان معه على الجانب الآخر رئيس التحرير..

رئيس التحرير: أهلاً.. وسهلاً دكتور عطفى.. إيه المفاجآت الجميلة دى.. كنت لسه فى سيرتك حالاً..

العطفى: خير..

رئيس التحرير: أبداً.. مش عبد الحميد الصحفى اللى عندنا كلمك بخصوص الحوار.

العطفى: أيوه ما هو ده الموضوع اللى كنت عايز أكلمك فيه..

رئيس التحرير: إنت عالم كبير يا دكتور عطفى.. وإحنا نتشرف بيك على صفحات مجلتنا فى كل وقت.. خاصةً إن القراء بيحبوا يتابعوا دايمًا الجديد فى تخصصك.. ومن خلالك أنت بالذات..

العطفى: يعنى ما ينفعش نأجل الحوار كام يوم..

رئيس التحرير: صعب يا دكتور.. إحنا حجزنا له مساحة كبيرة خلاص العدد الجاى..

العطفى: خلاص.. على بركة الله.. أنا منتظرهم.. فى الميعاد.. أى أوامر.

رئيس التحرير: ألف شكر.. يا أفندم.. سلام..

وضع العطفى سماعة التليفون وهو مطمئن تمامًا.. وبدأ يجهز بعض الصور المطلوبة منه.. وبعض الأوراق استعدادًا للقاء..

لم يكن العطفى يدرك أن كل ما قام به متوقعًا من جانب المخابرات المصرية.. لذلك تم ترتيب كل شىء.. داخل مجلة آخر ساعة.. دون أن يشعر أحد.. بأى شىء..

المصيدة

مساء يوم ٢٣ مارس ١٩٧٩.. الساعة الثامنة والدقيقة الخمسون..

حى الزمالك .. أحد أرقى وأهدأ أحياء القاهرة..

تم تأمين حى الزمالك بالكامل.. دون أن يشعر أى واحد من السكان أو المتواجدين بالحى بوجود أى شىء غير عادى.. ففى مثل هذه المواقف كل شىء وارد.. ولابد أن يعمل ألف حساب لأى احتمال غير متوقع..

وفى شارع بهجت باشا على وتحديدًا أمام العمارة رقم ٤ المكونة من ٦ طوابق.. المملوكة للدكتور على العطفى.. والمعروفة بفخامتها ومناصب سكانها الحساسة.. توقفت بعض السيارات السوداء التى تحمل لوحاتها أرقاما خاصة.. نزل من تلك السيارات بعض الرجال يرتدون ملابس مدنية.. صعد بعضهم لأعلى.. بينما انتشر الباقون فى كل مكان حول مداخل ومخارج العمارة..

وفى الدور الأول.. وأمام إحدى الشقق تعلو بابها يافطة نحاسية صغيرة مكتوب عليها "أ. د.على العطفى - أستاذ وعميد المعهد العالى للعلاج الطبيعى" .. وقف زوار المساء يدقون دق جرس الباب..

كان د. على العطفى قد استعد للقاء ضيوفه.. ارتدى بدلة فخمة.. وأعد أوراقه بشكل مناسب.. وأخذ يغدو ويروح فى غرفة مكتبه الكبيرة.. يقلب بأصابعه بين أرفف المكتب الضخمة التى كانت تحتوى على قرابة العشرة آلاف كتاب.. معظمها لم يفتحها العطفى.. فقد كانت بمثابة قطع من الديكور.. لم يدفع العطفى نقودًا فيها.. وجاءته غالبيتها كهدايا.

توجهت الخادمة لتفتح الباب.. اصطحبت الضيوف الذين كان عددهم يفوق كثيراً ما أخبرها به مخدومها من انتظاره لشخصين فقط.. لكنها لم تجد أمامها بدًا من إفساح الطريق أمام الجميع بعد أن أخبرها العميد محمد نسيم بأنهم جميعًا على موعد مع دكتور عطفى.. استأذنتهم فى الجلوس بالصالة حتى تخبر الدكتور.. أشار لها نسيم بأن تتقدمهم.. وأشار لباقى مرافقيه بالانتظار بالصالة.. وعندما فتحت باب غرفة المكتب كان وراءها نسيم والضابط المرافق له يقتحمان غرفة المكتب وسط اندهاش الخادمة التى لم تجد ما تفعله.. فوقفت فى انتظار أوامر مخدومها .. الذى كان قد جلس على الكرسى وراء مكتبه بمجرد سماعه لجرس الباب.. ولم يشعر بوجود باقى الأفراد المتواجدين بالصالة.. ومتوقعًا أن الضيف القادم هو الصحفى الذى كان ينتظره.. لكن للوهلة الأولى وفور دخول الضابطين.. وخصوصًا مع طريقة اقتحامهما غرفة المكتب بهذا الشكل.. قد توجس قلقًا وخوفًا.. فى الوقت الذى حاول فيه بقدر

الإمكان أن يبدو هادئًا تمامًا.. فأمر الخادمة بالخروج من الغرفة.. فزاد ضابط المخابرات بأن أمرها بأن تغلق الباب خلفها.. ودون أن ينتظر الضابطان منه الإذن بذلك جلسا أمامه.. فى الوقت الذى كان فيه باقى أفراد القوة قد انتشروا فى أرجاء المنزل الواسع.. ينتظرون أوامر من بالداخل.. وعندما أرادت الخادمة الذهاب لغرفة نوم سيدتها التى كانت فى هذا التوقيت نائمة لتخبرها بما يحدث.. أمرها أحد الضباط بأن تجلس أمامهم فى الصالة دون أى تحرك..

مراوغــة..!!

فى غرفة المكتب.. ودون أن يطلب هو منهم ذلك أخرج له العميد محمد نسيم الذى أصرّ على أن يلقى بنفسه القبض عليه.. ورقة صغيرة عليها إذن بتفتيش الشقة والقبض عليه هو شخصياً لاتهامه بالتخابر مع دولة أجنبية.. ذهل العطفى.. ثم حاول أن يتماسك وهو يلقى بالورقة من يده على المكتب أمام ضابطى المخابرات وهو يقول لهما:

العطفى: أنا مش فاهم حاجة.. (ثم أخذ يضحك بصوت عال) العطفى جاسوس.. مش معقول.. أنت أكيد غلطان.. (بنبرة مليئة بالتهديد وهو يشير إلى الضابط بإصبعه محذرًا) بس لاحظ .. إنت مش عارف أنت بتعمل إيه.. ولا أنا مين!!

رد عليه نسيم وهو واثق تماماً ومتأكد من صحة إجراءاته..

نسيم: لأ.. أنا عارف كويس حضرتك مين.. ومتأكد أنا جاى ليه.. زى ما أنت نفسك عارف كويس قوى إن إحنا مش غلطانين ..

أونكل سادات..!!

فى هذه اللحظة كان باب الشقة قد فتح ودخل (شريف) الابن الأكبر لعلى العطفى..الطالب بكلية الهندسة وقتها وزميل وصديق جمال السادات الابن الأكبر للرئيس السادات.. فوجئ بالمشهد.. وقبل أن يصدر منه أى رد فعل.. حاول أحد ضباط القوة إسكاته والسيطرة عليه فعلا صوته.. واستيقظت والدته.. وشقيقه الأصغر (عمر).. وحدث هرج ومرج فخرج العميد نسيم لاستطلاع الأمر.. ولم يشأ إخبارهم

فجأة بحقيقة الأمر حتى لا يصدمهم.. واكتفى بقوله إنها إجراءات أمنية عادية.. لا تستدعى أى نوع من القلق.. وطالب الجميع بالهدوء حتى ينتهى من جلسته الخاصة مع الدكتور عطفى.. والتقط العطفى منه خيط الكلام وحاول أن يهدئ من روع زوجته.. وولديه.. وقال إنهم ضيوف سوف يجلس معهم قليلاً فى غرفة المكتب ولا داعى للقلق.. فرد عليه ابنه الأكبر..

الإبن: لو فيه حاجة يا بابا أكلم جمال السادات يبلغ أونكل السادات فورًا..

فرد عليه نسيم قائلاً:

نسيم: الأمر لا يستحق كل هذا.. فقط اجلسوا فى هدوء حتى ننتهى من جلستنا مع دكتور عطفى..

امتثل أفراد الأسرة لأمر الضابط.. وجلسوا أماكنهم فى الصالة.. بينما عاد الضابطان مصطحبين العطفى لغرفة المكتب وأغلقاها خلفهما..

السادات على الخط..!

ومرة ثانية حاول العطفى أن يبدو متماسكًا قدر الإمكان.. وتظاهر بأنه لا يزال لا يعلم شيئاً مما يقصده الضابط.. وقال له:

برضه مش عارف أنت عايز إيه..

رد عليه نسيم عليه بهدوء أكثر:

دكتور عطفى أنت متهم بالتخابر مع دولة أجنبية.. وأنا جاى أنفذ أمر القبض عليك.
صرخ العطفى فى وجه ضابط المخابرات قائلاً:

العطفى: إنتوا مش عارفين أنا مين..

فرد عليه ضابط المخابرات المصرى بهدوء قائلاً:

تانى.. لأ عارفين ومتأكدين كويس قوى كمان.. أنت الطبيب الخاص برئيس الجمهورية..

اندفع العطفى غاضباً ليمسك بسماعة التليفون الموضوع فوق مكتبه ليحاول الاتصال بالرقم الخاص بالسادات مباشرةً.. ابتسم ضابط المخابرات وهو يمسك سماعة التليفون من يده ليعيدها لمكانها مرةً ثانيةً وهو يقول له:

ـ أولاً اجراءت المخابرات لا يستطيع رئيس الجمهورية نفسه أن يوقفها أو يتدخل فيها..

ـ ثانياً الرئيس على علم تام بكل ما نفعله.. ويجلس الآن شخصـ ياً فى انتظار خبر القبض عليك.. (وأخرج له الصور التى التقطت له مؤخرًا فى أمستردام مع ضباط الموساد ويريها له وهو يواصل كلامه).. مش هى دى صورك يا دكتور عطفى .. ومش هو ده ضابط الموساد اللى بتشتغل معاه..

أسقط فى يد العطفى.. وألقى بجسده الذى أصبح لا يتحمله على أقرب كرسى.. وهو منهار تماماً..

واستطرد نسيم قائلاً له:

وياريت تتعاون معانا.. وما تتعبناش.. وده علشان خاطر مصلحتك فى المقام الأول.. والأخير.. إحنا عارفين عنك كل حاجة.. وبصراحة كنا متوقعين إن أنت اللى هاتيجى لنا برجليك.. تحكى كل حاجة.. ساعتها كنت هتبقى بطل.. مش جاسوس خاين.. عمومًا الفرصة لسه قدامك.. وإحنا لغاية دلوقت.. بنعتبر نفسنا ضيوف.. وممكن كمان نعتبرك إنت اللى جيت وبلغت.. وده لعلمك ضرورة تقتضيها المصلحة العليا للبلاد.. إنت راجل مش قليل فى البلد.. ولك وضعك.. دا أنت الطبيب الخاص برئيس الجمهورية نفسه يا راجل.

رد ضابط المخابرات الآخر:

لأ.. وصديقه الشخصى.. كمان..

يعنى كلنا عايزين نساعدك..

بس بشرط تساعد أنت نفسك.. أولاً

العطفى: إزاى؟

نسيم: مافيش غير حل واحد..

العطفى: إيه هو؟

نسيم: نعرف كل حاجة.. من الألف.. للياء.

العطفى: وأنا هقول كل حاجة.. بس قبل ما أتكلم عايز أقول لكم على حاجة مهمة قوى.. انا كنت ناوى فعلاً أتوب تمامًا عن تعاونى معهم الأسبوع الجاى (ينظر كل من الضابطين للآخر.. ومن داخل كل مُنهما تتفجر ضحكة مكتومة مليئة بالسخرية من سذاجة ما يقوله العطفى الذى يواصل كلامه قائلاً).

وسافرت أمستردام الأسبوع الماضى مخصوص علشان أبلغهم بقرارى.. وكنت ناوى برضه أحج السنة دى.. وهناك بلغنى ضابط المخابرات الإسرائيلى.. إن أنا أقدر آخد أسرتى وأسافر بمعرفتهم لتل أبيب.. وأعيش هناك بحريتى وما فيش أى حد ها يعرف طريقى.. وأنا بقترح عليكم دلوقت أن الأمور تمشى على طبيعتها.. وأسافر هناك.. ومن هناك أقدر أخدم مصر.. وأكفر عن اللى فات..

نسيم: اقتراح جميل.. ومقنع.. اتعاون معانا بقى علشان نقدر ننفذه..

وابتلع العطفى الطعم.. وبدأ يحكى كل التفاصيل منذ اللحظة الأولى لتعاونه مع الموساد.. لكنه كان من الذكاء بحيث يمسك العصا من المنتصف.. يرضى ضابطى المخابرات.. ويحكى لهم نصف الحقيقة فقط.. فلا يستطيعان أن يمسكا دليلاً واحدًا عليه.. فحكى قصة وهمية عن سعى الموساد لتجنيده.. أثناء احدى زياراته لأمستردام تعرف هناك على فتاة هولندية فى أحد الملاهى الليلية.. وبعد فترة من تعرفه عليها فوجئ بها تدعوه ليتعرف على أحد أصدقائها وقدمته إليه على أنه تاجر يريد أن يشاركه فى بعض المشاريع التجارية بمصر.. وفيما بعد عرف أن هذا الشخص أحد رجال المخابرات الإسرائيلية..

وكان ضابطى المخابرات يستمعان له بإصغاء ليطابقا أقواله بما لديهما من معلومات.. ولأن أقواله كانت كلها مازالت فى طور الأقوال المرسلة التى يسهل عليه فيما بعد إنكارها والادعاء بأنه اعترف بها تحت ضغط وتعذيب.. كان لابد من وجود أدلة مادية.. فتركاه يحكى كيفما شاء.. ثم سألاه عن وسائل اتصاله بالمخابرات الإسرائيلية.. فأخبرهما بأن ذلك يتم عن طريق خطابات يرسلها بشفرة معينة على ورق كربون سرى وخاص إلى بعض صناديق البريد فى بعض العواصم العالمية..

وبدأت عندها أركان الاتهام المادى تتوالى أمام ضابطى المخابرات.. فطلبا منه أن يسلمهما هذه الأدوات.. فاشترط عليهما أن يعداه أولاً بأنه لن يغادر بيته.. ومن جانبه سـ يعتبر نفسه محدد الإقامة لحين ترتيب موضوع عمالته لصالحهم.. فوافق الضابطان.. قام العطفى وأخرج من درج مكتبه بلوك نوت يبدو من الخارج دفتر أوراق عادى جدًا.. مطبوع عليه (بادج) المعهد العالى للعلاج الطبيعى.. كان الدفتر كاملاً.. لم يكتب فيه.. أو تقطع منه أى أوراق.. ثم فرّ الورق.. وتوقف عند إحدى الأوراق الداخلية مكتوب عليها بقلم رصاص.. وبخط صغير جدًا (بسم الله الرحمن الرحيم).. وأشار إلى أن هذه الورقة هى ورقة الكربون التى كان يستخدمها.. ثم قام إلى المكتبة.. ومن بين عشرات الكتب مد يده إلى واحد منها.. وناولها للعميد محمد نسيم وقال له هذا هو كتاب الشفرة التى يستخدمها.. نادى العميد نسيم على أحد رجاله بالاسم من خارج الغرفة.. وعندما دخل الرجل ناوله البلوك نوت والكتاب.. أمسك بهما رجل المخابرات.. وجلس فى أحد أركان الغرفة.. وأخرج ورقة وقلم.. وبعد لحظات أعطى للعميد نسيم البلوك نوت وهو يومئ برأسه بالموافقة.. ثم أخذ يقلب فى صفحات الكتاب.. ويكتب بعض الملاحظات.. وبعد عدة دقائق.. مد يده إلى رئيسه بالكتاب مرةً ثانية وهو يومئ برأسه هذه المرة يمنة ويسرة.. ففهم نسيم الرسالة.. ونظر للعطفى نظرة حادة وهو يقول له:

ـ يبدو أنك لا تريد التعاون معنا.. أين كتاب الشفرة الحقيقى..؟

عندها سلم العطفى تمامًا.. وقام لـ يحضر الكتاب الصحيح من المكتبة الموجودة بالصالة.. حاولت الزوجة.. هى وولداها الحديث مع العطفى عند خروجه لإحضار الكتاب.. لكن منعهما أفراد القوة الذين صدرت لهم الأوامر من العميد نسيم بالبدء فى تفتيش جميع غرف ومحتويات المنزل بهدوء.. وفى وجود ربة المنزل.. ودون الإضرار بأى من محتوياته.. ثم عاد ومعه العطفى لغرفة المكتب ثانيةً.. حيث تم التأكد من أن الكتاب الذى أحضره هذه المرة هو الكتاب الصحيح..

عندها لم تتمكن زوجة العطفى الهولندية من التماسك أكثر فاندفعت باتجاه غرفة المكتب لتقتحمها وهى تسأل الضابطين:

ـ أريد أن أعرف ماذا يحدث بالضبط فى بيتى.. ومع زوجى.. هذا من حقى..

ردّ عليها نسيم بهدوء شديد قائلاً:

ـ دكتور عطفى متهم بالتجسس ضد وطنه..

شهقت الزوجة المخدوعة شهقة كبيرة.. حيث لم تكن تعرف من أمر زوجها شيئا.. وفوجئت بهذه الصدمة.. فصرخت قائلة:

ـ إمبيسبول.. نو.. نو..

نظر إليها ضابط المخابرات بثبات وهو يقول لها:

ـ هى دى الحقيقة..

ثم رمى ببصره إلى العطفى قائلاً:

ـ ولا إيه يا دكتور..

حاول العطفى تهدئة زوجته المنهارة تمامًا.. واقترب منها وأخذ يربت على كتفها مؤكدًا لها أن هناك لبثًا فى الأمر.. صرخت فى وجهه ودفعته بعيدًا عنها.. وهى تنظر لضابط المخابرات.. وتعيد سؤاله:

ـ هل هذه هى الحقيقة بالفعل كما تقول..

أومأ لها نسيم براسه بما يعنى أنها بالفعل الحقيقة..

لمن كان يصلى؟!

عندها هجمت على العطفى.. ودفعته بكلتا يديها.. وهى تشير لعدد كبير من المصاحف مختلفة الأحجام.. والأنواع.. ولسجادة الصلاة التى كانت مازالت مفروشة فى أحد أركان غرفة المكتب منذ أن صلى عليها العطفى صلاة العشاء فى الليلة الماضية.. بينما كانت تصرخ قائلة له:

- وماذا كنت تفعل بكل تلك المصاحف.. ولمن كنت تصلى؟!

عندها تدخل ولداها والخادمة.. وبعض أفراد القوة لتهدئتها وإخراجها من الغرفة.. بينما انهار العطفى تمامًا وجلس على الكرسى الموضوع أمام المكتب وهو يبكى بحرقة..

كانت الساعة وقتها قد بلغت السابعة صباحًا.. ومضت عشر ساعات كاملة على هذه المواجهة التى امتزجت فيها برودة آخر فصل الشتاء.. بلهيب وسخونة الموقف على الجميع.. وعندها أمر العميد نسيم العطفى بأن يقوم معه بهدوء للذهاب إلى مقر المخابرات.. ثار العطفى.. مذكرًا ضابط المخابرات بوعده له بالبقاء فى منزله.. كانت نظرة نهر واحدة من عينى العميد نسيم كفيلة بأن تعيد العطفى لهدوئه صاغرًا ورد عليه:

نسيم: الساعة الآن السابعة صباحاً.. ولا تزال هناك ساعتان على موعد نزولك المعتاد من منزلك.. وهذا الوقت كافٍ جدًا لكى تأتى معنا لاستكمال بعض الإجراءات الروتينية.. ثم تعود لممارسة حياتك بشكل طبيعى..

ونادى الضابط الآخر على بعض أفراد القوة التى كانت قد انتهت تمامًا من تفتيش المنزل.. بينما أمسك به ضابطان آخران ليصطحباه مع باقى القوة لمغادرة المكان..

أشار العميد نسيم لاثنين آخرين من الضباط المرافقين له لمصاحبة زوجة العطفى وولده لجمع ملابسهما من أعلى ومغادرة المكان بالكامل.. فقد أصبح المكان من هذه اللحظة تحت سيطرة رجال المخابرات المصرية..

باقى القوة المرافقة لضباط المخابرات يصرفون السكان الذين تجمعوا على الأصوات الصاخبة التى كانت قد بدأت ترتفع من شقة العطفى الطبيب الخاص لرئيس

الجمهورية الذى كان بالنسبة لهم صاحب العقار وأهم سكانه.. وذلك مع لحظات المواجهة الأخيرة.. فقد أصيبت زوجته بانهيار عصبى شديد.. وكان الموقف بالنسبة لولديه أكبر من تحملهما.. فعلت أصواتهم بالصراخ الشديد..

دقائق وكان الجميع خارج الشقة.. العطفى يسير بين اثنين من الضباط مرتدياً بدلةً رمادية اللون.. بعد أن سمح له الضابط المسئول بتغيير ملابسه.. تتبعه زوجته ومعها ولداها.. خلفهم باقى أفراد القوة بعضهم يحمل شنطتين "سمسونايت" بهما بعض الأوراق والأشياء التى جمعوها من مكتب العطفى بمنزله.. الضابط المسئول يضع بنفسه أحراز الشمع الأحمر على منزل العطفى.. ثم يغادر الجميع المكان..

فى سيارة المخابرات كان العطفى يضع وجهه بين يديه.. ربما خجلاً.. ربما ندماً.. لكن المؤكد أنه كان يعيش فى هذه اللحظة واقعاً لم يكن يتخيل أنه من الممكن أن يعيشه مطلقاً.. منذ تلك اللحظة المشئومة عام ١٩٧٢ التى اعتبرها نقطة تحول فى حياته.. عندما وقع صك الخيانة مع مبعوث الموساد.. الذى تخيله مبعوث السماء الذى يملك عصا موسى ليحول بها حياته من الحضيض إلى أعالى المجد.. بينما كان حقيقته أنه مبعوث الشيطان الذى وصمه للأبد بالعار.. وألقى به إلى مزبلة التاريخ.. فى أشد بقاعها نتانة وعفانة.. بقعة الخيانة..

كانت هناك قوة أخرى تسبقهم إلى مقر المعهد العالى للعلاج الطبيعى .. الجميع يسأل دون أن يجدوا إجابة عن مغزى حضور هؤلاء للمعهد.. بعد لحظات توقفت سيارة المخابرات مرةً أخرى داخل أسوار المعهد.. فوجئ جميع الطلاب وموظفو المعهد وأعضاء هيئة التدريس بالعميد ينزل من إحدى السيارات ليدخل عليهم بهذا الشكل.. وكأنه مقبوض عليه .. صعدوا جميعاً إلى حيث مكتب العميد الخاص.. دخلوا بالعطفى مباشرةً إلى مكتبه .. قام ضباط المخابرات بتفتيش المكان بدقة شديدة حتى عثروا أخيراً على ضالتهم.. جهاز الإرسال اللاسلكى الحديث الذى كان يخبئه العطفى بمكان سحرى بمكتبته الخاصة.. وفيما بعد اكتشفت المعامل الفنية أن الجهاز ما هو إلا راديو حديث ومتقدم جدًا .. وتحت ضغط جهات التحقيق عاد العطفى ليصحبهم إلى مكتبه

بالمعهد مرة أخرى ليحضر جهاز الإرسال الحقيقى.. فقد كان العطفى يدرك تمامًا أن جهاز الإرسال هو دليل الإدانة الأول ضده.. وأقوى أدلة الاتهام الذى من الممكن أن يلف حول رقبته حبل المشنقة.. فتعمد أن يضع راديو حديث كان قد اشتراه من لندن فى إحدى زياراته إلى هناك فى مكان سرى آخر غير الذى كان يحتفظ فيه بالجهاز الحقيقى فى المعهد.. وفى حالة اكتشاف أمره وإلقاء القبض عليه يقدمه بديلاً عن الجهاز الأصلى الذى كان يستخدمه فتنهار القضية ولا يثبت عليه الاتهام.. وبعد أن جمع ضباط المخابرات كل الأوراق الخاصة بالعطفى.. خرجوا جميعاً وأغلقوا المكتب بعد تشميعه هو الآخر..

وبنفس الطريقة تم تفتيش مكتبه الخاص بالنادى الأهلى.. وكذلك شركة الاستيراد.. والتصدير التى كان يملكها وكتبها بإسم شقيقه الأصغر الذى صرخ عند القبض عليه متبرئًا منه ومن فعلته وهو يقول:

لقد جعل رؤسنا جميعًا فى التراب.. فلو كان مرتشيًا.. أو حتى قاتلاً.. لهان الأمر.. لكن ماذا نقول وهو جاسوس.. وخائن؟!!

فى مكتب رئيس المخابرات المصرية..!

كان رئيس المخابرات يتابع أولاً بأول خطوات عملية القبض على العطفى.. رجاله يتصلون به لاسلكياً باستمرار.. وبعد انتهاء العملية دخل عليه أسد المخابرات المصرية.. الرجل الذى قاد العملية بعد أن تمكن من حل طلاسمها كعادته ببراعة شديدة.. العميد " محمد نسيم ".. أدى الرجل التحية العسكرية لرئيسه.. وجلس على أقرب كرسى أمامه يتنفس الصعداء للمرة الأولى منذ أن تسلم من قائده ملف هذا الجاسوس..

فى استراحة السادات..!!

أمسك رئيس المخابرات بسماعة التليفون.. ثوانى وكان معه على الطرف الآخر الرئيس أنور السادات شخصياً.. أبلغه رئيس المخابرات بالنبأ الذى كان يجلس طوال الليل بانتظار سماعه.. التفاصيل طلب السادات أن يسمعها شخصياً من " محمد نسيم ".. وأمرهما بأن يحضرا فوراً إليه فى استراحته الرئاسية بالهرم..

وأمام السادات حكى له " قلب الأسد " كل تفاصيل عملية القبض على طبيبه ومدلكه الخاص.. كانت كل ملامح وجه الرئيس السادات تكاد تنطق من فرط إحساسه الشديد بوقع وقسوة تلك الصدمة التى جاءته مغلفة بثوب الخيانة من الرجل الذى كان من أقرب المقربين له هو شخصياً.. وكان يصفه بأنه رجل كفء ومخلص فى عمله..

تكتم إعلامى!!

فور القبض على العطفى.. ورغم التكتم الإعلامى الشديد على الموضوع لأسباب سيلى ذكرها فى موضعها.. طار الخبر فورًا إلى إسرائيل.. حيث كانت الصدمة كبيرة.. وغير متوقعة.

وهناك.. وتحديداً فى مبنى القيادة العامة للمخابرات الإسرائيلية " الموساد "..

كان هناك حالة عامة من الغليان وعدم التصديق تحيط بالجميع.. اجتماع على أعلى المستويات ضم رئيس الموساد نفسه.. وكافة قادة الأفرع الداخلية.. وفريق متابعة العطفى والضباط المسئولين عن تدريبه والاتصال به.. الجميع أصابهم الخرس.. وتحول الاجتماع الذى كان فيما مضى يشغى دائمًا بالأصوات العالية والمتناحرة.. إلى صمت مطبق.. فقد حط عليهم جميعاً سهم الله.. بعد أن أخرستهم تماماً المفاجأة.. فلم يجد أحد منهم ما يقوله.. وأصبح الأمر بالنسبة لهم مثل البكاء على اللبن المسكوب.. وكما بدأ الاجتماع.. انفض.. دون الوصول للإجابة عن السؤال الذى كان يتردد بينهم دون إجابة كيف سقط العطفى؟".. كيف كشفته المخابرات " المصرية؟ "..

المستحيل الرابع..!!

كانت الإجابة بالنسبة لهم فيما مضى بعد أن وصل عميلهم إلى ما وصل إليه من أهمية.. وقيمة فى بلده.. وقربه الشديد من الرئاسة نفسها .. " أنه المستحيل الرابع ".. أما الآن فقد أصبح كل المستحيل بالنسبة لهم جميعاً أن يبقى واحد منهم فى موقعه.. فقرار الإقالة قادم حتماً.. والأكرم لهم جميعاً أن يتقدموا باستقالاتهم..

عندما شاع خبر إلقاء القبض على العطفى تباينت ردود الفعل بين جميع من يعرفونه عن قرب.. أو حتى تابعوه عن بعد.. أو قرأوا اسمه.. أو رأوا صورته مصادفة فى جريدة.. أو مجلة..

لكن اتفق الجميع على عدم تصديق ما سمعوه.. فكيف لهذا الرجل الذى عرف بتدينه الشديد.. وحرصه التام على أداء الصلاة فى أوقاتها.. ويذهب كل يوم مبكرًا إلى النادى الأهلى حيث يمكث هناك حتى يصلى الظهر ثم يعود إلى بيته.. وباقى الفروض موزعة حسب ظروف عمله ما بين المسجد الملحق بمعهد العلاج الطبيعى.. والمسجد القريب من منزله الذى كان يحرص أيضًا على أن يكون هو أول الذاهبين إليه فى موعد الصلاة من كل جمعة.. كيف لرجل هذه صفاته أن يكون خائنًا.. وجاسوسا؟

لكن كان هذا هو الواقع.. حتى وإن رفضه الجميع.. حتى وإن استطاع أن يخدع العالم كله.. فقد جاءت اعترافاته هو لتؤكد كل ما لم يصدقه المخدوعون فيه.. الذين قال أحدهم وهو مسؤول على درجة عالية من الأهمية:

(سيبكم من حكاية جاسوس دى.. وقولوا لنا الراجل ده عمل إيه بالظبط؟!)

وقال آخر فى موقع أكثر أهمية من الأول:

(أنا أشك فى ابنى.. ولا أشك فى الدكتور على العطفى).

بينما اعتزل شخص ثالث الحياة العامة كلية بعد القبض على العطفى الذى كان يعتبر هو أقرب أصدقائه إليه وأكثرهم التصاقا به.. وبقى فى بيته لمدة شهر كامل متوقعا أنه سيتم القبض عليه هو الآخر..

أما أطرف تلك التعليقات فقد جاءت هى الأخرى من إحدى الشخصيات العامة كان على علاقة وثيقة بالعطفى.. عندما قال:

- العطفى كان يهوديًا بالفطرة.. وأن سر إعجابه الشديد باليهود.. هو سر حرصه وبخله الشديدين..

وهو تعليق امتزجت فيه الصدمة بالسخرية من الصفتان اللتين كانتا تحديدًا هما أكثر صفات العطفى استفزازًا لكل من كان يعرفه عن قرب.. فقد ذكر عنه أنه كان شديد الحرص

على اقتناء كل شىء.. وأى شىء.. مهما كان تافهًا.. فقد لاحظ كل من كان يرافقه للسفر للخارج أنه يحتفظ بكل ما يستطيع جمعه من أكياس الشاى.. والسكر.. والشوك.. والملاعق البلاستيكية.. التى توزع على ركاب الطائرات بالمجان.. وكان يحملها معه عند عودته لمصر.. ويحتفظ بها فى أدراج مكتبه.. وذكر فى محاضر الضبط أنه بتفتيش أدراج مكاتبه الخاصة عثر على العديد من تلك الأشياء.. ومن كثرتها تخيل القائمون على التفتيش أن لها علاقة ما باستخداماته التجسسية.. فتم فحصها جميعها بعناية شديدة.. وفى النهاية ألقوا بها جميعًا فى سلة المهملات.. لدرجة أنه عند فحصها وقعت إحدى الملاعق البلاستيك وقبل أن يهم العطفى بالتقاطها تحرك ضابط التفتيش وداس عليها فكسرها.. فصرخ العطفى يحذره.. ساعتها اندهش الجميع من رد فعله الغريب والتلقائى.. ورد عليه نفس الضابط قائلاً:

ـ أنت زعلان على معلقة بلاستيك انكسرت غلط.. ومش زعلان على وطن خنته.. وبعته بتراب الفلوس ..

فنكس العطفى رأسه فى الأرض دون أن يرد..

كل قاعدة استثناء..!!

لكن العطفى الذى كان معروفا عنه بخله وحرصه الشديد.. كسر القاعدة بشدة أثناء التحقيق معه.. وكان كريمًا للغاية مع من تولى التحقيق.. فلوحظ عليه أنه فى اعترافاته كان كثير الكلام بإسهاب شديد طوال فترة التحقيقات.. وكان إذا بدأ الكلام لا يتوقف عنه أبدًا.. وكثيرًا ما تطوع من تلقاء نفسه للإدلاء بمعلومات وأشياء كانت بعيدة عن مجرى التحقيق.. وعندما سأل ذات مرة فى ذلك وهو الشخص الذى عرف عنه طيلة حياته أنه قليل الكلام.. يتميز بالهدوء.. والرزانة.. قال (إنه كان فى حالة ذهول تام ولا يدرى كيف يتصرف.. ولا ماذا يقول)..

اتجاهان للتحقيق..!

وعلى مدار عشرين يوماً متواصلة من التحقيقات.. اعترف العطفى خلالها فى ١٠٠٠ ورقة فلوسكاب كاملة تفصيلياً بكل شىء.. وفى البداية سارت التحقيقات فى اتجاه أن

العطفى لم يعمل لحساب المخابرات الإسرائيلية إلا منذ عام ١٩٧٦ فقط.. لكن جاء تقرير المخابرات ليؤكد أن العطفى كان على اتصال بأجهزة المخابرات الإسرائيلية.. ويتبادل معها رسائل لاسلكية مشفرة بدءًا من عام ١٩٧١ .. وتم الاستدلال على ذلك بفحص جهاز الإرسال الحقيقى المضبوط فى القضية ومطابقة نوع التردد المستخدم فيه.. والشفرة التى كان يستخدمها العطفى فى مراسلاته مع تلك الرسائل المجهولة التى رصدتها أجهزة المتابعة اللاسلكية فى نفس العام ولم يتم التوصل لمصدرها آنذاك.. وعاد العطفى ليقر بالحقيقة التى تطابقت مع تقرير المخابرات المصرية فى هذا الشأن..

وكان من بين أحراز القضية المضبوطة أيضًا ما يلى:

١- عدسة تكبير تستخدم لعرض " الميكرو فيلم "

٢- كارت بوستال خاص به مكان حساس وسرى للغاية يستخدم كمخبأ لدس شرائح الميكروفيلم.

راتب العطفى فى الموساد..!!

كما أدلى العطفى باعترافات تفصيلية عن تعاملاته المالية مع الموساد قال فيها ما يلى:

١- أن أجره الشهرى من المخابرات الإسرائيلية كان محدداً بـ ٢٠٠ دولار..

٢- كان يتقاضى ٧٠٠ دولار قيمة تذاكر السفر ذهابًا.. وعودة.. حال كل لقاء له مع صباط الموساد خارج مصر..

٣- ١٠٠ دولار مصروف جيب عن كل رحلة..

٤- ٢٠ دولارًا بدل سفر عن كل يوم يقضيه فى الخارج..

٥- مكافآت متنوعة القيمة حسب كل معلومة مهمة يقدمها لهم.. أو كل عمل مميز يقوم به وفى كل مرة كان العطفى يتسلم مبالغ مالية كان

يوقع على إيصالات استلام بتلك المبالغ.. وثبت من أقواله التى تضمنها ملف القضية أنه اشترى بتلك الأموال عقارات.. ومنقولات.. كتبها باسمه.. هو.. وزوجته.. وولديه عمر.. وشريف..

وعن علاقاته الخاصة قال أيضا فى التحقيقات:

(أنا كنت أعرف معظم الشخصيات فى البلد.. من رئيس الجمهورية.. حتى أصغر فراش فى النادى الأهلى)..

دكتوراة مزورة..!!

ومن بين المعلومات التى تطوع من تلقاء نفسه للإدلاء بها.. هى تلك المعلومة التى كانت بمثابة المفاجأة التى أذهلت المحققين معه.. ولم يتوقعوها عندما أخبرهم بأن شهادة الدكتوراة التى يحملها مزورة.. وأنه لم يناقشها من الأساس.. ولم يقم بإجراء أبحاثها.. بل إنه لا يحمل مؤهلاً عاليًا من أصله..

وكانت المخابرات المصرية قد تأكدت من ذلك بنفسها.. حيث إنه فور دخوله دائرة الشك تم إرسال مجموعة من ضباط المخابرات للجامعة الأمريكية التى منحته الشهادة للتأكد من حقيقتها.. حيث ثبت أنه لا وجود لاسمه فى كشوف ولا سجلات الحاصلين على الدكتوراة من تلك الجامعة.. أو أى جامعة أخرى.. امريكية.. او غير امريكية.. كما ثبت أنه أثناء ترويجه لشائعة إعداده للرسالة كان يلتقى ببعض الأساتذة فى تخصصه من حين لآخر لإعداده علميا بالشكل الذى يتناسب مع باحث دكتوراة يعد لرسالته وتلقينه بعض المعلومات الطبية اللازمة والمتوازية مع أبحاثه التى كان من المفروض قيامه بها.. وذلك حتى لا ينكشف أمره داخل الوسط الأكاديمى الذى كان يتواجد به.

الاتهام الرئيسى..!

لكنها لم تكن أساس توجيه الاتهام فى القضية.. فالاتهام الأساسى كان وبحسب حيثيات الحكم ومن واقع أوراق وملف القضية (أنه ثبت للمحكمة بما لا يدع مجالا

للشك أن المتهم على خليل العطفى قد ارتكب جريمة التخابر مع دولة أجنبية - إسرائيل - للقيام بأعمال عدائية ضد جمهورية مصر العربية.. بأن أمدها بمعلومات لمعاونتها فى عملياتها الحربية للإضرار بالعمليات الحربية لمصر.. وكان من شأن هذه المعلومات الإضرار بمركز مصر الحربى.. والسياسى.. والدبلوماسى.. والاقتصادى..).

فرض الحراسة على العطفى ..!

وأثناء سير التحقيقات.. وتحديدا فى ٣ إبريل ١٩٧٩ أصدر المدعى العام الإشتراكى فى مصر قراراً خاصًا بمنع على العطفى.. وزوجته.. وأولاده القصر من التصرف فى ممتلكاتهم أوإدارتها.. وتم حصرها.. وفرض الحراسة عليها.. واستند المدعى العام فى قراره بثبوت تهمة التخابر على المذكور منذ منتصف عام ١٩٧٢.. حتى ١٨ مارس عام ١٩٧٩.. وأنه بذلك أتى أفعالا من شأنها الإضرار بأمن الدولة فى الداخل.. والخارج على السواء.. كما جاء أيضا فى القرار (أن التحقيقات أثبتت بما لا يدع مجالاً للشك أنه أفشى عن عمدًا أسراراً لدولة أجنبية - إسرائيل - خاصة بالدفاع عن البلاد المصرية بأن نقل أخبارا عن الأسلحة والذخائر.. والمهمات الخاصة بالقوات المسلحة.. كما قام بتسليم تلك الدولة رسومًا وخرائط خاصة بالمصالح الحكومية على خلاف الحظر الصادر من السلطات المصرية المختصة وكان ذلك فى زمن الحرب)..

وبناء على قرار المدعى العام الاشتراكى السابق تم تحويل العطفى لمحكمة القيم.. التى أصدرت حكمها فى أول مارس ١٩٨١ بمصادرة أموال.. وممتلكات العطفى وأسرته لصالح الشعب.. فى الدعوى التى حملت رقم ٧ لسنة ٩ (ق).. وكان ذلك الحكم هو الحكم الأول من نوعه فى تاريخ القضاء المصرى..

ويجدر الإشارة إلى أن ثروة العطفى هو وأسرته وقت القبض عليه بلغت ٢ مليون.. و٢٠٠ ألف.. و٥٩٢ جنيه.. و٤٨١ مليمًا..

المحاكمـــة..

وعندما تم تقديم العطفى لمحكمة أمن الدولة العليا للمحاكمة فى القضية التى حملت رقم ٤ لسنة ١٩٧٩.. كان قد بلغ الثانية والخمسين من عمره.. وعلى مدار حوالى

تسع عشرة جلسة تم استعراض ملف القضية.. والاستماع مرة ثانية لاعترافات المتهم.. واستجواب كل الشهود.. بعدها تحدد موعد نهائى للنطق بالحكم فى مارس ١٩٧٩ حيث صدر الحكم على العطفى بالإعدام شنقاً بتهمة الخيانة العظمى..

وبعد صدور حكم المحكمة.. فاجأ الابن الأكبر للعطفى الجميع بنشره إعلانًا كبيرًا مدفوع الأجر على نفقته الشخصية بإحدى الجرائد اليومية الكبرى.. يتبرأ فيه هو وأسرته من والده.. ويستنكر خيانته..

تخفيف الحكم

بعدها تم تخفيف الحكم للأشغال الشاقة المؤبدة.. ثم ١٥ عاماً فقط.. بقرار خاص من الرئيس السادات.. ورغم أن الرئيس السادات خفف الحكم عليه من الأشغال الشاقة المؤبدة.. إلى ١٥ سنة فقط .. فإنه فى الوقت ذاته رفض الإفراج عنه أو مبادلته فى البداية.. حتى تحول العطفى لأكبر عثرة فى طريق مباحثات كامب ديفيد.

بين الحقيقة والشائعات..!

كان العطفى بلا شك على علاقة قوية بالرئيس السادات نفسه.. وأشار العطفى لذلك.. بل وأكد عليه أكثر من مرة ضمن أقواله واعترافاته فى القضية فقال بالحرف الواحد عندما سأله المحقق عن طبيعة العلاقة بينه وبين رئيس الجمهورية.. وهل كانت تدور فقط فى الإطار الذى تحتمه طبيعة عمله:

(بأنه كان صديقاً له.. وكان مسموحاً له بدخول حجرة نومه الخاصة.. وأنه هو الذى وضع بنفسه برنامجه الخاص بالعلاج الطبيعى.. كما أنه هو وزوجته الهولندية كانا على علاقة قوية بالسيدة جيهان السادات شخصياً..).

كما أشار فى نفس الفقرة لأنه كان كذلك على علاقة قوية بكل من كمال حسن على رئيس الوزراء.. وشقيقه الأكبر اللواء طلعت.. والفريق عبد المحسن مرتجى وزير الدفاع ورئيس النادى الأهلى السابق.. وعثمان أحمد عثمان..

وعلاقة على هذا النحو بين رئيس الجمهورية ومدلكه الذى يتعامل معه على أنه طبيب خاص له.. من الطبيعى أن تترك داخل السادات إحساسا بالخداع الشخصى.. ومع ما عرف عن السادات من اعتزازه الشديد بنفسه ومواقفه واختياراته الذى يصل به لحد النرجسية.. فكان لابد أن يكون للسادات رد فعل مًا حـ يال الموقف ككل.. لكن المفاجأة أن السادات نظر للأمر ككل من زاوية أخرى لم يتوقعها أحد.. نظرة تعكس إلى حد كبـ يـر دهاء هذا الرجل السياسى المحنك.. وتحول العطفى لديه من أكبر طعنة تلقاها فى حياته.. إلى كارت يلاعب به أعدائه اليهود الذين كانوا قد بدأوا يجلسون معه وقتها على ترابيزة اجتماعات واحدة.. لبحث ترتيبات السلام فى المنطقة.. تمهيدا لتوقيع اتفاق كامب ديفـ يد.. وتزامن ذلك مع اكتشاف أمر العطفى.. وبدأ السادات يستشعر قـ يمة وأهمـ ية هذا الجاسوس الخطير بالنسبة للجانب الإسرائيلى.. فبدأ يعيد حساباته ليبحث كيفية الاستفادة منه إلى أقصى مدى ممكن.. فعندما أصدرت المحكمة حكمها عليه بالإعدام شنقا أصدر هو أمرا خاصا بتخفيف الحكم إلى ٢٥ عامًا.. ثم أعاد تخفيف الحكم إلى ١٥ عاما فقط.. وكل ذلك كبالون اختبار يطلقه ليقيس به رد فعل الجانب الإسرائيلى.. وقد حدث ما توقعه..

بيجين يشترط الإفراج عن العطفى لتوقيع اتفاقية السلام!

فعندما كان السادات يجلس بين رجاله من أعضاء الوفد المصرى.. وعلى الجانب الآخر أمامه مناحم بيجين رئيس الوزراء الإسرائيلى هو ومستشاريه أيضا لوضع البنود النهائية لاتفاق كامب ديفيد.. فوجئ السادات ببيـ جين يشترط عليه أن يتم تسليم على العطفى للسلطات الإسرائيلـ ية كأحد أهم شروط الاتفاق.. وعندها مد السادات يده وتناول غليونه وبدأ يشعله على طريقته الشهـ يرة وهو ينظر لرئيس المخابرات المصاحب له فى الوفد المصرى نظرة ذات مغزى.. وفكر لبرهة بسيطة ونظره يتنقل بين الاثنين مناحم بيجين الذى كان ينتظر رده.. ورئيس المخابرات الذى ينتظر قراره الذى تم الإتفاق عليه مسبقًا حيث كان السادات كما قلنا يتوقع هذا الطلب من الجانب الإسرائيلى.. وعندها قال السادات لبيجين وهو ينظر ثانية لرئيس المخابرات أن طلبه جاء متأخراً فقد تم بالفعل تنفيذ حكم الإعدام فى العطفى اليوم..

إعدام بالتليفون..!

ولحظتها استأذن رئيس المخابرات ليخرج من الاجتماع لأمر مًا.. وفور خروجه قام بالاتصال بنائبه فى مصر وأمره بتنفيذ ما تم إبلاغه إياه من تعليمات بخصوص "على العطفى" على الفور.. وكان الاتفاق أن يشاع داخل السجن الموجود به العطفى أنه تم إعدامه.. بعد أن يتم اصطحابه أمام كافة الموجدين بالسجن وكأنه ذاهب بالفعل لتنفيذ حكم الإعدام.. وهو ما تم بالفعل فى دقائق معدودة عاد على أثرها رئيس المخابرات ليرد على نظرة السادات السابقة له بنظرة أخرى كان مضمونها طمأنة الرئيس على سير الأمور بالصورة المحددة سلفًا.. وتحدث السادات ضاغطًا بكل قوته وحنكته ودهائه السياسى مستخدمًا هذا الكارت ضد الجانب الإسرائيلى.. وقال السادات لبيجين:

كيف تزعمون أنكم تريدون السلام فى الوقت الذى تجندون فيه طبيبى الخاص لاغتيالى أنا شخصياً.. ودلوقت بتشترطوا على علشان توقعوا على المعاهدة إن أنا أسلمهولكم..

فرد عليه بيجين قائلا:

- سيادة الرئيس.. كان هذا رجاءً.. وليس شرطًا.. وعلى كل حال قد فات الأوان.. ونحن الآن جاهزون للتوقيع..

كان هذا هو ما حدث باختصار فى هذه الجلسة المصيرية.. وتم للسادات ما أراد وتم توقيع المعاهدة بعد هذه الجلسة بوقت قصير..

بيجين يكتشف الحقيقة..!

بعدها اكتشف بيجين والإسرائيليون الحقيقة بعد أن تعمد السادات تسريبها إليهم.. وفى مباحثات شرم الشيخ (١٩٨١) التى أعقبت توقيع المعاهدة.. كرر بيجين طلبه للسادات.. وهذه المرة بإلحاح شديد.. فردّ عليه السادات بقوله مبديًا اندهاشه الشديد من طلبه.. إذ كيف يسمح لنفسه أن يفاوضه على استعادة جاسوس مصرى الجنسية كان من بين أهدافهم الرئيسية عند تجنيدهم له اغتياله هو شخصيًا..

والتحليل المنطقى لموقف السادات الذى كان من الواضح أنه تجاوز بمشاعره الإنسانية مرحلة الثأر لنفسه من رجل خدعه وكان يريد تسميمه.. وانه كان يجهز العطفى الذى لم يعد يعنيه على المستوى الشخصى من قريب أو بعيد ليكون المقابل فى صفقة تبادل كبيرة كان يعد العدة لها.. لكن لم يمهل القدر السادات وتم اغتياله بعدها بفترة وجيزة..

عمومًا.. يبدو أن بيجين قد تلقى وعدًا ما من السادات بتنفيذ طلبه بتسلم العطفى.. ولكى يمنع السادات من مراوغته والرجوع عن وعده.. سرب الخبر لإذاعة راديو لندن.. التى أذاعته بدورها باعتبار أن صفقة التبادل قد تمت بالفعل.. فاشتاط السادات غضبًا.. واتصل على الفور بالكاتب الصحفى أنيس منصور الذى كان وقتها هو أقرب الصحفيين للسادات وكان يشغل آنذاك منصب رئيس تحرير مجلة أكتوبر.. وأمره بتكذيب الخبر.. وفى العدد الذى صدر بعد يومين فقط من انطلاق الشائعة صدرت مجلة أكتوبر وبها تكذيب رسمى لما أذاعه راديو لندن.. وأكدت أن العطفى مازال فى السجن حيث يقضى مدة عقوبته التى من المفروض أن تنتهى عام ١٩٩٤.. ومع الخبر نشر للمرة الأولى والأخيرة الصورة الوحيدة المعروفة للعطفى..

إشاعة مطار فرانكو فورت:

ومن الشائعات الأخرى التى تم ترديدها دون سند من الحقيقة.. ما قيل من أن السادات أفرج عن على العطفى.. بعد سنتين طبقًا لاتفاقية كامب ديفيد.. وفور وصوله إلى مطار فرانكفورت فى ألمانيا صرح على العطفى بتصريح خطير قال فيه " أنا الذى قتلت عبد الناصر بالسم " وهذا لم يحدث.. لسبب بسيط هو أن العطفى مات فى السجن ولم يخرج منه إطلاقًا منذ لحظة إلقاء القبض عليه..

العطفى وشائعات أخرى..!

أرادت المخابرات الإسرائيلية أن تحول العطفى الذى وكما قلنا وصف بأنه أكثر نجاحاتهم مع المخابرات المصرية إلى أسطورة.. فأشاعت عنه العديد من الشائعات التى كانت بلا سند.. ويسهل تفنيدها والرد عليها عند قراءة أوراق هذه القضية من

مصادرها الصحيحة.. ويمكننا القول إن التعتيم الإعلامى من الجانب المصرى والذى صاحب تفجر هذه القضية.. وأشرنا لأسبابه من قبل كان وراء تغلغل هذه الشائعات.. والترويج لها بشكل يكاد ألا يكون مسبوقا فى أية عملية مماثلة..

وتحدثنا عن شائعة إغتياله لعبد الناصر.. ثم الإفراج عنه ضمن صفقة تبادل أسرى وهمية بين مصر وإسرائيل لم تتم من أصله.. وشائعة إعدامه بالطريقة التى حكينا عنها.. وكانت هذه المرة بتخطيط خاص من السادات بالنحو والكيفية المشار إليها ضمن الصفحات السابقة.. لكن كل تلك الشائعات كان لها جانب ما من الحقيقة تستند إليه.. أما ما سنتحدث عنه الآن من شائعات أخرى فهى كانت بلا أى سند من الحقيقة..

ليست عميلة للموساد..!

فقد قيل على سبيل المثال أنه تم تجنيده عن طريق زوجته التى وصفوها بأنها كانت يهودية عميلة لهم.. وأشاعوا أنها إيطالية اسمها (لوليتا).. وليست هولندية.. وأنهم - أى الموساد - أرسلوا للعطفى الكريم المسمم الذى اغتال به عبد الناصر عن طريقها.. ولكن كل هذا كان من قبيل التشهير بالزوجة البريئة التى لم تكن تعرف عن طبيعة ما يفعله زوجها أى شىء.. وبعد القبض عليه طلبت الطلاق بشكل رسمى.. وحكم لها به.. ثم رفضت مغادرة مصر.. وسلمت طاعة كل ما كتبه العطفى باسمها للسلطات المصرية.. وعملت كمدرسة لغات بإحدى المدارس الأجنبية حتى تتمكن من مواصلة حياتها والإنفاق على نفسها هى وأولادها.. ورفضت عرضا قدم لها بطريق غير مباشر من المخابرات الإسرائيلية للسفر والإقامة هى وولديها فى تل أبيب.. ولعل هذا الرفض كان هو السبب وراء ترويج هذه الشائعات حولها من خلال المخابرات الإسرائيلية.. ويكفى أنها يوم قبض على زوجها أصيبت بانهيار عصبى حاد.. وتم نقلها للمستشفى حيث مكثت فترة من الزمن تعالج من أثر هذا الانهيار..

أخطر الشائعات..!

أما الشائعة الأخرى التى تولى الكتاب المشبوه الترويج لها فتقول إن العطفى كان طالبا متفوقا فى دراسته بمراحل التعليم الاعتيادية حتى حصل على بكالوريوس

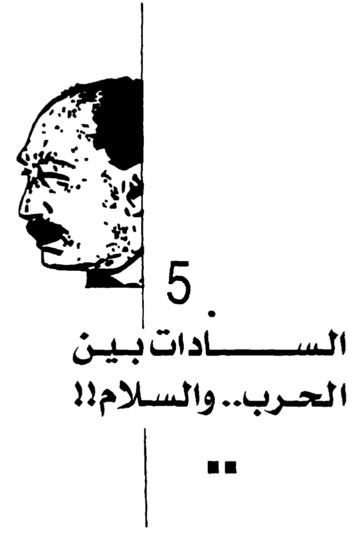
الطب.. ثم تم إرساله فى إحدى البعثات التعليمية إلى موسكو.. وهناك انساق العطفى وراء نزواته وملذات الحياة التى عاش حياته كلها محروماً منها.. ثم فجأة رآها تحيط به من كل جانب وسط كل انفتاحات الحياة الأوروبية المعاصرة والمتحررة بلا قيود التى كانت تحيط به من كل مكان.. فأخذ ينهل منها بلا شبع.. ولا تمهل.. فأهمل تماماً محاضراته ودروسه ونسى الهدف الأساسى من سفره وهو الحصول على الدكتوراة..

وبينما هو يعد نفسه ليوم الرجوع دون الحصول على الدكتوراة التى فشل فى استكمال أبحاثها.. ويستعد للوظيفة الحتمية التى تنتظره فى مصر.. وهى ممارس عام بإحدى الوحدات الصحية فى قرية أو نجع من قرى ونجوع مصر المنتشرة بامتداد خريطة الدلتا.. وذات ليلة.. وحيثما تعود السهر كل يوم فى أحد بارات موسكو التى لا يرتادها إلا حثالة المجتمع الروسى.. فجأة.. وجد أمامه أحد الأشخاص.. الذى لم يكن سوى ضابط من الموساد كان يتابعه منذ فترة.. واستطاع تجنيده.. وعقد معه صفقة حصل بموجبها العطفى على شهادة دكتوراة مزورة مقابل تعاونه معهم..

وفـــاة العطفـى..!

بدءًا من عام ١٩٨٢.. تقدم العطفى بأكثر من طلب لرئيس الجمهورية لإصدار عفو صحى عنه بعد أن ساءت حالته الصحية وتدهورت أثناء سجنه بشكل كبير.. وأصبح مهدداً بالعمى.. لكن الرئيس المصرى حسنى مبارك رفض الموافقة على كل طلبات العفو الصحى التى كان قد تقدم بها.. وكان آخرها عام ١٩٨٧.. واستسلم بعدها العطفى لقدره الحتمى.. والنهائى ومات ذليلاً فى محبسه أول أبريل عام ١٩٩٠.. ورفضت أسرته استلام جثمانه.. فتم دفنه فى مقابر الصدقة بإحدى جبانات القاهرة.. لتنتهى للأبد أسطورة الرجل الذى وصف بأنه أكثر نجاحات الموساد ليس فى صراعه الأبدى مع المخابرات المصرية فقط.. وإنما فى كافة صراعاته مع كل أجهزة المخابرات الأخرى..

■ ■ ■



5
السادات بين الحرب.. والسلام!!



■■

بطــل الحــرب..

معظم الذين يختلفون مع السادات سـ ياسـ يا بسبب معاهدة كامب ديفـ يد على الأخص يتمادون فى خصومتهم معه إلى حد بخسه حقه فى التقدير والاشاده لاتخاذه قرار العبور.. وإدارته العبقرية هو وفريقه العسكرى لهذه الحرب.. منذ سنوات الإعداد لها.. وحتى اكتمالها فى نصر عسكرى مذهل أصبحت تدرسه الأكاديميات العسكرية فى العالم كله.

وعندما تسلم السادات السلطة بعد رحيل عبد الناصر فى سبتمبر ١٩٧٠ أدرك أنه قد ورث تركة بالغة الثقل.. ولم يكن قد مر على اكبر هزيمة مصر ية وعربية وهى نكسة الخامس من يونيو ١٩٦٧ سوى حوالى ثلاث سنوات.. وقد كان يمكن لغـ يره ان تكون كارثة الهزيمة بأبعادها المروعة قد زعزعت ثقته فى جيشه وفى قدرات شعبه.. ولكن هذا لم يحدث.. واستمر السادات فى خطته لإعادة تسليح الجيش بأحدث الأسلحة مع بناء مقاتل جديد تماما تحت قيادة تعتمد أساليب الحرب الحديثة وليس أسلوب الفهلوة.. والعشوائية.

واتخذ السادات قرار الحرب وليست لديه تأكيدات بأن هذه الحرب لن تنتهى كما انتهت سابقتها.. فقد كان الأمر إذن يتطلب شجاعة تكاد تكون فوق قدرة البشر.. مع التزام صارم بكافة أركان إدارة الصراع عسكرياً وسياسياً ونفسياً.. وعدم ترك الأمور إلى أحوالها السابقة البائسة.. وكان يفعل هذا وهو يتعرض لضغوط شعبية هائلة من

كافة قطاعات الشعب المصرى الذى كان قد تعب من سنوات تعذيبه لنفسه وتبكيته لها بل وسخريته الجارحة منها ـ من نفسه ـ بسب فداحة هزيمته السابقة.. كما كانت هذه القطاعات قد فاض بها الكيل من طول حالة اللا سلم واللاحرب.. ومن تكرار وعود السادات بأن كل عام هو "عام الحسم" كما كان يعد فى خطبه دون أن يحدث شىء..

وكان على السادات وقادة جيش مصر العمل فى صمت مؤلم تحت هذه الضغوط النفسية الهائلة.. فالطلبة فى الشوارع والجامعات يتظاهرون بشكل يكاد لا ينقطع.. والكتاب والمثقفون يوقعون على العرائض مطالبين بتحرير ارض مصر.. وفى هذا الجو النفسى بالغ القسوة والتوتر استطاع السادات ان يدير حركة الإعداد المحكم لساعة الصفر.. مع كل ما تتطلبه من عنصر المفاجأة.. وفى النهاية يمنح شارة بدء العمليات فتقوم القوات المصرية المسلحة بأعظم عملية عبور لحاجز مائى وترابى ـ هو خط بارليف ـ فى التاريخ وتحقق نصراً جاء فائقاً لجميع التوقعات بل والأحلام.

الذين يكرهون السادات سياسيًا لا يريدون منحه شرف اتخاذ قرار الحرب ولا إكليل الغار الذى يستحقه بجداره.. بل يتهمه بعضهم بأنه أضاع النصر وفرط فيه وأهدره.. ويلومه البعض لأنه لم يأمر الجيش بأن يستمر فى تقدمه فيما بعد الممرات التى تحصن فيها الجيش المصرى متجاهلين انه لو فعل لحرم الجيش من حماية صواريخ سام ٦ و٧ التى كانت تصطاد الطائرات الإسرائيلية وتمنعها من الاشتراك فى المعركة.. ولو استمع السادات إليهم لتحول النصر الباهر إلى هزيمة مروعة لو حدثت لما كان للنفسية المصرية أن تقوم بعدها لعدة أجيال قادمة.

السادات يستعد للحرب

والحقيقة أن السادات منذ اللحظة الأولى لتوليه مسئولية الحكم قرر مواجهة الموقف العسكرى المصرى بشجاعة.. والاعتماد المباشر على القيادات المصرية ذات الكفاءة العالية فى تدريب فرق الجيش على المعدات العسكرية الموجودة لدى مصر.. كما قام بطرد الخبراء العسكريين السوفيت وذلك للتمويه.. مما جعل السوفيت

والأمريكيين والإسرائيليين والشعوب العربية أيضا يفكرون بأن مصر لن تحارب الآن أبدًا.

ثم قام باستدعاء وزير الحربية اللواء محمد صادق وأخبره بأن القوات المسلحة يجب أن تكون جاهزة للاشتباك مع العدو فى ١٥ نوفمبر ١٩٧٢.. فرأى السادات عدم حماس اللواء صادق لذلك القرار.. فقام بتنحيته عن قيادة الجيش وتعيين اللواء أحمد إسماعيل.. وكان هناك بالجيش المصرى العديد من اللواءات الذين يساندون اللواء صادق الرأى.. حيث أعلن اللواء عبد المنعم واصل ذلك قائلاً إن الإسرائيليين قد بنو سلسلة ضخمة من التحصينات الترابية على ارتفاع ٤٧ قدمًا بينما مثيلتها المصرية على ارتفاع ١٠ أقدام فقط وبالتالى فالجبهة المصرية تعتبر مكشوفة أمام العدو علاوة على أن الإسرائيليين يملكون شبكة هائلة من المعدات الإلكترونية خلف خطوطهم.

ورغم خطورة الموقف الاقتصادى المصرى ارتفعت الحصون المصرية إلى ٦٥ قدما.. وأصبح بإمكان الجيش المصرى رؤية الدفاعات الإسرائيلية.. أما فيما يتعلق بالتخطيط للحرب تعتبر الخطة التى تبناها السادات هى الخطة الأكثر فاعلية.. حيث اعتمدت على الخداع من خلال تكرار حشد القوات بالقرب من قناة السويس فكانت المرة الأولى فى مايو ١٩٧٣.. والمرة الثانية فى أغسطس ١٩٧٣.. وفى تلك المرتين كانت الحكومة الإسرائيلية تقوم بتعبئة كل قواتها لمواجهة أى هجوم من جانب الجيش المصرى.. ولكن فى المرة الثالثة فى أكتوبر ١٩٧٣ لم تهتم الحكومة الإسرائيلية بتلك الحشود ظنًا منها بأنها مثل المرات السابقة. ولم يكتف السادات بتلك الاستعدادات فعمل على كسب تأيد معظم دول العالم للقضية العربية ضد إسرائيل حيث حصل على:

١ - تأييد مجلس الأمن بأغلبية الأصوات ١٤ صوتًا من ١٥ أى باستثناء صوت واحد هو صوت أمريكا.

٢- تأيد عربى بالإجماع وذلك رغم اختلاف السياسات فى تلك الدول.

٣- تأيد الدول الإفريقية وذلك فى مؤتمر الوحدة الإفريقية فى مايو ١٩٧٣.

٤ - تأييد العالم الثالث ودول عدم الانحياز وذلك فى مؤتمر الجزائر فى سبتمبر. ١٩٧٣



لقد استطاع السادات أن يتخذ قرار الحرب فى الوقت المناسب تماماً.. وأن يوقفها أيضاً فى الوقت المناسب بالضبط.. بعد ان قامت إدارة الرئيس نيكسون بإعادة إمداد الجيش الاسرائيلى بالدبابات والمدرعات عن طريق جسر جوى مستمر كانت تتدفق عبره المعدات الحربية إلى سيناء نفسها - وليس إلى إسرائيل - للاشتراك الفورى فى المعارك..وهكذا يتضح لكل منصف ان اتهام السادات بالتخاذل لعدم الاستمرار فى التوغل فى سيناء هو اتهام باطل بل وجاهل.. لقد اثبت السادات أن له من مرونة الفكر ما مكنه من سرعة التعلم من أخطاء الماضى القريب.. فقام بتجهيز جيش على احدث الأسس العسكرية وأدار حربًا يعرف أنها ليست هدفًا فى حد ذاتها.. وإنما هى مجرد وسيلة لتحقيق الهدف الأبعد وهو تحرير سيناء.. وكان لانضباطه العقلى وعدم اندفاعه بلا حساب الفضل فى التوقف فى اللحظة المناسبة للحفاظ على النصر رافعا قامة مصر جيشا وشعبا وقيادة.

حكاية رسالة السادات إلى كيسنجر

هذه الرسالة أثارت الكثير من الجدل.. وأصبحت بمثابة اتهام آخر للسادات بالخيانة.. وكان السادات قد أرسلها إلى وزير الخارجية الأمريكى "هنرى كيسنجر" ضمن مجموعة أخرى من الرسائل عبر ما كان يعرف بقناة "الاتصال السرية" مع الجانب الأمريكى التى انشأت بمعرفة حافظ اسماعيل مستشار الرئيس للأمن القومى.. ووساطة كمال أدهم رئيس المخابرات السعودية آنذاك.. مع مندوب المخابرات المركزية ببعثة رعاية المصالح الأمريكية بالقاهرة.. وكان الغرض من إنشاء هذه القناة هو أن تكون هذه الرسائل بعيداً عن أعين القنوات الرسمية حتى لا تسبب حرجاً لأى من الأطراف.. وبعيداً عن الإعلام.. وكان من بين ما تضمنته الرسالة عبارة أثارت كثيراً من الجدل.. تقول ترجمتها:

- "ان مصر لا تنوى توسيع عمق الاشتباكات ".. وفى ترجمة أخرى " أن مصر لا تنوى توسيع عمق الصراع".

وفهم من هذه العبارة أن مصر لا تنوى ان تبدأ بضرب العمق الاسرائيلى.. وبناء على ما جاء فى الرسالة صرح "هنرى كيسنجر" بعدها مباشرةً بقوله "أن مصر أبلغته بأنها لن تضرب المصالح الأمريكية".. أى أن الطرف يين المعنيين قد فهماها بمعنيين مختلفين.. ولكن لم يقل أحد من الأطراف أنها كانت تعنى إبلاغاً بتحركات أو نوايا عسكرية.. ومن المعروف بشهادة كل قادة حرب التحرير من الجانب المصرى أن السادات لم يتدخل مباشره فى خطط.. أو سير القتال إلا يوم ١٢ أكتوبر عندما أعطى للفريق أحمد اسماعيل أمراً بضرورة تطوير الهجوم شرقاً.. وأمره بأن ينفذ ذلك اليوم التالى مباشرةً.. أى يوم ١٣ أكتوبر.. وقد تأجل هذا الأمر فى حينه بطلب من قادة الجيوش ليوم ١٤ حسب الخطة الأصلية.. وذلك لتخفيف الجهد العسكرى على سوريا.

اسرائيل تفهم الرسالة

هذه قصة الرسالة ومن الواضح ان إسرائيل قد فهمتها جيداً.. فهى لم تضرب العمق المصرى ولا مرة.. ليس بسبب اطمئنانهم لفحوى الرسالة.. وإنما لتأكدهم من أن

السادات كان يعنى ضمنياً برسالته تلك أنه قادر على ذلك إن أراد.. بفضل سلاح الردع المصرى القادر على الرد.. ولكنه حريص على أن تظل الأمور تحت سيطرة جميع الأطراف.. وكان بلا شك يقصد بذلك تحديداً الجانب الأمريكى.

المباحثات الثنائية

ثم بدأت مرحلة المحادثات الثنائية فى ١١ ديسمبر ١٩٧٣ مع الولايات المتحدة ممثلة فى كيسنجر.. وكان الخيار الأساسى الذى قدمه السادات هو أن تحل الثغرة سلمياً أو أن يقوم الجيش المصرى بحلها بالقوة فورا.. وكان كيسنجر متأكدًا تماما من القدرة العسكرية المصرية على ذلك بالفعل حيث أخرج من حقيبته صورة بالقمر الصناعى رسمها البنتاجون.. وفيها ٤٠٠ دبابة إسرائيلية ومن حولها ٨٠٠ دبابة مصرية وصاروخ ونصف لكل دبابة بخلاف حائط الصواريخ القائم.. وبناء على هذه الصورة تم الاتفاق على عدة نقاط أساسية منها استبدال نقاط المراقبة الإسرائيلية على طريق القاهرة السويس التى كانت تحاصر الجيش الثالث بالثغرة بنقاط مراقبة تابعة للأمم المتحدة.. وبذلك اطمأن السادات على أن الجيش الثالث أصبح فى مأمن.. كما تم الاتفاق على فصل القوات بين مصر وإسرائيل.. وتمت الدعوة إلى مؤتمر جنيف بواسطة الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وكانت النغمة السائدة هى التنبؤ لهذا المؤتمر بالفشل حيث استهل المؤتمر بأجندة مستحيلة لتسوية الصراع العربى الإسرائيلى كما رفض الرئيس السورى الحضور لاعتقاده الراسخ بأن التقرب من البعثة الإسرائيلية لا فائدة له.



نيكسون فى القاهرة

وفى يونيه ١٩٧٤ جاء الرئيس الأمريكى نيكسون إلى القاهرة وكانت هذه الزيارة فى نهاية فترة توليه كرئيس للولايات المتحدة الأمريكية وكانت بهدف عقد اتفاقية ثانية لفصل القوات مع إسرائيل وهدف

السادات فيها إلى هدفين هما: استرداد معظم سيناء من الإسرائيليين ودفعهم إلى ما وراء ممرات سيناء الاستراتيجية وذلك لاسترداد حقول البترول الموجودة فى سيناء ولكنه فشل فى تحقيق هذا الهدف.. حيث إن الإسرائيليين كانوا على استعداد للتنحى عن الممرات وحقول البترول لكن بشرط تعهد مصر بعدم القيام بحروب أخرى ضد إسرائيل وهذا ما رفضه السادات لأن ذلك سيفقده حق المطالبة ببقية سيناء.. أما الهدف الثانى هو إحداث مشاكل بين الولايات المتحدة وإسرائيل من جراء عناد الإسرائيليين بعدم رغبتهم فى التخلى عن أى ميزة.. وقد ازدادت فرصة السادات فى تحقيق هذا الهدف حينما استقالت جولدا مائير وحل محلها رابين كرئيس للوزراء الإسرائيلى.

وكان لهذا اللقاء أثره حينما أعلن الرئيس الأمريكى الجديد "فورد" عن تعديله لأولويات سياسة الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط ووجهت العديد من الإنذارات إلى إسرائيل.. حيث أدى ذلك إلى انسحاب إسرائيل بقيادة إسحاق رابين من ممرات سيناء الحيوية التى تحتوى على مصادر بترول سيناء دون الحصول على ثمن غال يرتكز على أمن إسرائيل. وبعد ذلك تمت الموافقة على فكرة إقامة نظم إنذار مبكر فى منطقة الممرات على أن تديرها الولايات المتحدة نيابة عن مصر وإسرائيل وذلك بصفة مؤقتة كما أعدت مذكرة تفاهم مع الولايات المتحدة ربطت بين سياسات الدولتين وذلك لضمان الأمن للطرفين. وهذه الاتفاقية أتاحت للسادات التفكير فى إعادة افتتاح قناة السويس وذلك بهدفين أولهما: إزالة آثار العار الذى لحق بنا بعد هزيمة ٥ يونيو١٩٦٧ حيث كان تاريخ إعادة الملاحة إلى قناة السويس فى ٥ يونيو ١٩٧٥.. أما الثانى هو إعادة بناء مدن القناة بعد تدميرها فى الحرب من الإيراد الخاص بآبار البترول والعائد من إعادة افتتاح قناة السويس. كما قام السادات باستغلال ذلك الحدث لصالح مصر والأمة العربية حيث أعلن أنه سوف يسمح لإسرائيل باستخدام قناة السويس فى حالة قيام إسرائيل بتقديم التنازلات المطلوبة للتسوية الدائمة فى مؤتمر جنيف.

مندبـــة سنويـــة

ولا يفوتنا هنا الإشارة إلى تلك " المندبة السنوية " التى ينصبها أعداء السادات كلما اقترب نصر السادس من أكتوبر.. وهو أعظم وأشمل وأكمل انتصار عربى استعادت فيه مصر والعرب كرامة ضاعت فى ٥ يونيو ١٩٦٧.

فمازال البعض هؤلاء يرون فى هزيمة يونيو ١٩٦٧ الساحقة انتصاراً.. ويرون فى انتصار أكتوبر العظيم هزيمة!!

ويعقد جنرالات الفضائيات مقارنات فاشلة مؤداها كيف انتصرنا فى حرب ٦٧ بقيادة جمال عبد الناصر.. وكيف انهزمنا فى حرب أكتوبر ١٩٧٣.

وإذا سأل أحدهم: كيف انتصرنا فى حرب ٦٧ وفيها استولت إسرائيل على سيناء وغزة والضفة الغربية وهضبة الجولان؟ يقول: ليس المهم أن تفقد أرضك بل المهم ألا تفقد إرادتك؟! الأرض مش مهم.. المهم أن النظام لم يستسلم.

إرهاصات السلام

ما إن صدر قرار وقف إطلاق النار فى حرب أكتوبر - والذى خرقته إسرائيل باستمرارها فى توسيع الثغرة لمدة يومين بعد ذلك بمؤامرة مع هنرى كيسنجر - حتى بدأ السادات فى مشوار المفاوضات المضنية مع أكثر الشخصيات السياسية دهاء وهو كيسنجر.. وقد بدا واضحا بمرور الوقت ان إسرائيل لن تنسحب من سيناء إلا باتفاقية سلام.. وكان من حسن الحظ ان تغيرت الإدارة الأمريكية بعد خروج نيكسون من البيت الأبيض.. وانتهاء فترة رئاسة نائبه فورد.. ثم مجىء " كارتر " رئيساً لأمريكا.. وهو رئيس امريكى مختلف عمن سبقه.. وعمن تلاه من رؤساء آخرين.. فقد كان يتحلى بقدر عال من الأخلاق والمصداقية واستطاع بذلك أن يمارس ضغوطاً ضخمة على إسرائيل لقبول الانسحاب من سيناء.. ويمكننا القول إنه لو كان بالبيت الأبيض فى ذلك الوقت رئيس آخر خلاف كارتر لما تمت معاهدة السلام ولكانت إسرائيل لا تزال فى سيناء كما هى الآن فى الجولان.

وقد هاجمت معظم الدول العربية الرئيس المصرى لقراره زيارة إسرائيل وقاطعوا مصر لتوق يعها معاهدة السلام واتهموا مصر والسادات بتهمة: الخيانة" الجاهزة دائماً. ولكن هذا الاتهام لا يصمد أمام التحليل الدقيق للواقع العربى وقتها.. فقد رأى معظمهم فى موقف السادات تفريطاً فى الحقوق العربية.. بل وخيانة للعروبة بشكل عام.. وللقضية الفلسطينية بشكل خاص.. بالرغم من إصرار السادات على إشراك الفلسطينيين معه فى المفاوضات ولكن الفلسطينيين هم الذين رفضوا الحضور.. وكان العلم الفلسطينى مرفوعاً إلى جوار العلم المصرى على فندق " مينا هاوس " بسفح الهرم والذى كانت تعقد فيه المفاوضات مع الإسرائيليين.. ولكن ظل مقعد فلسطين شاغراً لعدم حضورهم.. ولو كان الفلسطينيون والسوريون ومعهم بقية الدول العربية قد وقفوا صفا واحدا بجوار مصر بدلا من مقاطعتهم لها لكان لابد للموقف التفاوضى العربى ان يظهر على أعلى مستويات التكافؤ والقوة.. خاصة ان سلاح النفط الذى كان له دوره المهم فى حرب أكتوبر كان مازال فاعلا.. ولكان من الممكن للعرب مجتمعين ان يحققوا انجازات بشروط أفضل مما هو عليه الحال اليوم.

لم تفهم الدول العربية وقتها انها كانت فى أقوى أحوالها بعد انتهاء حرب العبور مباشرة .. وأن ذلك كان الوقت المناسب بالضبط للتفاوض مع إسرائيل من موقع القوة.. أهدروا فرصة لن تتكرر .. بينما لم يكتف السادات بالقفز عليها واقتناصها بيديه.. إنما صنعها.. ومهد لها بذكائه.. ودهائه..

السادات.. وكامب ديفيد

بدأ التفكير فى عملية السلام حينما قام الرئيس الأمريكى جيمى كارتر.. وقام بدعوة السادات إلى واشنطن فى فبراير ١٩٧٧.. وكان موضوع المحادثات بينهما ليس النزاع المصرى الإسرائيلى فقط ولكن مشكلة الأراضى العربية المحتلة فى حرب ١٩٦٧.. والعلاقات بين العرب وإسرائيل.. القضية الفلسطينية.. والموقف من الحرب الأهلية فى لبنان.. ولم تسفر هذه المحادثات عن شىء إلا أن السادات أخذ من الرئيس

الأمريكى تعهدا منه بألا نفقد الأمل على الإطلاق فى حل تلك المشكلات.. وانهم سوف يكونون على اتصال دائم ليبلغ كل منهما الآخر بما يستجد من وجهات نظر. وشعر السادات بصدق مساعى الرئيس الأمريكى كارتر للسلام واعترافه بحق الشعب الفلسطينى فى أن يكون لديه وطن قومى.. بعد ذلك دعى الرئيس الأمريكى كارتر العرب وإسرائيل إلى مؤتمر جنيف فرد العرب على الرئيس الأمريكى بأن العرب سيحضرون المؤتمر فى وفد واحد ممثل فى الجانب السورى وتمت الموافقة على ذلك ولكن العرب أو السوريين كعادتهم رفضوا حضور المؤتمر.. وفى ظل هذا الجو من التشتت العربى بدأ السادات يرسم سياسة السلام مع إسرائيل.

علم السادات بأن رئيس الوزراء الإسرائيلى مناحم بيجين يخطط لزيارة رومانيا.. وكان رئيسها فى ذلك الوقت هو " نيكولاى شاوشيسكو " أحد الأصدقاء المقربين للسادات ومن قبله عبد الناصر أيضا.. والذى كثيرًا ما عرض عليهما أن يقوم بدور الوساطة بين مصر وإسرائيل.. وعندما استرجع السادات هذه الفكرة.. تذكر قول مناحم بيجن للعرب حيث قال: " أيها العرب إن لديكم مشكلة معنا.. أراضيكم فى حيازتنا وأنتم لديكم حقوق تتحدثون دائما عنها وتطالبون بها.. كيف يمكنكم إذن استعادتها بدون المجىء والجلوس معنا حول مائدة التفاوض ".. كما استرجع السادات معاناة مصر عبر التاريخ من شهداء ودمار وتأخر فى عملية التنمية وذلك حتى نصر أكتوبر ١٩٧٣.. كل هذا جعله مندفعا بجدية نحو السعى لتحقيق السلام.. ومنذ ذلك الحين أصبح السادات متفائلا من سياسة كارتر بالشرق الأوسط التى سوف تساعده فى الوصول لاتفاقية سلام حقيقية مع إسرائيل. حيث طالب كارتر الإسرائيليين بعقد مفاوضات عاجلة مع العرب شاملة منظمة التحرير الفلسطينية.. على أن يكون معروفا أنه سيتم التنازل عن الأراضى العربية المحتلة.. كما أعلن ضرورة أن يكون هناك وطن للاجئين الفلسطينيين.. إلا أن العرب لم يقبلوا المشاركة فى تلك المفاوضات ـ جنيف ـ باعتبار أن هذه المفاوضات تؤيد اعترافهم بدولة إسرائيل وتجعل الفلسطينيين يعيشون معهم.. وفشلت كل المساعى المبذولة لاقناع العرب بالتفاوض مع الإسرائيليين.

صدمة على الهواء

وفى يوم ٩ من نوفمبر ١٩٧٧ كان السادات يلقى خطبة أمام مجلس الشعب كان يحضرها وفد رفيع المستوى من العرب.. وفيه أعلن بأنه على استعداد لأن يذهب إلى نهاية الأرض أو حتى إلى الكنيست الإسرائيلى فى القدس المحتلة من أجل السلام.. وعندما أعلن ذلك علق بأن إسرائيل سوف تندهش لسماع كلماته.

وقتها لم تندهش إسرائيل فقط من عرض السادات.. إنما اندهش العالم أجمع للدرجة التى تصل إلى حد الصدمة.

وسارعت إسرائيل بدعوة السادات إلى زيارة القدس ظنا منها أن كلام السادات لم يكن إلا للاستهلاك المحلى أو حماسه زائدة وأنها بذلك تحرج السادات رئيس أكبر دولة عربيه أمام الرأى العام العربى والعالمى.

وعلق " إيجنال آلون " وزير خارجية إسرائيل آنذاك على ذلك الموقف متسائلا: ماذا حدث للسادات بين مايو ١٩٧٢ ونوفمبر ١٩٧٧.. ففى مايو ١٩٧٢ أعلن السادات لشعبه أنه سوف يحطم غطرسة الإسرائيليين التى لا تطاق.. وانه على استعداد للتضحية بمليون جندى مصرى فى الحرب القادمة.. والآن فى نوفمبر ١٩٧٧ هو على استعداد للذهاب للقدس لكى يمنع جرح أحد الجنود أو الضباط من أبنائه لا من أن يقتل. لكن هذا الخطاب أيضا كان سببا فى فتح أبواب الافتراءات والكراهية من الجانب العربى أجمع.

رد فعل الإعلام العالمى

فى حديث خاص أجراه السادات عقب خطابه مع إحدى القنوات الإخبارية العالمية.. دار هذا الحوار بينه وبين مقدم البرنامج.. وهو مذيع عالمى مشهور يدعى " كرونكيت ":

كرونكيت: متى ستذهب إلى القدس؟

السادات: أنا فقط أنتظر دعوة مسبقة؟

كرونكيت: يجب أن تحصل على شىء ما من خلال السيد بيجن وليس من خلال الصحافة؟

السادات: تمام.. تمام.

كرونكيت: كيف سيتم هذا وأنت ليست لديك علاقات دبلوماسية مع إسرائيل؟

السادات: من خلال صديقنا المشترك.. أمريكا.

كرونكيت: ماذا تريد سيادتكم من هذه الزيارة؟

السادات: أريد مناقشة الموقف مع أعضاء الكنيست المائة والعشرين.. وأن نضع تفاصيل الموقف من وجهات نظر الطرفين.

كرونكيت: وماذا عن معارضة الزعماء العرب؟

السادات: اننى لم أقل لأيٍ من رفاقى.. ولم أسألهم ان يوافقوا أو لا يوافقوا على ذلك.. إننى أشعر بأن مسئوليتى كرئيس لمصر تحتم على أن أحاول بكل السبل الوصول إلى السلام.. وقد اتخذت القرار.. ومن المؤكد سيكون هناك من هو ضده.. ولكن كما أننى مقتنع تماما بأن هذا هو الطريق الصحيح وشعبى من ورائى فسوف أكمل كل شئ... نحن فى لحظة حرجة.. ولن يكون هناك وقت مناسب فى العالم العربى للتوصل إلى سلام حقيقى.. لكن هذا الوقت يوجد الآن.. لذلك أريد أن أضع الحقائق أمامهم.. وفى نفس الوقت نحن نريد أن نناقش ماذا سيكون البديل إذا لم نتوصل إلى السلام.. سيكون مروعا.. صدقنى سيكون مروعاً.

بعد ذلك مباشرة تلقى الرئيس السادات رسالة من مناحم بيجن من خلال السفارة الأمريكية بالقاهرة تدعوه رسميا ووديا لزيارة القدس.. وقبل السادات على الفور الدعوة.. وانتاب الجميع الدهشة والذهول.. فالجمهور الإسرائيلى كان مندهشا تنتابه الحيرة ويحدوه الأمل.. أما الشعب المصرى فكانوا جميعا ملتفين حول شاشات التلفزيون مذهولين من شجاعة رئيسهم فى دخول مغارة عدوهم.. كما لو كانوا يشاهدون ملحمة بطولية مقدسة يظهر فيها رئيسهم نجما رئيسيا.



الدافع المجهول

فهل كان الدافع وراء إقدام السادات على تلك الخطوة الجريئة هو شعوره باليأس من الحكام العرب.. وكافة الأنظمة.. والحكومات العربية بعد أن وجد نفسه يدفع منفرداً هو ووطنه فاتورة الدفاع عن كل القضايا العربية.. وما مرت به الأمة العربية كلها من حروب أثقلت كاهل مصر.. وباتت عاجزة عن الاستمرار فى تلك الدوامة التى لاتنتهى حلقاتها من المعارك والحروب

وهل استشار السادات أحداً قبل قيامه بتلك المبادرة؟

كل هذه أسئلة نجيب عنها في السطور التالية:

وللتاريخ.. وقبل أن نجيب نتحدث عن ظروف وملابسات " كامب ديفيد " تجدر بنا الإشارة إلى أن عرض السادات لإقامة اتفاق سلام مع الكيان الصهيونى لم تكن الأولى.. ولكن سبقها عرض آخر.. فما هى قصته؟

مبادرة السادات الأولى

بعد تولى السادات الحكم بدأ يولى كل فكره.. وتوجهه لحل مشاكل الجيش وإعادة بنائه وتدريبه.. وفى ٤ فبراير عام ١٩٧١ أعلن السادات عن مبادرة للسلام تتلخص فى أنه لو قامت إسرائيل بسحب قواتها الموجودة فى سيناء ومن قناة السويس إلى الممرات فإنه سيفتح قناة السويس ويقيم علاقات دبلوماسية مع الولايات المتحدة ويعقد اتفاقية سلام مع إسرائيل تحت رعاية الأمم المتحدة وقوبلت هذه المبادرة من الجانب الإسرائيلى بالرفض والسخرية.. وفى حقيقة الأمر أن السادات حين كان يطرح هذه المبادرة فى هذا التوقيت كان يعلم جيدًا رفض الإسرائيليين لها.. ولكنه أراد بها التعتيم على احتمالات شن مصر حربًا ضد إسرائيل.. كما كان السادات دائم التحدث فى خطبه الرسمية بأن عام ١٩٧١ إما أن يكون عام سلام أو عام حرب.. مما أدى بالسادات لمواجهة انتقادات شديدة من الشعوب العربية وعلى رأسها مصر.. بالإضافة إلى السخرية من تصريحاته وعدم أخذها بمحمل الجد وخاصة من الحكومات المعادية بعد انتهاء العام.

وفى تلك الأثناء أعلنت الولايات الأمريكية أنها سوف تزيد من الإمدادات العسكرية إلى إسرائيل.. فى حين ظل الاتحاد السوفيتى يمد مصر بأقل القليل من الأسلحة المطلوبة لإعداد الجيش المصرى.. وتم فى ١٩٧٢ اجتماع القمة الأول بين الرئيس الأمريكى نيكسون والسوفيتى بريجينيف فى موسكو.. وفيه تم الاتفاق على الدعوة إلى الاسترخاء العسكرى فى الشرق الأوسط. وكان ذلك بمثابة الصدمة الأولى للسادات حيث كان يعنى ذلك عدم زيادة الإمدادات العسكرية السوفيتية لمصر وبالتالى الاستسلام لإسرائيل. وقد يكون هو السبب الأول الذى جعل السادات يعيد ترتيب أوراقه مع الاتحاد السوفيتى بالشكل الذى أشرنا إليه سالفًا.

والحقيقة فى كل من مبادرتى السادات الأولى.. والثانية التى سنتحدث عنها أن الرجل قد شعر فعلاً باليأس من الأنظمة العربية لرفضها مساعدته قبل.. وبعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ لكان هو أحد أهم العوامل التى دفعته إلى تلك الخطوة.. لكن كانت للسادات رؤيته الأخرى.. وهى ما كان يمثل بالنسبة له السبب الأساسى.. والأهم .. وتمثلت تلك الرؤية فى إدراك السادات أن إسرائيل ما هى إلا الطفل المدلل للولايات المتحدة الأمريكية.. وبالتالى فإن أى حرب قادمة سوف يخوضها مع إسرائيل كان سيواجه فيها أمريكا.. قبل إسرائيل نفسها.. وبناء على ذلك قرر السادات أن يمنح نفسه.. وبلده مصر فرصة لالتقاط الأنفاس لإعادة بناء اقتصادها عن طريق عقد معاهدة سلام مع إسرائيل.. وما ثبت تاريخياً أن السادات لم يستشر أحداً من الحكام العرب.. وإنما فوجئوا مثلهم مثل الملايين غيرهم فى كافة أنحاء العالم بالسادات يطرح مبادرته.. ورغبته فى الذهاب للقدس للتفاوض.. لكن على الجانب الآخر ثبت أن السادات استشار مساعديه.. الذين شلت الصدمة وعدم التصديق القدرة لديهم على التفكير تماماً.. فلم يستطع أحدٌ منهم مواجهته برفض المبادرة.. فالتزم معظمهم الصمت.. أما المبادرة فقد كانت فكرته هو من الأساس.. والمؤكد أنه كان يؤمن تماماً فى قرارة نفسه بأن حرب أكتوبر لن تكون هى آخر الحروب.. وأنه لا زيارته للقدس.. ولا توقيع ألف معاهدة سلام مع الكيان الصهيونى سوف تحول بين اليهود.. وسعيهم الحثيث.. والتاريخى لإنشاء دولتهم الكبرى " إسرائيل من النيل إلى الفرات ".. لكن يمكننا القول إن معاهدة السلام كانت بالنسبة له مجرد خطوة تكتيكية.. وهدنة لالتقاط الأنفاس.

وقبل سفره للقدس سافر الرئيس السادات إلى سوريا فى محاوله لإقناع الرئيس السورى حافظ الأسد بالمشاركة مع فى تلك المبادرة وتأييدها ولكن الرئيس السورى رفض ذلك وقال للسادات: «إن الأيام سوف تثبت لك انك مخطئ» ولكن مع مرور الأيام أثبتت الأيام عكس ذلك وان الرئيس السورى هو الذى كان مخطئًا وان إسرائيل تقوى باستعداء العرب.. كما دعا السادات بعد ذلك وقبل بداية كامب ديفيد ياسر عرفات

وحافظ الأسد للمشاركة بالمفاوضات واسترجاع أراضيهما المحتلة بعد عام ١٩٦٧ ولكنهما رفضا ذلك.. وتماديا فى إصرارهما على موقفهما.

هبوط على سطح القمر

وفى ١٩ نوفمبر ١٩٧٧ قام السادات بزيارة إسرائيل وسط دهشة وانبهار العالم بهذه الزيارة التى وصفها البعض من الذين عايشوها وشاركوا فيها إنها كانت بمثابة الهبوط على سطح القمر وسط تغطية إعلامية من العالم كله.. وفى إسرائيل ألقى السادات خطابه الشهير فى الكنيست الاسرائيلى وطرح الحقائق كاملة أمام شعب إسرائيل وأمام العالم كله بما مفاده أن الشعب العربى والمصرى يريد السلام وأن على إسرائيل أن تتخلى عن أحلام الغزو وعن الاعتقاد بأن القوة هى خير سبيل للتعامل مع العرب وانه لا حل لقضية الصراع العربى الاسرائيلى دون حل المشكلة.

لقطات من خطاب السادات أمام الكنيست

افتتح السادات خطابه بالكنيست بصوت جهورى بالتصريح بأن كل شخص لقى حتفه فى الحرب هو نفس بشرية سواء كان يهوديا أو عربيا.. كما أعلن قائلا: أنا لم آت إلى هنا لتوقيع سلام منفرد بين مصر وإسرائيل.. حيث اتفاقية سلام منفردة بين مصر وإسرائيل لا تضمن السلام التام.. وأبعد من ذلك.. حتى لو تم السلام بين إسرائيل وكل دول المواجهة دون التوصل إلى حل نهائى للمشكلة الفلسطينية فلن يكون هذا بمثابة السلام الدائم المستقر الذى أخبر كل العالم أنه يسعى إليه.. وقال بالحرف الواحد: ـ

«إننى لم آت إلى هنا لأملى عليكم مطلبا بإخلاء قواتكم من الأراضى المحتلة.. والانسحاب الكامل من كل الأراضى العربية المحتلة بعد حرب ١٩٦٧ هو أمر بين واضح بذاته.. ونحن لن نؤيد أى حجج.. ولن نستعطف أحدًا بشأنه».

العرب ضد مصر.. والسادات

ولم تكن ردود الفعل العربية إيجابية لزيارة السادات لإسرائيل وعملت الدول العربية على مقاطعة مصر وتعليق عضويتها بالجامعة العربية.. ونقل المقر الدائم

للجامعة من القاهرة إلى تونس (العاصمة) وكان ذلك فى القمة العربية التى تم عقدها فى بغداد بناء على دعوة من الرئيس العراقى احمد حسن البكر فى ٢ نوفمبر ١٩٧٨ والتى تمخضت عنها مناشدة الرئيس المصرى للعدول عن قراره بالصلح مع إسرائيل.. وتمادى الحكام العرب فى وصف السادات بالخيانة والعمالة لإسرائيل وأمريكا.

كارتر يلتقط طرف الخيط

التقط الرئيس الأمريكى كارتر الفكرة ودعى السادات وبيجن إلى كامب ديفيد بالقرب من واشنطن فى أغسطس ١٩٧٨ وقبل الطرفان الدعوة.. وكان السادات متفائلا نظرا لقرب انتهاء مدة كارتر الرئاسية ورغبته الحقيقية فى وضع بصمته فى عملية السلام وتسجيلها فى سجل التاريخ.. وعندما وصل السادات إلى كامب ديفيد كان يتوقع أن ينجز معظم أو كل أهدافه حيث كان متفائلا وواثقا فى قدرة كارتر على تحقيق تلك الأهداف وذلك نظرا للأهمية الحيوية للشرق الأوسط بالنسبة لأمريكا وأهمية البترول العربى فى ذلك الوقت.. وقبل كارتر التوصيات التى أعدت بواسطة خبراء الشرق الأوسط وتتلخص فيما يلى:

١- ضرورة بذل مجهودات مكثفة لإنجاز تسوية شاملة

٢- حل القضية الفلسطينية إما بدولة فلسطينية مستقلة أو بكيان فلسطينى مرتبط باتحاد فيدرالى مع الأردن.

٣- الانسحاب إلى حدود ما قبل حرب ١٩٦٧

ومقابل تحقيق ذلك تنتهى المقاطعة العربية وتعود العلاقات الدبلوماسية والتجارية مع إسرائيل.. ولكن كان من الصعب تحقيق ذلك سريعا حيث كانت اللقاءات متوترة.. وكلا الطرفين متشبث برأيه.. مما دعا السادات إلى التصريح بأنه يريد فقط الاتفاق على المبادئ العامة التى يمكن الاعتماد عليها لاتفاقية السلام وليس توقيع معاهدة سلام.. كما يرغب فى انضمام الملك حسين إلى المفاوضات.. وبعد مرور أسبوع من المباحثات والمفاوضات المتعصبة اقترح الرئيس كارتر على الطرفين توقيع اتفاقية

تعتمد على موافقة المؤسسات الدستورية فى مصر وإسرائيل ممثلة فى البرلمان المصرى والكنيست الإسرائيلى.. وإذا رفض أى منهما أو كلاهما الاتفاقية فإن أى التزامات تقع على الطرفين سوف تلغى. وكان ملخص هذه الاتفاقية ما يلى:

١ ـ تخلى إسرائيل عن كل المنشآت والمطارات الحربية الموجودة بسيناء.

٢ ـ سوف تبقى إسرائيل مسيطرة على الضفة الغربية وقطاع غزة ومرتفعات الجولان خلال فترة السنوات الانتقالية الخمس.. كما تعهدت بمنح سكانها الحكم الذاتى الكامل.

٣ ـ عدم الاعتراف بضم إسرائيل للقدس الشرقية.. بل يتم وضع تلك الأماكن المقدسة تحت المراقبة الدولية.

٤ ـ الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى.. إلا أن منظمة التحرير الفلسطينية تحت قيادة ياسر عرفات رفضت المشاركة فى المحادثات.. رغم أن هذه الامتيازات تعتبر أكبر بكثير مما كانوا مستعدين لقبوله فى مدريد فيما بعد وذلك عام ١٩٩١.

●●●

توقيـــع المعاهـدة

وفى عام ١٩٧٩ وبعد مفاوضات مضنية بين الجانب المصرى الاسرائيلى بوساطة أمريكية وفى كامب ديفيد.. تم عقد اتفاقية سلام بين مصر وإسرائيل.. واستمرت مراسم التوقيع ٤٥ دقيقة لتنتهى قرابة ٣٠ عامًا من الحرب بين الطرفين وعامين من المفاوضات الشاقة والمجهدة ".. وتم توقيع تلك الاتفاقية يوم ٢٦ مارس ١٩٧٩.. وعاد أنور السادات إلى القاهرة فخورًا.. شاعرًا بأنه كسر حدة الصراع مع إسرائيل.. وأنه جلب السلام لكل العالم العربى وأقام علاقات دافئة خاصة مع الرئيس الأمريكى كارتر.. وفى منتصف عام ١٩٧٩ عين الدكتور مصطفى خليل رئيسًا للوفد المصرى الخاص بالتفاوض مع الإسرائيليين فيما يخص الحكم الذاتى للفلسطينيين.. ولكن لم يحدث أى تقدم فى هذا

الجانب حيث أصرت إسرائيل على أن تظل القدس تحت سيطرتها كما أرادت إسرائيل أيضًا مجلسًا إداريًا للضفة الغربية وغزة فى حين طالبت مصر بمجلس يمتلك كل السلطات التشريعية.. وأعلن السادات أن ما تريده إسرائيل مخالف تمامًا لاتفاقية كامب ديفيد وشعر بالإحباط والحزن الشديد فمبادرته لم تحقق لشعبه الرفاهية.. ولم تنهِ المشاكل ولا النضال مع إسرائيل.. وأدت إلى قطع معظم الدول العربية علاقتها مع مصر.

بعدها نال الرئيس السادات مناصفة مع رئيس الوزراء الإسرائيلى مناحم بجين جائزة نوبل للسلام للجهود الحثيثة فى تحقيق السلام فى منطقة الشرق الأوسط.. وتبرع السادات بقيمة الجائزة لإعمار مسقط رأسه بقرية ميت أبو الكوم كما أنه تبرع بقيمة ما حصل عليه من كتاب البحث عن الذات لبناء مساكن جديدة[٢٨].

بعد المعاهدة

بعد ذلك أصبح السادات زعيمًا سياسيًا ذا مكانة دولية وعالمية متميزة.. وقام بعدها بزيارة كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا.. كما لقيت سياساته استحسانا ملحوظا فى أوروبا الغربية والصين.. لكن سياسته لم تلق استحسانا من معظم القادة العرب وعلى رأسهم الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات حيث كانوا رافضين تماما لفكرة التفاوض مع إسرائيل.. وذلك ما دعاهم إلى شن حملة من الافتراءات والشتائم عبر الإذاعة الفلسطينية التى كانت - ويا للعجب - تبث عبر مصر.. ولفت السادات نظر الرئيس ياسر عرفات مرارًا وتكرارًا لذلك إلا انه لم يهتم.. مما جعل السادات يقوم بوقف بث الإذاعة الفلسطينية من القاهرة .. لكن هذا الهجوم المادى والمعنوى بواسطة منظمة التحرير لم يدفع السادات إلى قطع علاقاته معها أو هجر القضية الفلسطينية.. كما عزا تطرف المنظمة إلى الإحباط الذى تعانيه.. ملقيا اللوم على إسرائيل وعدم مرونتها لحل القضية الفلسطينية.

وفى نفس الوقت كان السادات لا يثق فى معظم القادة العرب.. حيث كان مرتابًا فى الرئيس السورى حافظ الأسد لمحاولته خداعه باستعادة مرتفعات الجولان عبر مساعدة

(٢٨) عندما تسلم كل من أنور السادات وبيجن جائزة نوبل للسلام علقت جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل السابقة قائلة بأن كليهما لا يستحق جائزة نوبل بل يستحق جائزة أوسكار.. وكانت تقصد أنهما ممثلان قديران وهذه كانت رؤيتها الشخصية للحدث.

الاتحاد السوفيتى.. وذلك بعد أن خاضت مصر معظم المعركة وتكبدت معظم الكوارث والخسائر.. كما اتهم العقيد القذافى بخيانة مصر لعدم وفائه بوعده بإرسال البترول وقطع الغيار للطائرات الحربية.. كما كان يشعر بشدة مكر الملك حسين.. لكنه كان يثق بشدة فى صدق وشجاعة ياسر عرفات حتى إن ناصبه العداء.. لكن سرعان ما تبدد ذلك الشعور بعد ملاحظة الأمير فهد والسادات أيضا أن الفلسطينيين ممثلين فى أعضاء منظمة التحرير اعتادوا التحدث مع الزعماء العرب عن شئونهم ويطرحون الحلول المقترحة لحل مشاكلهم وعند الإعلان عن تلك الأحاديث ينكرون بشدة متهربين أنهم قالوا هذه الأقوال.

مصر.. بين نارين

بعد ذلك انقسمت مصر إلى قسمين الأول يؤيد سياسات السادات.. وما يدعو إليه.. ويحلم به من تحقيق حياة أفضل للملايين من شعبه.والثانى ينتقد سياساته ويتهمه بالتسبب فيما تعانيه البلاد من فساد.. وبمرور الوقت اعترف السادات بنفسه بأن العديد من سياساته الاقتصادية والاجتماعية لم تحقق النتائج المرجوة منها.. ولكنه رد ذلك إلى عبء الديون السوفيتية كما اعترف بأن مصر ليست بحالة جيدة.. وأنه لا يستطيع أن يؤكد لشعبه أن هذه المسائل سيتم تصحيحها خلال عام.. لذا وجه نداء إلى المصريين للقيام بمبادرات شخصية.. وألا يعتمدوا على الدولة دائمًا.. مثيرًا حفيظتهم بأن مصر كانت واحدة من أعظم الإمبراطوريات الزراعية فى العالم.. وها هى مضطرة إلى استيراد كميات كبيرة من الغذاء من الخارج بالعملة الصعبة مشيرا إلى أن المصريين قادرون على زراعة الخضراوات وبعض الأطعمة الأساسية بسهولة كما هم قادرون على تربية الدواجن.

■■■



6

اغتيال السادات.. وبداية النهاية!!

■■



■■

كان السادات يستعد لهذا اليوم من كل عام استعداداً خاصاً..

يرتدى فيه بذلةً عسكرية جديدة.. غالباً كان لا يرتديها إلا مرةً واحدةً فى العام. يوم احتفاله بعيد السادس من أكتوبر.

وفى هذا اليوم من عام ١٩٨١لم يكن هناك مايشير إلى أنه سيكون يوماً غير عادى.. لم يكن هناك مايشير إلى أن هذا اليوم سيكون آخر يوم فى عمر .. وحكم السادات.. وكل يوم كان يخرج السادات لعمله.. أما هذا اليوم فكان يخرج لقدره.

الحذر لا يمنع قدر

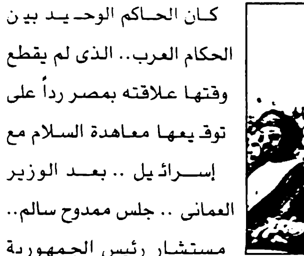
ولا شك أن الحذر لا يمنع قدر .. لكن لو كان السادات قد عمل بنصيحة زوجته السيدة " جيهان " ومن حوله.. وارتدى السترة الواقية من الرصاص لكان الأمر قد تغير كثيراً .. لكنه رفض ذلك قائلاً لزوجته: " إنه ذاهب ليحتفل بعرسه وسط أبنائه"

سيناريو اليوم الأخير

فى ذلك الصباح وقفت ٦ (لوارى) عملاقه تحمل جنود الأمن المركزى.. خلف جامع (جمال عبد الناصر) بالقرب من وزارة الدفاع .. التى تعود السادات زيارتها صباح كل ٦ أكتوبر.. اصطف جنود الشرطة بطول طريق صلاح سالم .. والطرق الفرعية المؤدية إلى ارض العرض العسكرى..أغلقت حواجز الشرطة العسكرية الشوارع الرئيسية بالمنطقة.. تولت نقاط الأمن المتعددة والمتنوعة تفتيش بطاقات المدعوين لحضور العرض

.. والتأكد من أن سياراتهم الخاصة .. لصق على زجاجها الأمامى .. التصريح الأحمر الذى استخرجته إدارة المراسيم بوزارة الدفاع.. إلى هذا الحد كانت إجراءات الأمن فى منتهى الدقة.. والصرامة. كان السادات يجلس كالعادة فى الصف الأول.. ومعه كبار المدعو ين والضـ يوف.على يمينه جلس نائبه حسنى مبارك .. ثم.. الوزير العمانى شبيب بن تيمور.. وهو وزير دولة سلطنة عمان .. وكان مبعوث السلطان قابوس الذى





كـان الحـاكم الوحـ يـد بين الحكام العرب.. الذى لم يقطع وقتها علاقته بمصر رداً على توقـ يعـها معـاهدة السـلام مع إسـرائـيل .. بعـد الوزير العمانى .. جلس ممدوح سالم.. مستشار رئيس الجمهورية الذى كان من قبل رئـ يسا للوزراء .. بعد ممدوح سالم كان يجلس الدكتور عبد القادر حاتم .. المشرف العام على المجالس المتخصصة .. وهو من رجال عبد الناصر الذين قربهم السادات إليه..

وبعد الدكتور حاتم كان يجلس الدكتور صوفى أبو طالب رئيس مجلس الشعب..

على يسار السادات كان يجلس وزير الدفاع محمد عبد الحليم أبو غزالة.. ثم المهندس سيد مرعى صهر السادات.. ومستشاره السـ ياسى.. وبعده كان عبد الرحمن بيصار شيخ الأزهر.. ثم الدكتور صبحى عبد الحكيم رئيس مجلس الشورى.. فرئيس الأركان عبد رب النبى حافظ.. فقادة الأفرع الرئيسـ ية للقوات المسلحة.. وفى الصف الثانى ـ خلف السادات مباشرة ـ كان يجلس سكرتيره الخاص فوزى عبد الحافظ.

ولا أحد يعرف بالضبط الحوار.. والتعليقات المتبادلة بين السادات ونائبة ووزير الدفاع لكن.. بعض المصادر تشـ ير إلى أنهم كانوا يتحدثون عن شحنات الأسلحة

الأمريكية الجديدة .. ومواعيد وصولها .. وكانوا يتحدثون عن احتفالات الانسحاب الإسرائيلى الأخير من سيناء فى ٢٥ ابريل ١٩٨٢ .. وكانت حالة السادات النفسية والمعنوية فى القمة .. وكثيراً ما كان يقف تحية للمارين أمامه .. وأحيانا كان يرفع (الكاب) لهم .. وأحيانا كان يصفق لهم .. وأحيانا كان يدخن الغليون .. ولم يتوقف عن تبادل التعليقات مع نائبة ووزير الدفاع .

ويدأ العرض

بدأ العرض العسكرى بداية تقليدية .. طوابير من جنود وضباط الأسلحة المختلفة .. حملة الأعلام .. طلبة الكليات العسكرية .. بالونات والعاب نارية فى السماء .. ثم .. جاء دور طائرات (الفانتوم) وراحت تشكيلاتها تقوم ببعض الألعاب البهلوانية .. وتنفث سحبا من الدخان الملون ..

والآن تجيء المدفعية:

ثم نادى المذيع الداخلى: (والآن تجئ المدفعية)

فتقدم قائد طابور المدفعية لتحية المنصة .. وهو محاط بعدد من راكبى (الموتوسيكلات) .. وأمام الرئيس ونائبه .. ووزير الدفاع وكبار القادة والضيوف .. وكاميرات التليفزيون توقف فجأة أحد هذه (الموتوسيكلات) .. أصيب بعطل مفاجئ .. غير متوقع .. واختفى النبض من الموتور تماما .. لم يتوقف قائد الطابور .. حتى لا يرتبك من يتبعونه .. وترك قائد الموتوسيكل يتصرف بمفرده .. فنزل الرجل من فوق الموتوسيكل وراح يدفعه بيديه إلى الأمام .. وكان من حسن حظه ان معدل سير باقى (الموتوسيكلات) كان بطيئا يسمح له بملاحقتها .. لكنه فجأةً زلت قدماه .. وانكفأ على الأرض .. ووقع الموتوسيكل فوقه .. فتدخل جندى كان يقف بالقرب من المنصة وأسعفه بقليل من الماء .. ومر الحادث بسلام دون أن يشعر أحد تقريباً .. وساهمت فى ذلك تشكيلات (الفانتوم) التى كانت لا تزال فى السماء .. وتسرق أنظار ضيوف المنصة .. الذين راحوا يستمتعون ببراعة الطيارين الذين يقودونها.

وفجـــــأة..

ارتجت إحدى العربات .. وانحرفت إلى اليمين قليلا.. وتصور الحاضرون ان السيارة أصابتها لعنة الموتوسيكل وتعطلت هى الأخرى.. وعندها نزل منها ضابط ممتلئ الجسد قليلاً فتصور الجميع أنه نزل لإصلاحها .. وأنه سيطلب العون لدفعها إلى الأمام بعيداً عن المنصة .. كما حدث من قبل فى عروض عسكرية سابقة.. لم يشك أحد فى عطل العربة.. بل إن قليلين هم الذين انتبهوا لذلك.. لكن كان أول ما فوجى به الجميع بعد ذلك هو رؤية الضابط الممتلئ الذى قفز من العربة وهو يلقى بقنبلة يدوية.. تطير فى الهواء ثم ترتطم بسور المنصة منفجرة.. فى ذلك الوقت كان المذيع الداخلى يحيى رجال المدفعية ويقول: (إنهم فتية آمنوا بربهم).. كان ذلك الضابط هو الملازم خالد الاسلامبولى الضابط العامل باللواء ٣٣٣ - مدفعية.. جرى خالد الاسلامبولى إلى العربة .. وفتح بابها .. وامسك بمدفع رشاش.. عيار ٩ مم.. من طراز يسمى (بور سعيد).. فى نفس اللحظة .. كان هناك فوق صندوق العربة شخص آخر.. يلقى بقنبلة أخرى سقطت بالقرب من المنصة بحوالى ١٥ متراً.. وقفز من ألقاها من صندوق العربة.. وكان ذلك الشخص هو (عطا طايل)..

وقبل أن ينتبه أحد .. من الصدمة .. ألقى خالد الاسلامبولى .. القنبلة اليدوية الدفاعية الثانية فى اتجاه المنصة.. فسقطت بالقرب منها لكنها لم تنفجر هى الأخرى.. واكتفى بإخراج دخان كثيف منها.. وقبل ان ينتهى الدخان .. انفجرت القنبلة الثالثة .. وأصابت سور المنصة أيضا.. وتناثرت شظاياها فى أنحاء متفرقة .. وكان سور المنصة بمثابة (الساتر) الذى حمى من خلفها من شظايا تلك القنابل.. وكان رامى هذه القنبلة هو عبد الحميد عبد العال.. كل هذا حدث فى ثوانٍ معدودة كان تنبه خلالها المشير عبد الحليم أبو غزالة.. بعد أن لمح الرشاش فى يد خالد الاسلامبولى.. واكتشف انه عارى الراس.. ولا يضع (البريه) كالمعتاد.. وانتبه السادات هو الآخر.. وهب من مقعده واقفاً.. منتصب القامة.. وغلى الدم فى عروقه.. وسيطر عليه الغضب.. وصرخ أكثر من مرة:

(مش معقول)..(مش معقول)..(مش معقول)

وكانت هذه العبارة المكررة هى آخر ما قاله السادات.. فقد جاءته رصاصة من شخص رابع كان يقف فوق ظهر العربة ويصوب بندقيته الآلية (عيار ٧,٩٢) نحوه.. وكان وقوف السادات.. عاملاً مساعداً لسرعة إصابته.. فقد أصبح هدفا واضحا.. وكاملا .. ومميزا.. وكان من الصعب عدم إصابته.. وخاصة ان حامل البندقية الآلية هو واحد من أبطال الرماية فى الجيش المصرى وقناص محترف.. وهو الرقيب متطوع (حسين عباس على).

رصاصات قاتلة

اخترقت الرصاصة الأولى الجانب الأيمن من رقبة السادات فى الجزء الفاصل بين عظمة الترقوة وعضلات الرقبة.. واستقرت أربع رصاصات أخرى فى صدره



.. فسقط فى مكانه.. على جانبه الأيسر.. واندفع الدم غزيرا من فمه.ومن صدره.. ومن رقبته.. وغطت ملابسه العسكرية المصممة فى لندن على الطراز النازى الألمانى.. ووشاح القضاء الأخضر الذى كان يلف به صدره والنجوم والنياشين التى كان يعلقها ويرصع بها ثيابه الرسمية المميزة..

وبعد ان أطلق حسين عباس دفعة النيران الأولى .. قفز من العربة .. ليلحق بخالد وزملائه الذين توجهوا صوب المنصة.. فى تشكيل هجومى .. يتقدمهم خالد.. وعبد الحميد على يمينه.. وعطا طايل على شماله.. وفور ان اقتربوا من المنصة اخذوا يطلقون دفعة نيران جديدة على السادات.. وهذه الدفعة من النيران أصابت بعض الجالسين فى الصف الأول .. ومنهم المهندسن سيد مرعى .. والدكتور صبحى عبد الحكيم الذى سارع بالانبطاح أرضا ليجد نفسه وجها لوجه أمام السادات الذى كان يئن ويتألم ويلفظ أنفاسه الأخيرة.. ومنهم فوزى عبد الحافظ الذى أصيب إصابات خطرة وبالغة وهو يحاول ان يكوم الكراسى فوق جسد السادات.. الذى ظن انه على قيد الحياة .. وان هذه المقاعد تحمى حياته.. وتبعد الرصاصات المحمومة عنه.

كان اقرب ضباط الحرس الجمهورى إلى السادات عميدًا اسمه احمد سرحان.. وفور ان سمع طلقات الرصاص تدوى .. سارع إليه وصاح فيه:

«انزل على الأرض يا سيادة الرئيس».. ولكن كان الوقت - كما يقول العميد احمد سرحان - متأخرا.. وكانت الدماء تغطى وجهه وحاول أن يفعل شيئا.. وأخلى الناس من حوله .. وسحب مسدسه وأطلق منه خمسة عيارات فى اتجاه شخص رآه يوجه نيرانه ضد الرئيس.

لم يذكر عميد الحرس الجمهورى من هو بالضبط الذى كان يطلق نيرانه على السادات.. فقد كان هناك ثلاثة أمام المنصة يطلقون النيران: «خالد .. وعبد الحميد .. وعطا طايل».. كانوا يلتصقون بالمنصة إلى حد كبير.

وقتل فى الحادث كبير الياوران.. اللواء حسن عبد العظيم علام (٥١) سنة.. وكان الموت أيضا من نصيب سبعة آخرين هم مصور السادات الخاص محمد يوسف رشوان (٥٠ سنة).. وسمير حلمى (٦٣ سنة).. وخلفان محمد من سلطنة عمان.. وشانج لوى أحد رجال السفارة الصينية.. وسعيد عبد الرؤوف بكر.

وقبل ان تنفذ رصاصات خالد الاسلامبولى .. أصيب الرشاش الذى فى يده بالعطب.. وهذا الطراز من الرشاشات معروف أنه سريع الأعطال.. خاصة إذا امتلأت خزانته (٣٠ طلقة بخلاف ٥ طلقات احتيا طية).. عن آخرها.. وقد تعطل رشاش خالد بعد ان أطلق منه ٣ رصاصات فقط.

مد خالد يده بالرشاش المتعطل إلى عطا طايل الذى أخذه منه وأعطاه بدلاً منه بندقيته الآلية.. ثم استدار عطا طايل ليهرب..

لكنه فوجئ برصاصة تأتى له من داخل المنصة وتخترق جسده..

فى تلك اللحظة فوجئ عبد الحميد أيضا بمن يطلق عليه الرصاص من المنصة.. فأصيب بطلقتين فى أمعائه الدقيقة.. ورفع رأسه فى اتجاه من أطلق عليه الرصاص ليجد رجلا يرفع طفلاً ويحتمى به كساتر فرفض إطلاق النار عليه.. وقفز خلف المنصة ليتأكد من ان السادات قتل.. واكتشف لحظتها انه لا يرتدى القميص الواقى من الرصاص.. وعاد وقفز خارج المنصة وهو يصرخ:

" الله اكبر.. الله اكبر"

فى هذه اللحظة نفدت ذخيرة حسين عباس فأخذ منه خالد سلاحه وقال له:

(بارك الله فيك.. اجرى.. اجرى..) ونجح حسين عباس فى مغادرة ارض الحادث تماماً.. ولم يقبض علية إلا بعد يومين.

أما الثلاثة الآخرون فقد أسرعوا - بعد أن تأكدوا من مصرع السادات - يغادرون موقع المنصة.. فى اتجاه مسجد رابعة العدوية.. وعلى بعد ٧٥ مترا وبعد قرابة دقيقة ونصف الدقيقة انتبه رجال الحراس وضباط المخابرات الحربية للجناة فأطلقوا الرصاص عليهم.. وأصابوهم.. وقبضت عليهم المجموعة ٧٥ مخابرات حربية وهم فى حالة غيبوبة كاملة.

وبعد ان أفاق الحرس من ذهول المفاجأة.. وبعد إصابة المتهمين الثلاثة.. بدأ إطلاق النار عشوائياً على كل من يرتدى الزى العسكرى .. ويجرى فى نفس الاتجاه الذى كان يجرى فيه الجناة فأصيب ٣ أشخاص.

وفيما بعد.. ثبت من تحقيقات المحكمة أن عبد الحميد وعطا كانا ينزفان وهما يجريان.. وثبت أيضا أن رجال المجموعة ٧٥ أخذوا أسلحتهم بعد إصابتهم.. وثبت كذلك بعض هذه الأسلحة كانت بها ذخيرة.

وقال العقيد محمد فتحى حسين (قائد المجموعة ٧٥) أمام المحكمة: إن أسلحة بعض المتهمين كانت فيها ذخيرة.. وإنهم لم يردوا على رجال المخابرات عندما أطلقوا عليهم الرصاص.. وكان معنى عدم ردهم على رصاص رجال المخابرات الحربية قناعتهم بانتهاء مهمتهم عند قتل السادات.. ولأنهم اعتبروا أنفسهم شهداء منذ تلك اللحظة.

وفيما بعد شوهد ممدوح سالم فى الفيلم التليفزيونى الايطالى الذى صور الحادث وهو يلقى عدداً من المقاعد فى اتجاه السادات.. وشوهد نائب رئيس وزراء سابق وهو يتسلل باحثاً عن مهرب من هذا الجحيم.

التحقيقات

بدأت التحقيقات بعرض مذكرة "المدعى العام العسكرى" حول توصيف الواقعة.. وجاءت كالتالى:

" أنه فى حوالى الساع١٢,٣٠ من يوم الثلاثاء ٦ أكتوبر ١٩٨١.. وأثناء مرور العربات (الكراز) قاطرات المدفع ١٣٠مم وسط..أمام المقصورة الرئيسية للعرض العسكرى.. توقفت إحدى هذه العربات لتنفيذ مخطط إجرامى بواسطة أربعة أفراد من راكبيها.. يستهدف اغتيال الرئيس محمد أنور السادات.. رحمه الله.. وهم الملازم أول خالد أحمد شوقى الاسلامبولى.. والملازم أول سابقاً عبد الحميد عبد السلام (سبق أن استقال من الخدمة العسكرية.. وكان ضابطاً عاملاً بالسلاح الجوى).. والملازم أول احتياطى (مهندس) عطا طايل حميدة رحيل.. من مركز تدريب المهندسين.. والرقيب متطوع حسين عبّاس محمد.. من قوة الدفاع الشعبى.. وتم التنفيذ على النحو التالى:

بدأ كل من عبد الحميد عبد السلام وعطا طايل بإلقاء قنبلتين يدويتين دفاعيتين من فوق العربة.. وفى نفس الوقت أسرع خالد الاسلامبولى بالنزول من

الكابينة وألقى قنبلة.. ثم أسرع بالعودة مرة أخرى إلى الكابينة ليأخذ الرشاش متجهاً للمنصة الرئيسية.. وقفز عبد الحميد للأرض متجهاً للمنصة الرئيسية - كذلك - حاملاً بندقية آلية فى الوقت الذى كان فيه كل من عطا طايل وحسين عباس يطلقان من فوق العربة دفعة من نيران بندقيتهما الآليتين فى اتجاه منتصف تلك المنصة.

ثم قفزا من السيارة إلى الأرض وأسرعا بدورهما للمنصة.. وأفرغ هؤلاء الأربعة ذخائر أسلحتهم وهى الرشاش القصير والثلاثة بنادق الآلية.. من الاتصال القريب.. سواء بالمواجهة أو من الأجناب فى تلك المنصة الرئيسية.. مع التركيز على منتصف الصف الأول موضع الرئيس الراحل.. مما أدى إلى اغتياله - رحمه الله - وكذلك مصرع ستة آخرين.

وألقى خالد الاسلامبولى قنبلة يدوية دفاعية رابعة.. وقعت على الصف الأول من المنصة ولم تنفجر.. بحمد الله ورحمته.. إذ لو انفجرت لكانت الخسائر أفدح مما وقع بكثير.

تحقيقات النيابة

التحقيقات التى أجرتها النيابة العسكرية والمحكمة فيما بعد أكدت أن عطل (الموتوسيكل) الذى وقع قبل وقوف عربة خالد الاسلامبولى هيأ الأذهان لاحتمال عطلها هى الأخرى .. وليست له أية علاقة بحادث الاغتيال.

كذلك ثبت من التحقيقات ان سائق السيارة لا علاقة له بالجناة ولا بخطتهم..

كذلك ثبت أن السادات طلب من القناص الذى كان يجلس على مقعد أسفل المنصة الرئيسية ان يترك مكانه ويصعد إلى خلف المنصة.. وقال الجندى القناص فى التحقيقات:

- لقد قال لى الرئيس ارجع إلى الخلف يمكن (عبود الزمر) ييجى من ورا.. كذلك ثبت أن السادات لفظ أنفاسه الأخيرة قبل ان يحملوه خارج المنصة.

بجانب القتلى.. جرح ٢٨ شخصًا آخرين.. كان على رأسهم وزير الدفاع أبو غزالة.. وكانت إصابته سطحية.. وفيما بعد اتضح ان من بين المصابين بعض الضباط

الأمريكيين والكوريين ممن كانوا يساهمون فى حماية الرئيس أنورالسادات.. فقد اتضح أن السادات كان قد كون جماعة خاصة من عناصر أمريكية .. وكورية (كوريا الجنوبية) وصينية (الصين الوطنية) لحراسته.

من ملف القضية (أقوال خالد الإسلامبولى.. وباقى المتهمين)

س: اسمك وسنك ووظيفتك؟

ج: خالد احمد شوقى الاسلامبولى .. ٢٤ سنة .. ملازم أول بالقوات المسلحة.

س: ما هى المهام التى اتفقتم عليها سواء بالنسبة لك او بالنسبة لمن كانوا معك؟

ج: انا ارمى قنبلة يدوية فور نزولى من العربية .. والثانية وراها على طول .. وعبد الحميد يضرب واحدة من العربية والرابعة للدفاع كانت مع عبد الحميد .. ثم يتقدم عبد الحميد وعطا من جهة اليمين بالنسبة لنا وانا فى المنتصف وحسين فى الشمال.

س: والقنبلة الرابعة؟

ج: كانت مع عبد الحميد للدفاع.

س: كيف أوقفت العربية؟

ج: بعد تهديد السائق وقفت على الفور.

س: وبماذا هددته؟

ج: الرشاش كان على رجلى وهددته به.

س: ولكنه يعلم انه ليس به ذخيرة؟

ج: أول ما قلت له قف .. وقف على طول.

س: هل كان يعلم أن به ذخيرة؟

ج: لا

س: وما صلتك بالسائق؟

ج: هو من سريتى.

س: هل كنت متفقا معه؟

ج: لا.

س: هل شددت فرامل اليد؟

ج: لا.. وكنت ناوى أشدها إذا لم يقف.

س: من الذى حمل الرشاش أمام المنصة الرئيسية؟

ج: كان الرشاش على حجرى والقنبلة اليدوية فى يدى فارتبك السائق ووقف.

س: كيف تم تبديل الخزنة الفارغة بالخزنة المعمرة؟

ج: بمنطقة الانتظار وكانوا بينظفوا عادى وهو كان تحتى فأنا حطيت دى مكان دى.

س: هل أرسلت السائق لإحضار مأكولات أو غير ذلك؟

ج: نعم.. أرسلته لإحضار ساندوتشين ولم آكلهما.

س: ولماذا؟

ج: لأنه سبق لى أن تناولت الإفطار.

س:فلم أرسلته إذن؟

ج: حتى لا يجلس فى الكابينة إلا ساعة بدء التحرك .. وحتى لا يكتشف أن الرشاش به ذخيرة وأنا كنت باحاول (أزيحه) من العربة حتى ينزل.

س: ألم تفض إليه بشىء؟

ج: لا.. طبعاً.

س: اسمك وسنك ووظيفتك؟

ج: عبد الحميد عبد العال .. ٢٨ سنة .. ضابط سابق بالدفاع الجوى .. واعمل حاليا .. أعمالاً حرة.

س: من الذى حدد مهام التنفيذ؟

ج: لم يتم الاتفاق بيننا على خطة معينة للتنفيذ وإنما جرى التسيق عند التنفيذ حسب الموقف.

س: كيف حصل خالد على الرشاش؟

ج: هذا الرشاش خاص بالسائق ولا اعرف كيف حصل عليه خالد ويسأل فى ذلك.

س: هل كنت تمارس رياضة بدنية؟

ج: نعم.

س: ماطولك؟

ج: ١٧٨ سم.

س: عندما واجهت المنصة من المنتصف .. كيف تمكنت من اطلاق النار على السيد الرئيس؟

ج: رفعت البندقية فى اتجاه السادات والماسورة مائلة لاسفل ٢٠.

س: اسمك وسنك ووظيفتك؟

ج: عطا طايل حميدة رحيل .. ٢٦ سنة .. ملازم أول مهندس .. احتياط.

س: ماذا حدث يوم العرض؟

ج: يوم العرض الصبح طلعنا خالد معاه ضمن الطقم فى العربية .. وكانت العربية قاطرة المدفع ١٣٠ مم وكانت العربة التى تسير يمين القوة بالنسبة للمنصة وكان تسليح الطاقم بنادق آلية. كانت بنادقنا فقط بها ذخيرة .. واللى جاب الذخيرة خالد .. وبعدين رحنا راكبين فى العربية .. وفى فترة الانتظار أعطى خالد لعبد الحميد

قنبلتين يدويتين وعبد الحميد أخد واحدة وأعطانى واحدة.. وحينما وقفت السيارة أمام المنصة حسب الاتفاق بيننا قام حسين بإطلاق النار من العربة فى اتجاه المنصة وعبد الحميد وأنا القينا القنبلتين اليدويتين.وأنا الذى بدأت .. وأنا القيت القنبلة مسافة بسيطة بحيث لم تصل إلى المنصة .. وسقطت أنا فى ارض العربية.وقمت وجدت كل الجنود او معظمهم نزلوا من العربية فنزلت وسقطت تحت عجلات المدفع الذى بدأ التحرك .. والبندقية مرمية بجانبى .. فقمت من تحت عجلات السيارة الى المنصة .. ولم أر المقصود (السادات) ووجدت الصف الأول عبارة عن كراسى فارغة .. وأنا وصلت فى النهاية .. وأطلقت النار على الكراسى فى الصف الأمامى.. أطلقت مالا يتعدى عشر طلقات وأصبت شخصًا كان فى حوالى الكرسى الخامس من المنصة ولم أرد ضربه بالرغم من انه كان فى مرمى يدى وسقطت على الأرض من إصابتى ونقلت إلى المستشفى.

س: من كان آمركم فى هذه العملية؟

ج: خالد.

س: وهل كنت تنوى قتل رئيس الجمهورية؟

ج: نعم.

س: وهل كنت تنوى قتل غيره؟

ج: النبوى اسماعيل.

س: حدد دور كل واحد منكم فى التنفيذ حسب الخطة المتفق عليها؟

ج: التخطيط المتفق عليه كان انه لما تقف العربية يقوم حسين باطلاق الرصاص وأنا وعبد الحميد نرمى القنابل وخالد يطلق الرصاص بعد ما ينزل من العربية ونهاجم المنصة جميعا حسب الفرص المتاحة.

س: وما الذى تم فعلا تنفيذه لهذا التخطيط؟

ج: ما تقدم بعينه.

س: الم تكونوا تخشون من اكتشاف الذخائر والقنابل؟

ج: بلى.

س: اسمك وسنك ووظيفتك؟

ج: حسين عباس محمد .. ٢٧ سنة .. رقيب متطوع من قوة الدفاع الشعبى.

س: ماذا حدث يوم العرض؟

ج: فى الساعة الثالثة صباح يوم العرض .. الثلاثاء .. احضر خالد الذخيرة وعطا قام بوضعها فى خزائن الثلاث بنادق الآلية وكل خزنة ٢٧ طلقة وقام عطا بأخذ أرقام البنادق التى بها ذخيرة.. وفى الساعة السادسة صباحا تجمعنا واستلمنا السلاح واخترنا البنادق الآلية التى بها الذخيرة وركبنا العربة التى خصصها خالد لنا وهى العربة رقم (١) ضمن قول الكتيبة .. أى العربة الأولى على اليمين التى تواجه المنصة مباشرة أثناء السير.. وهو كان قد اخبرنا انه سيقوم بجذب فرامل اليد لتقف العربة أمام المنصة.. وكنا قد اتفقنا على انه فور ان تقف العربة سـ يقوم خالد وعطا بقذف قنبلة يدوية ثم يعقب ذلك إطلاق النار.

س: ماذا حدث بعد نزولكم؟

ج: انا احكى الذى حدث معى فقط .. تقدمت تجاه الظالم.. وكانت هوجة وأنا كنت قد أطلقت دفعة نيران من فوق العربة باتجاه المنصة .. وأول ما نزلت ضربت دفعة واكتشفت ان الذخيرة نفدت بعد وصولى الى المنصة فاتجهت يسارا.

س: كيف اطلقت النار على المنصة؟

ج: ضربت من فوق العربية بالتوجيه الغريزى.

س: هل كنت تراه؟

ج: انا كنت اوجه السلاح الى منتصف المنصة كما اطلقت دفعة واحدة بعد نزولى فى نفس الاتجاه.

س: الم تقترب من المنصة؟

ج: اقتربت من المنصة.

س: هل اطلقت النار بعد وصولك المنصة؟

ج: لا.

س: لماذا؟

ج:لأنى تبينت ان الذخيرة نفدت.

س: الم تصوب سلاحك فى اتجاه السيد الرئيس عند وصولك إلى منتصف المنصة؟

ج: نعم.. حصل .. واكتشفت ان الذخيرة قد نفذت.

س: ألم تحاول صعود السلم اليسار للمنصة؟

ج: شرعت فى الصعود.

س: فى اتجاه من صوبت النار لدى صعودك السلم؟

ج: على الذى أمامى وأنا طالع السلم.

س: والذى امامك على السلم هو السادات؟

ج: لا أعلم.

س: لماذا تضربه إذن؟

ج: لكى أصل إلى هدفى.

س: وماذا فعلت بعد ذلك؟

ج: لما فوجئت بنفاد ذخيرتى.رجعت للخلف ثم جريت يسارا حتى قابلنى خالد واخذ منى السلاح واندسست انا بين الناس الذين كانوا متجمعين على يمين الطريق بعد المنصة.

س: ولماذا اخذ منك خالد السلاح؟

ج: لأنه وجدنى متعبا.

س: وماذا فعلت بعد اندساسك بين الناس كما تقول؟

ج: كانت هيصة.. وأنا مشيت مع الناس عادى لغاية الجهاز المركزى للتنظيم والادارة ثم سرت يسار فى الشارع الذى يحاذى سور الاستاد ويسير به المترو ووصلت حتى مترو الدراسة بشارع صلاح سالم وسرت يمينا قليلا حتى اوقفت سيارة تاكسى قبل ان اصل الموقع الذى به القوات الجوية.والتاكسى اوصلنى الى الألف مسكن.

س: ولماذا نزلت فى هذا الموقع بالذات؟

ج: هذا مكانى.

س: هل ابلغت احدا بما ارتكبت؟

ج: نعم.. زوجتى فقط.

س: هل أبلغت احد سواها؟

ج: لا.

س: أبداً؟

ج: أبداً.

س: من كان آمركم فيما عزمتم عليه من اغتيال رئيس الجمهورية؟

ج: خالد.

س: ومن الذى خطط.. ودبر؟

ج: خالد .. ورفاقه.

وانتهى محضر التحقيق عند هذا الحد بتوقيع المتهمين على مسودات التحقيق.

سيناريو يوم الاغتيال من واقع توصيف النيابة للجريمة

فى الثامنة تقريبا من صباح يوم العرض.. بينما كان الجنود ماضين فى أعمال النظافة للمدافع والعربات .. أعطى خالد لعبد الحميد قنبلتين يدويتين .. احتفظ عبد الحميد بواحدة.. وأعطى الثانية للمتهم عطا طايل .. كما خبأ خالد القنبلتين الأخريين فى تابلوه العربة .. وفى نفس الوقت قام بتغيير الرشاش الخاص بالسائق بخزنة أخرى مملوءة بالذخيرة.. ووضع الخزانة الفارغة تحت الكرسى.. حدث ذلك فى غيبة السائق الذى أرسله خالد لشراء (ساندوتشات).. كما قام خالد بإعادة ترتيب جلوس أفراد طاقم العربية.. فاجلس عبد الحميد خلفه مباشرة فى صندوق العربة وظهره للمنصة.. كما اجلس حسين عباس فى آخر صندوق العربة فى نفس الصف الذى يجلس فيه عبد الحميد وظهره للمنصة كذلك..بينما اجلس عطا طايل فى مواجهة عبد الحميد ووجهه للمنصة.

الخطـــة

وكانت الخطة التى وضعها خالد لتنفيذ عملية الاغتيال هى ان يجذب فرامل اليد عند اقتراب العربة من المنصة ولكن حدث اختلال فى المسافات بين العربات فهدأت العربة من سيرها للحفاظ على الفرامل.. وهنا تمكن خالد من إكراه السائق على التوقف أمام المنصة الرئيسية بتهديده بإطلاق النار عليه ان لم يمتثل لأمره فأوقف السائق العربة.. وأسرع خالد بالنزول منها وألقى بقنبلة .. تبعه عطا طايل بقنبلة أخرى سقطت على بعد خمسة عشر مترا تقريبا .. كما ألقى عبد الحميد بقنبلة ثالثة سقطت قرب المنصة .. أما القنبلة الرابعة فقد عثر عليها داخل المنصة الرئيسية سليمة .. لم تنفجر .. وتبع إلقاء القنابل مباشرة إطلاق النيران من صندوق العربة .. فاحدث ذلك إرباكا شديدا للجالسين بالمنصة .. ومفاجاة غير متوقعة للقائمين على حراسة الرئيس..

وفى ثوان كان المتهم الأول خالد قد اختطف الرشاش القصير من كابينة العربة وقفز الجناة الثلاثة الآخرون من صندوق العربة واتجهوا صوب المنصة الرئيسية وأمكنهم تصويب أسلحتهم وإطلاق النيران على الجالسين فى المنصة سواء بالمواجهة المباشرة القريبة.. او من الجانبين مع التركيز على الموجودين بالصفوف الأولى..

وسقط الرئيس الراحل مضرجا بدمائه .. ولفظ أنفاسه الأخيرة متأثراً بجراحه .. كما سقط سبعة آخرون قتلى .. وأصيب ثمانية وعشرون أيضاً بإصابات مختلفة ممن كانوا بالمنصة وحولها.



جنـــازة الســـادات

حُدد يوم السبت العاشر من أكتوبر لتجرى فيه مراسم جنازة الرئيس السادات.. صباح ذلك اليوم خيم الصمت على القاهرة وخلت شوارعها من المارة إلا من رجال الشرطة.. طائرة مروحية نقلت الجثمان من المستشفى إلى ساحة العرض.. وفى الثانية عشرة إلا الربع وفى نفس توقيت وقوع الحادث.. وفى المكان ذاته بدأت طقوس الجنازة وسط إجراءات أمن صارمة وترقب شديد.. لخطورة الشخصيات العالمية التى كانت قد قدمت خصيصاً إلى القاهرة للمشاركة فى تشييع السادات إلى مثواه الأخير.. وكان فى مقدمة هؤلاء مجموعة من رؤساء أمريكا السابقين.. بينما رفضت المخابرات الأمريكية

اشتراك الرئيس رونالد ريجان لدواع أمنية.. كذلك الوفد الإسرائيلى برئاسة مناحيم بجين.. وكان جعفر نميرى هو الرئيس العربى الوحيد الذى شارك فى الجنازة.. عندما اغتيل السادات كان عمره وقتها ٦٢ عاما ودفن بالقرب من مكان استشهاده فى ساحة العرض العسكرى بجوار قبر الجندى المجهول يوم العاشر من أكتوبر ١٩٨١.

وعند تمام الواحدة والنصف تقريبًا بعد ظهر ذلك اليوم.. كان جثمان السادات قد وُوري الثري.. واستقر قراره النهائى.. وطويت صفحة السادات رئيسًا.. ليفتح التاريخ صفحة السادات الزعيم الراحل.

أسرار.. وشائعات حول اغتيال السادات

هناك سؤال يتردد... هل هناك يدٌ لتنظيم الإخوان المسلمين.. أو المخابرات الأمريكية فى حادث اغتيال السادات؟

ونعود لتحليل الحدث.. لنعرف حقيقة ما يتردد فى هذا الشأن.والحقيقة التى تفرض نفسها من جراء تحليل الموقف أنه لم يكن هناك أى دورٍ ما لتنظيم الإخوان المسلمين فى اغتيال السادات.. وليس من مصلحة الولايات المتحدة أن تقتل الرجل الذى أصبحت تعتبره رجلها الأول فى الشرق الأوسط فى هذا الوقت.. وكان العالم أجمع يحسبه على التيار الإمبريالى وبأنه أخلص تابعيه.. بالرغم مما يتردد عن أن السادات كان يعرف أسراراً كثيرة.. هدد بنشرها.. وإذاعتها قبل مقتله بأسبوع واحد فى برنامج تليفزيونى أذاعته إحدى القنوات الأوروبية.. ومن بين ما قاله فى البرنامج ان الولايات المتحدة الأمريكية كانت تمنح الثوار الأفغان الأسلحة والذخيرة.. وكانت مصر تقوم بتوصيلها إليهم وكأنه كان يتبرأ مقدمًا من التهمة التى ستلصق به فيما بعد.. وعلق المذيع قائلاً " ان هذا الكلام خطير جداً " .. وبالطبع ليس فى صالح الولايات المتحدة الأمريكية.. لكن هذا مردودٌ عليه بأن السادات أوفد نائبه (محمد حسنى مبارك) إلى أمريكا بعدها فى مهمة دبلوماسية.. وكان ذلك قبل يومين فقط من اغتيال السادات.. أى أن الأمور كانت تسير بشكلٍ طبيعى.

يقول المدير الأسبق لوكالة المخابرات المركزية وليم كولبى[٢٩]: ان السادات فتح نفسه وبلاده لوكالة المخابرات المركزية وللمصالح المشتركة المصرية الأمريكية .. ولكنه .. كان مثل طريق ذى اتجاهين .. خطره مزدوج" .. وفى موضع آخر يقول:

" لقد آمنوا فى النهاية بأنه مغامر لا يمكن الوثوق فى تصرفاته ولا يمكن التنبؤ بما سيفعله ومن ثم يكون من المصلحة وضعه على رف المعاش ولكن لأنه عنيد ولا يقبل التنازل عن السلطة بسهوله فلا مفر من التعامل معه بالرصاص.

كلام الرئيس السابق للمخابرات الأمريكية - والذي لقي حتفه غرقًا فيما بعد في جريمة غامضة - خطير.. وله مردوداته الأخطر.. لكن الأقرب للتحليل المنطقى للأحداث هو أن عملية قتل السادات كانت عملية فردية نفذها خالد الاسلامبولى.. وقلة من بعض أعضاء تنظيم الجهاد.. لعب فيها القدر لعبته.. وهى لعبة شديدة الغرابة.. لتتم أشهر عملية اغتيال رئيس أكبر دولة فى الشرق الأوسط بسهولة.. ويسر يستعصيان على التصديق أن مثل هذه العملية تتم هكذا.. وكان دافع خالد مثلما تابعنا من سرد أقواله فى محاضر التحقيق التى تضمنها ملف القضية هو الانتقام من السادات بعد أن علم باحتجاز مباحث أمن الدولة والدته وإخوته حتى يتم القبض على أخيه الأكبر " محمد الاسلامبولى " الذى انضم قبله للجماعات الإسلامية ..عندها قرر خالد الانتقام.. وأشار عليه عبد السلام فرج.. وعطا طايل.. شريكاه فى الاغتيال.. وأعضاء جماعة الفريضة الغائبة إحدى الجماعات المنشقة عن تنظيم الجهاد بأن الشرع يبيح قتل السادات باعتباره حاكمًا خارجًا عن تقاليد الدين والشرع الإسلامى.. وعندئذٍ نفذ خالد عملية القتل ولو كان الأمر وراءه تنظيم لاستطاع قتل رموز النظام المتواجدين وقتئذٍ فى المنصة.

---

(٢٩) .. كتاب "صلاة الجواسيس" لعادل حمودة.. الفصل التاسع تحت عنوان "ليذهب السادات إلى الجحيم". " صفحة ١٣٨ .. و١٣٩..

١ ـ لم يحدد تقرير الصفة التشريحية لأنور السادات نوع المقذوفات النارية التى قتل بها السادات.. وذلك لأن المقذوفات النارية خرجت ولم تستقر بجسده.. مما يعنى القرب الشديد لمسافة الإطلاق.. وذلك يتعارض مع الرواية الرسمية بأن أول رصاصة جاءت من القناص الذى كان فوق عربة المدفع.

٢ ـ ثبت أن فتحات خروج ودخول المقذوفات لا تتطابق مع تصوير حركات الجناة.

٣ ـ قال الجناة إن عملية الاغتيال كانت تمهيدًا لمحاولة للانقلاب على الحكم.. وأنه فى حالة نجاح الانقلاب كان (عبود الزمر) سيُعلن عنه رئيساً للجمهورية.

٤ ـ بعد إيقاف ضرب النار.. وتحكم الشرطة فى الموقف.. لم يتحرك أحد لنقل السادات المضرج فى دمائه من مكانه.. بل تجمع الكل حول نائب الرئيس وتركوا السادات.. إلى ان قام الحارس الشخصى للسادات منفرداً بحمله على كتفه.. وراح يصرخ فى الواقفين لإحضار سيارة لنقله للمستشفى.

٥ ـ قيل إن السبب الأساسى الذى جعل خالد الاسلامبولى يصر على قتل السادات هو اعتقال رجال أمن الدولة لوالدة " خالد الاسلامبولى " وتعذيبها حتى يقوم أخوه بتسليم نفسه لأمن الدولة.. بعدها انضم خالد للجماعات المتطرفة وصمم على قتل السادات ثأرا لوالدته المسنة.. والتى تمت بهدلتها فى الحجز وخاصة مع تقاليد أهل الصعيد التى تعتبر هذا عارا لا يجب السكوت عليه. وأن خالد لم يكن قبلها متطرفا مثل أخيه.. بل كان ضابطا ملتزماً .. ولكن تجاوز وإرهاب الدولة هو الذى حوله لارهابى.

٦ ـ وهناك ملابسة خطيرة فى حادثة الاغتيال وهو ان ضباط أمن الدولة علموا بعملية الاغتيال قبلها بيوم.. حيث كان لهم مندسون وعملاء بين أعضاء هذه الجماعة جندهم عميد أمن دولة وقتها فى مقر شبرا على الكورنيش.. وقام العميد بإبلاغ وزارة الداخلية قبلها بساعات فتباطأوا.. وأخذوا الأمور باستهتار يثير الريبة.. والشك.. ثم كتبوا رسالة وأرسلوها مع ضابط قبل التنفيذ بساعة لصعوبة الاتصال باللاسلكى بالمنصة بسبب الشوشرة وقتها كما أن كثيرًا من ضباط الحرس والمنصة تركوا تليفوناتهم اللاسلكية فى السيارات. ولم يسمح لهذا الضابط للوصول للمنصة ولم يتعامل الحرس معه بالجدية الكافية واعتقدوا أنه يرغب فى مشاهدة العرض بجوار المنصة حباً للاستطلاع.. ويتحجج بهذه الرسالة التى لم يكن يعرف وقتها محتواها لمعرفة خطورة تأخير تسليمها وإبلاغ الحرس بذلك..

شهادة نبوى اسماعيل وزير الداخلية

عندما سأل النبوى اسماعيل وزير الداخلية المصرى ماذا فعل عندما تم إخباره بعملية الاغتيال قبلها بنصف الساعة فى رسالة سلمها له احد الضباط أثناء العرض العسكرى.. وقتها انتابته حالة من التلعثم.. ورد بأنه لم يتسلم أية رسائل.. من أى شخص.. وبتفريغ شرائط التسجيل التلفزيونى للعرض.. شوهد فى بدايته أحد الضباط يتقدم ناحية النبوى اسماعيل ويعطيه ورقة.. وقام النبوى بفتح الورقة وقراءتها.. فهل لهذه الملابسات من تحليل؟.. الإجابة ضمنيًا نعم!.

الحريرى يتهم

بعد فترة كبيرة تقدم أبو العز الحريرى النائب بمجلس الشعب باستجواب متهماً فيه النبوى اسماعيل وزير الداخلية السابق بالتهاون فى حق السادات كرئيس للجمهورية يجب حمايته.. وتساءل النائب فى استجوابه: من المقصر؟ وهل ثمة تراخ فيما حدث؟..

ولماذا لم يحاكم المسئولون بسبب تقصيرهم؟ وهل كان هناك من يعرف بالمؤامرة من بداياتها؟ وهل كانت هناك علاقات للجماعات الإسلامية مع الأمريكان؟ أم تم توظيفهم بشكل غير مباشر من قبل الأمريكان؟

وفجر الحريرى سؤاله الذى وقع على الجميع كالصاعقة.. وهو: لماذا وُضع كرسى أسفل المنصة.. عمداً؟.. هل بقصد لكى يقف عليه الجانى.. ويصعد ليضرب السادات حتى يجهز عليه؟.. ولم لم يوجه أحد من حرس السادات طلقاته لقلب خالد الإسلامبولى أو زملائه؟

ثم يتهم الوزير قائلا: إنه أبلغه عند الإفراج عنه عام ١٩٨١ بأن هناك شريط فيديو يصور الجناة وهم يتدربون لقتل السادات.. وأنه كرر هذا الكلام على مسامع النائب الحالى "عادل عيد" الذى كان أيضًا معتقلاً فى ذلك الوقت.. كما كرره فى برنامج "اختراق" التليفزيونى.. وهو ما يعتبره الحريرى تقصيرا من الوزير.

والنبوى يرد

وقتها رد الوزير السابق النبوى اسماعيل على أبو العز الحريرى بالآتى:

إن جهاز الأمن المصرى حصل على شريط فيديو يصور أعضاء تنظيم الجهاد وهم يتدربون على إطلاق النار.. ويؤكدون رغبتهم فى اغتيال السادات.. إذ قال أحد قادتهم: إن أول طلقة من هذه الأسلحة ستكون فى قلب الرئيس السادات.

وأن عبود الزمر أحد قادة الجهاد المسجون حاليا قال لأحد المرشدين السريين الذين دسهم الأمن المصرى فى مجموعته بعد أن طلب منهم إخفاء بعض قطع السلاح: "إحنا انكشفنا وضايعين.. ضايعين.. ولازم نعمل حاجة كبيرة وأخيرة".. وهو ما اعتبر وزير الداخلية أن المقصود به هو عملية اغتيال السادات.

وأن كل المؤشرات كانت تشير إلى احتمال اغتيال الرئيس السادات فى ليلة العرض العسكرى.. خصوصًا بعد ضبط أسلحة وقصاصات ورق تكشف مراقبة الجماعة

لتحركات الرئيس السادات.. وأن النبوى إسماعيل أبلغ الرئيس السادات ليلة اغتياله عن مخاوفه.. فرد السادات: «ما تخفش يا نبوى.. تصبح على خير».

كما أكد " النبوى اسماعيل " أن منطقة العرض العسكرى لا سلطة للبوليس المصرى عليها.. وأن مسئوليتها فى يد القوات المسلحة.. ولذلك لم يكن مسئولاً عن تأمينها.. وأنه قال للرئيس السادات: إن قادة الجماعة ومنهم عبود ضابط الجيش مازالوا هاربين.. وهناك خطر على حياته.. ولكنه أصر على استمرار كل شىء بشكل عادى.. وأن هناك معلومة وصلت عبر جهاز الأمن تشير إلى أن الاغتيال سيتم فى العرض العسكرى.. وحاول أحد أفراد الأمن توصيلها للوزير فى المنصة.. ولكنه لم يتمكن من الدخول للمكان بسبب إجراءات الأمن حتى تمت عملية الاغتيال.

كما جاء فى اعترافات باقى أعضاء التنظيم ممن ألقى القبض عليهم فيما بعد الحادث أنهم كانوا ينوون قذف الجنازة أثناء مرورها وإمطارها بوابل من الرصاص.. خاصة بعدما عرفوا بمشاركة رؤساء أمريكا وإسرائيل فى الجنازة.. إذ فكّروا فى اعتلاء إحدى العمارات وانتحال صفة عمال بناء.. ولكنهم فشلوا[٣٠].

أما أهم رد للنبوى على الحريرى فيتلخص ـ كما قال ـ فى أنه لم يقصر.. وأنه أبلغ كل المسئولين بما وقع.. وأن حساباته ورؤيته الأمنية التى قال ـ بناء عليها ـ إنه كان لديه إحساس بأن الرئيس السادات سوف يغتال فى هذا اليوم.. لا تعنى أنه كان يعرف عن ذلك أية معلومات مؤكدة حول مكان الاغتيال أو موعده.

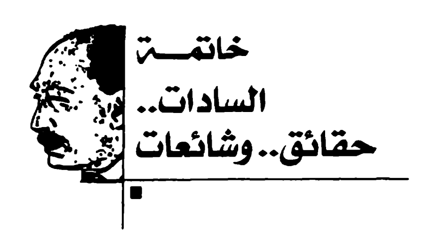
وفى حوار آخر مع نبوى اسماعيل وزير الداخلية السابق قال:

قبل مقتل السادات بأسبوعين اكتشفنا مؤامرة لاغتياله بعملية اسمها "جون كيندى" كان سيتم اصطياده ببندقية تليسكوب أثناء خروجه من منزله بالجيزة وتم ضبط

(٣٠) هذه النقطة تحديدا أكدها النبوى فى تصريح لصحيفة "الأحرار" المصرية فى عدد ١٧ مايو ٢٠٠٥.

الجناة والبندقية.. كان وراءها دولة "عربية" بسبب السلام مع إسرائيل.. وتم ضبط عمليات أخرى تستهدف نسف مبنى وزارة الخارجية.. والتليفزيون.. وبرج القاهرة.. وغيرها من العمليات التى استهدفت مصر لترويع الجبهة الداخلية.. وكانت هناك عملية القناطر التى خطط لها عبود الزمر ولكنها فشلت للإجراءات الأمنية المشددة وتم التخطيط أثناء المؤتمر العام الوطنى.

■■■



خاتمة
السادات.. حقائق.. وشائعات

السادات وفؤاد سراج الدين!!

تحدثنا عما يردده البعض عن كراهية السادات لشخص الزعيم الراحل " جمال عبد الناصر " - وشككنا فى صحة هذه المعلومة التى نفضل التعامل معها " كادعاء يفتقد للمصداقية " وليست كمعلومة.. ونتحدث هنا عن شائعة أخرى رددها العض تتعلق بكراهية شديدة كان يكنها السادات بشكل خاص لحزب " الوفد ".. وزعيمه الراحل " فؤاد سراج الدين " فاقت الحد.. وحجة من يروجون لهذه الشائعة هى غ يرة السادات الشديدة من سراج الدين.. الذى كان يرى فـ يه زعـ يماً شعبـ ياً يقود حزباً ذا تاريخ عريق يضرب بجذوره فى أعماق الوطنية المصر ية ورحلة الكفاح النضالى للأمة.. ونطرح على هؤلاء تساؤلاً بديهـ ياً ومنطقـ ياً تماماً.. وهو إن كان السادات يغـ ير من " سراج الدين " بهذا الشكل فلماذا تركه ليعود لرئاسة الحزب عند عودة الأحزاب للحياة السياسية فى مصر مرةً أخرى؟.. ألم يكن يستطيع السادات أن يمنعه من رئاسة الحزب بكل ما يملكه من وسائل ضغط باعتباره رئيساً للجمهورية؟.. بل كان من الممكن أن يشترط لعودة حزب الوفد أن تكون عودته بشكل جديد تماماً.. وخالية من كل رموز الحرس القديم الذين كانوا قد توارى معظمهم خلف ستائر النسيان.. وفى مقدمتهم آل سراج الدين بالكامل.

شائعة اغتيال السادات للمشير أحمد بدوى:

كانت تلك هى أكبر عملية تصفية حدثت فى الجيش المصرى.. وفيها اغتيل المشير أحمد بدوى وزير الدفاع.. وبطل ثغرة "الدر فسوار ".. والذى كان قد تم تصعيده وزيراً

للدفاع بعد موت المشير أحمد إسماعيل فى مارس ١٩٧٤.. هو وعدد من كبار القيادات العسكرية عددهم ١٥ قائداً عسكرياً جميعهم برتب لواء وفريق.. قتلوا جميعاً فى تحطم طائرة هليكوبتر.. قيل أنها انفجرت فى الصحراء الغربية عند منطقة تسمى " قحافة " بعد أن اصطدمت مروحتها بعمود نور خشب للمعسكر .. قطر عمود النور كان يتراوح بين (٢ و٣ بوصة) .. وارتفاعه لا يزيد على ٦ أمتار فقط .. وتمت هذه العملية قبل شهور قليلة من تعيين الرئيس حسنى مبارك نائباً وقتها للسادات .

وقيل إن السادات .. كان متخوفاً من الفريق أحمد بدوى بعد أن قويت شوكته بشكل كبير فى أوساط القوات المسلحة . وبعد أن وقف فى البرلمان المصرى يجادل نبوى إسماعيل فى العديد من الأمور الخاصة بامتيازات رجال الجيش وعلاقتهم برجال الشرطة . ثم تلى ذلك اصطدام الفريق أحمد بدوى برئيس مجلس الشعب وقتها «سيد مرعى» ثم «عثمان أحمد عثمان».. وما زالت دماء المشير أحمد بدوى تقطر اليوم من أصابع قاتليه الحقيقيين.. فالجميع يرفضون تماماً تصديق أن هذا الحادث تحديداً جاء قضاءاً.. وقدراً.

السادات وناهد رشاد:

اتهم البعض السادات بأنه كان على علاقة بناهد رشاد الوصيفة الملكية السابقة..

وفى هذا أكد د. " محمود جامع " أن السادات أقسم له بصفة شخصية أنه لا تربطه أى صلة بناهد رشاد سوى العطف عليها لكونها صاحبة فضل سابق عليه.. وأن ناهد كانت ترتبط وقت انتشار هذه الشائعة بقصة حب مع أحد الوزراء.. بل ويؤكد "جامع " ان السادات فقد الاهتمام بالجنس تماما فى بداية السبعينيات.

السادات.. وهمت مصطفى:

والشائعة السابقة تقودنا بما انتهى إليه كلام " جامع " لشائعة من أخطر.. وأكثر الشائعات ترديداً حول حياة السادات.. وهى شائعة ارتباطه بالزواج من السيدة " همت

مصطفى " المذيعة اللامعة.. التى كان يختصها السادات بأحاديثه الخاصة فى مناسبات متعددة مثل عيد ميلاده.. وذكرى انتصارات أكتوبر.. وإعادة افتتاح قناة السويس وغيرها.. والحقيقة الوحيدة فى هذه الشائعة أنه لا أحد يستطيع نفيها.. أو تأكيدها.. وإنما الحالتين نتوقف عند حق السادات كرجل فى الزواج.. وهو الحق المتاح للجميع شرعاً.. وقانوناً.. ونعتقد أن السادات كان من الشجاعة ليواجه الجميع بذلك فى حالة حدوثه.. وإن كان الأمر برمته يشوبه بعض التعتيم لرغبة ما من السادات فى إخفائه حال حياته.. فالأمر لابد أن يختلف بعد وفاته.. وكان لابد للحقيقة أن تتكشف.. وهو ما لم يحدث حتى الآن.

السادات كان ينوى قطع علاقته بإسرائيل

شائعة أخرى.. نتمنى لو أنها كانت بالفعل حقيقة تفكير السادات آنذاك.. وهى أنه فكر فى قطع علاقته بإسرائيل قبل اغتياله بـ٧ أشهر.. هذه الشائعة.. أو الحقيقة جاءت ضمن تقرير خاص صدر عن المخابرات الأمريكية "سى آى إيه " كُتب عام ١٩٨١ نقلته صحيفة "الشرق الأوسط" التى أشارت لنية السادات فى ذلك بعد أن تتم إسرائيل انسحابها من سيناء الذى كان مقرراً الانتهاء منه فى يوم ٢٥ أبريل من عام ١٩٨٢ وفقاً لاتفاقية كامب ديفيد .. وقال التقرير إن الرئيس الراحل كان سيلقى بمسألة تطبيع العلاقات مع إسرائيل فى عرض البحر.. فى حال ما إذا لم تظهر تل أبيب مرونة كافية تجاه القضية الفلسطينية.. وأن يكون طريق السلام بين العرب وإسرائيل.. بعد ذلك.. من خلال مصر.. وليس من خلال اتصالات منفردة بين إسرائيل وواشنطن من جانب وأى دولة عربية أخرى من جانب آخر.

وكان السادات يأمل فى فوز حزب العمل الإسرائيلى ليحل محل حكومة مناحم بيجين الذى صنع السلام مع السادات والرئيس الأمريكى الأسبق جيمى كارتر.ويرجع تاريخ الإفراج تباعاً عن أجزاء من التقرير المعنون باسم "السياسة الخارجية المصرية فى الثمانينيات".. لعام ١٩٩٩. ووصلت نسبة الكشف عن المعلومات الواردة فى التقرير نحو ٩٥ فى المائة.

أحلام السادات

كانت تتنازع السادات عدة رغبات فقد تمنى بشدة أن يعيد بناء المدن التى تحطمت من جراء الحرب.. ويستغل المبالغ الضخمة التى حصل عليها من بعض الدول الأوروبية ومن أمريكا أيضا فى نشر التكنولوجيات الزراعية والصناعية.. كما كان يحلم بزيادة وتشجيع المستثمرين الكبار لاستثمار أموالهم داخل مصر حتى يتمكن بذلك من رفع مستوى معيشة الشعب المصرى بأكمله.. لكنه كان قلقاً من أى مجهودات تبذل فى هذه المجالات ليقينه التام بأن أى إنجاز فى مجال تنمية الاقتصاد المصرى سوف تتحطم تماما فى حالة اندلاع حرب أخرى.. وأن السلام الدائم القائم على العدل وحده هو المقياس الحقيقى للنصر..

السادات بين يدى التاريخ

وفى النهاية.. وبعد أن استعرضنا العديد من جوانب الحياة الخاصة.. والسرية للسادات نستطيع القول إن قصة حياة هذا الرجل تمتلئ بالكثير مما تتضمنه التراجيديات الإغريقية لأبطالها من أنصاف الآلهة من شخصيات قوية وغريبة ومغامرة.. ومصادفات.. وأقدار غريبة.. تحدث تحولات مفاجئة فى حياة أبطالها.. وحوادث إنسانية مصيرية هائلة أغلبها تتارجح بين القتل والتآمر.. وكل هذا فى إطار درامى مشحون بالحركة المحتدمة والعاطفة المتأججة.. مرتفعة فى النهاية إلى ذروة المأساة الختامية بمقتل البطل وهو فى أعلى قمة توهجه.. ونصره .. متضمنة فى إطارها هذا قدرًا عظيمًا من التناقضات المتزامنة فى نفس الحدث ونفس الشخصية.. وهى كلها ما نراه فى قصة السادات بالغة الإثارة والتأثير.

■■■


وثائق ومحادثات
سرية

الرئيس

بسم الله

توجيه صادر الى القائد العام للقوات المسلحة
ووزير الحربية الفريق أول احمد اسماعيل على

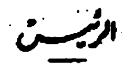
أولا - عن الوضع العام

١ - لقد مضت حتى الآن اكثر من ست سنوات على
احتلال العدو الاسرائيلى لاجزاء من التراب العربى.

٢ - ان اسرائيل مؤيدة بدعم أمريكى خصوصا فى مجال
امدادات السلاح .. حاولت وتحاول فرض ارادتها
علينا واخضاع أزمة الشرق الاوسط على نحو يحقق
لها سيطرة شبه مطلقة فى المنطقة العربية وفى
أمنها وفى مصائرها .

٣ - ان مصر حاولت بكل الوسائل ، وبعد صدور قرار وقف
اطلاق النار عن مجلس الامن فى ٨ يونية ١٩٦٧ أن تجد

(يتبع)



- ٢ -

حلا للازمة .. وفي هذا السبيل فقد حذرت وسائلها من قبول قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ بتاريخ ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ الى قبول جهود السفير يارنج ، ثم جهود الدول الاربعة الكبرى ، ثم جهود قامت بها الولايات المتحدة ، ثم مبادرة تقدم بها وزير الخارجية الامريكية وليام روجرز ، حتى تقدمت مصر بمبادرة لحل يكون فيه فتح قناة السويس بداية لمراحل انسحاب شامل تطبيقا لقرار مجلس الامن .

ولكن كل هذه الجهود لم تصل الى نتيجة ، فهي اما تعثرت أو توقفت .. أو حاول اعداؤنا الخروج بها عن مقاصدها .

٤ - ان مصر قامت بعمليات عسكرية ذات طابع محدود في سنوات ١٩٦٨ و ١٩٦٩ و ١٩٧٠ ، كذلك قدمت دعما كبيرا لقوات المقاومة الفلسطينية لمباشرة عمليات

(يتبع)

فدائية على الخطوط أو داخل الارض المحتلة .. ولكن
هذه العمليات كلها وان أدت الى نتائج لهـــا
أثرها فانها لاسباب محددة لم تصل في ضغطهـــا
على العدو الى الحد اللازم .

٥ - ان مصر كانت تدرك طول الوقت انه سوف يجيء وقت
يحتم علينا فيه أن نتحمل مسئولياتنا .. وكـــان
اهم ما يجب ان نقوم به هو أن نوفر لهذا اليوم
كل ما نستطيع .. وفي حدود طاقتنا .. ومع التزامنا
بواجب الدفاع عن التراب والشرف .

٦ - ان الشعب في مصر تحمل بأكثر مما كان يتصور أحد
خصومه وأصدقاؤه على السواء .. ولقد كانت الاعباء التي
تحملها الشعب ، مادية ومعنوية ، اعباء فادحـــة
لا يحتملها الا شعب يؤمن بالحرية ويضحى فـــى
سبيلها .

(يتبع)



- ٤ -

٧ - أن تصدعات مهمة طرأت على الموقف السياسي العربي عموما وزادت من احتمالات تأثيره .. ومع تزايد أهمية أزمة الطاقة وأزمة النقد في العالم فإن النفط العربي في أحوال ملائمة يستطيع أن يكون عاملا له قيمته .

٨ - أن تأثيرات الموقف العربي العام تجلت بشكل واضح في أوضاع تسليحنا .. فالى جانب ما حصلنا عليه من الاتحاد السوفييتي والكتلة الشرقية ، وهو كثير ، فقد أصبحت لنا من مصادر أخرى أنواع من السلاح لم تكن متوفرة لنا .

٩ - أن العدو في شبه عزلة عالمية بعد الجهود المصرية الناجحة في مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة ومؤتمر منظمة الوحدة الافريقية الأخير في أديس أبابا ، ومؤتمر الدول غير المنحازة الذي انعقد في الجزائر .

(يتبع)



سري جدا

برقية رمزية

من : طرابلس	رقم البرقية ٩١ (مرسوم)	بحوما الوقت والتاريخ
الى : التنفيذ		
العلم		

من : العقيد القذافي

الى : السيد الرئيس السادات

بعد التحية .

في الطريق المحكم الصواريخ الكروتال المطلوبة معبأة جاهزة بجسرى ونحاول نقل كمية صواريخ سام الى طبرق لتحل محل الكروتال .

أصدرت الامر بنقل اللواء المدرع بأطقمه الى مصر فورا . سنحاول تشكيل لواء بدلا منه . قد تحتاج طواقم تدريب لدى الامكان تحت هذه الظروف . النقلة تحت تصرفكم واعتبروه عندكم . مرسل لكم أموال ومن الادوية قدر المستطاع والمؤن بقدر ماتيسر لنا في السوق والمخازن . المدافع الـ ١٠٠ AC في الطريق المحكم .

سمعت انك محتاج من بعض كلامي " انا قلت هذا في حالة تغيرت نتيجة القتال في غير صالحنا لاسمح الله لذلك اذا حصل يرجع لتطور الاسلحة وليس لصمود الرجال . يكفي ان الجندي الاسرائيلي يفر الان امام الجندي المصري " ان هذا الكلام انه عادي بعيدة خارج مصر وفيه احترام لمصر ولايمكنني ان أؤكد غير ذلك في مثل هذه الظروف . ان شعبنا سيادة الرئيس محتاج هو الآخر من تجاهل دوره السياسي والاشادة بشعبه في كل نشرة من نشرات القاهرة دون ذكر ليبيا . وليس خافي مايجري الان في الارجنتينا واوروبا .

../..

□ **وثيقة رقم (٦٥)** □

صورة برقية رمزية من الرئيس القذافي إلى الرئيس السادات .



سري جداً

برقية رمزية

[illegible]

من	جـدة	رقم البرقية ٣٩ (ش م س م ٠)	مجموعة الوقت والتاريخ ١٩/١٠/٧٣
إلى	التنفيذ		
	العلم		

من السيد كمال ادهم

الى السيد أشرف مروان

الاخبار عن معركة القناة اقلقتنا كثيرا . ارجو طمأنتنا عـــن الوضـع للاهميـــة .

الموقف دقيق بسبب تدفق العتاد الامريكي بالجسر الجوي المطلوبة
للدبابات والطائرات من امريكا اساسا ومن بلاد اوروبا .
وقد اعترف طيار اسير بان الطائرات الاسرائيلية تأتي
بطيارين امريكان وكلنا لا نذكر ذلك ويستفيد
مخففين ذلك كل ما في طاقة البشر بل ما هو الأكثر
والله هو الموفق

١٩/١٠/١٩٧٣
س

□ وثيقة رقم (٧٥) □

صورة برقية من الملك فيصل عن طريق السيد كمال أدهم إلى الرئيس السادات عن طريق الدكتور أشرف مروان ، والتأشيرة الموجودة عليها هي بخط الرئيس أنور السادات .

« سري للغاية

رقـم التقريـــر :	من : الجزاير هوارى بومدين
رقـم التذكـــرة :١٩٠٨٣٩	إلى : مصر السيد الرئيس أنور السادات
رقـم الشـــريط : ٢٠٨١	رقم التليفون ٦٧٩٦٧
الـوقت والمـدة : الساعة ١٩,١٠	العنوان :
التاريـــــــــخ : ١٩٧٣/١٠/٦	نوع الحديث : عام عربى

نص المحادثة

الرئيس بومـدين : الأخ السادات
الرئيس الســادات : أهلا أهلا يا أخ هوارى
الرئيس بومـدين : كيف أحوالكم
الرئيس الســادات : الحمد لله بخير كيفك أنت
الرئيس بومـدين : لا بأس أنا ما سامعك كويس
الرئيس الســادات : أنا سامعك كويس
الرئيس بومـدين : كيف الحالة
الرئيس الســادات : الحمد لله الحالة طيبة
الرئيس بومـدين : وأيه أخباركم
الرئيس الســادات : الحمد لله طيبة يا أخ هوارى
الرئيس بومـدين : طيبة
الرئيس الســادات : الحمد لله القوات عبرت
الرئيس بومـدين : انتم عبرتم القناة
الرئيس الســادات : القوات عبرت القناة القوات الحمد لله
الرئيس بومـدين : إن شاء الله يكون مركزكم كويس
الرئيس الســادات : الحمد لله المركز كويس وماشيين فى الخطة زى ما عملناها الحمد لله
الرئيس بومـدين : الحمد لله وخسائر العدو كانت كبيرة
الرئيس الســادات : آه فعلا
الرئيس بومـدين : نعم
الرئيس الســادات : لا فعلا والحمد لله ماشية كل حاجة زى ما خططنا كويس
الرئيس بومـدين : حسب التقديرات
الرئيس الســادات : حسب التقديرات والتخطيط الحمد لله
الرئيس بومـدين : أنا كنت تكلمت مع الرئيس الأسد وقاللى لا بأس عنده كذلك
الرئيس الســادات : عنده الحمد لله ماشى كويس كمان
الرئيس بومـدين : المعارك مستمرة الآن
الرئيس الســادات : مستمرة طبعا
الرئيس بومـدين : مستمرة
الرئيس الســادات : نعم نعم
الرئيس بومـدين : ولحنا أقرينا الأخبار من تل أبيب بيقولوا القوات مازالت تعبر

وثائق مؤتمر قمة كامب ديفيد

٢ ـ اطار الاتفاق لمعاهدة سلام بين مصر وإسرائيل

*وزارة الخارجية المصرية، معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل ووثائق الحكم الذاتي في الضفة والقطاع، القاهرة ١٩٧٩، ص ١٥ ـ ١٧.

اطار الاتفاق لمعاهدة سلام بين مصر واسرائيل

من أجل تحقيق السلام ٠٠ وافقت مصر واسرائيل على التفاوض بنية صادقة بهدف التوصل الى معاهدة سلام بينهما خلال ٣ اشهر من تاريخ هذا الاتفاق ٠

وتم الاتفاق على ما يلي :

ـ ان تجرى المفاوضات تحت علم الأمم المتحدة ، فى المكان او الأماكن التى يتفق عليها الجانبان ٠

ـ ان يتم تطبيق كل مبادىء قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ فى حل النزاع بين مصر واسرائيل ٠

ـ ان يتم تنفيذ بنود معاهدة السلام فى فترة بين عامين و ٣ أعوام من تاريخ توقيع المعاهدة ، فيما لو لم يتفق الطرفان على شىء آخر ٠

وقد أتفق الجانبان على المسائل التالية :

(أ) ممارسة مصر لسيادتها الكاملة على المنطقة التى تمتد الى الحدود المعترف بها دوليا بين مصر وفلسطين فى فترة الانتداب ٠

(ب) انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية من سيناء ٠

(ج) استخدام المطارات الجوية التى يخلفها الاسرائيليون بالقرب من العريش ورفح وراس النقب وشرم الشيخ ـ للأغراض المدنية فقط بما فى ذلك الاستخدام التجارى المحتمل من جانب جميع الدول ٠

(د) حرية مرور السفن الاسرائيلية فى خليج السويس وقناة السويس على أساس اتفاقية القسطنطينية لعام ١٨٨٨ والتى تنطبق على جميع الدول ٠

اعتبار مضيق تيران وخليج العقبة ممرات دولية مفتوحة امام جميع الدول لحرية الملاحة وحرية المرور البرى والطيران فوقها ٠

(هـ) انشاء طريق سريع يربط بين سيناء والأردن بالقرب من ايلات مع ضمان حرية المرور السلمى فيه لكل من مصر والأردن ٠

من السيد الرئيس أنور السادات..

الى السيد الرئيس حافظ الأسد..

ـــــــــــــــــــــــــــ

أخي السيد الرئيس حافظ الأسد..

لقد طالعت شاكراً برقيتكم الخاصة بمؤتمر السلام والتي قرأتها باهتمام بالغ.. وإنني لأشاركم الرأي في أن موقف بعض الدول الكبرى من خلال تصرفاتها وكذلك تصريحات المسئولين في إسرائيل قد لا يبعث على التفاؤل كثيراً... وإنني لأشترك معكم في الرأي كذلك أنه لا يمكننا رفض المؤتمر مباشرة طالما قبلنا بالقرار رقم / ٣٣٨/ ولعلكم متفقون معي في أن الهدف من المؤتمر هو تنفيذ القرار رقم ٣٣٨ أي العمل على تنفيذ القرار رقم ٢٤٢ الوارد ذكره في الفقرة الثالثة من ذلك القرار. كما أود أن أؤكد أمامكم أن القرار رقم ٢٤٢ وهو الذي يطالب بالانسحاب - كما ذكرتم في برقيتكم - إنما يعني كذلك أمور أخرى مرتبطة بالانسحاب، وأن الاتجاه كان دائماً الى أن ينظر الى القرار ككل أي أن ينفذ في مجموع بنوده. وهذا فإن الانسحاب الى خطوط ٤ يونيه سنة ١٩٦٧ - سيكون من الأمور التي سيبحثها المؤتمر وأنه بالتالي لا يمكن تحقيقه قبل بدء المؤتمر.. هذا وإنني لواثق من أنكم تعلمون مدى إلحاح الاتحاد السوفيتي ومشاركته في ذلك الولايات المتحدة على الأطراف لحضور مؤتمر السلام في موعد ابتداء من ١٨/ ديسمبر الجاري.

ويتوازى مع هذا اهتمام العالم بالمؤتمر والآمال المعقودة عليه.

ويقتضي ارتباطنا بذلك أن أشير الى رد الفعل المعاكس الذي سيحدث إذا ما تغيبنا عن المؤتمر.

ومع أخذي في الاعتبار لكل هذه العوامل وحيث أنني لا أرى تعارضاً بين الاستعداد العسكري والعمل في المحيط السياسي بالعلم بما يكتنف المجال الأخير من أشواك وصعاب.. فلعلكم توافقون على أنه لا يوجد ضرر من الذهاب الى المؤتمر ما دام القرار في النهاية في أيدينا نقبل ما نرضاه ونرفض ما لا يتمشى مع مصالحنا القومية.

ولا يفوتني بهذه المناسبة أن أشير الى التعاون البناء الذي لمسه وزير خارجيتنا وحدا [illegible] من زميله وزير الخارجية السوري ومعاونيه.

وكما أعلم فإن التنسيق بين الوزارتين عن طريق الوفد السوري المصري [illegible] يخدم أهدافنا المشتركة.

وتفضلوا بقبول فائق تحياتي.

السيد الرئيس

أنور السادات

◻ وثيقة رقم (١٤٠) ◻

صورة رد من الرئيس السادات على رسالة الرئيس الأسد.

محتويات

• مقدمة.. ٥
• سادات.. بورتريه بالكلمات.. والأرقام!!........................ ٩
مجرد شاب فقير.. ٩
السادات سجيناً وطريداً.. ٩
الثـورى.. ١٠
سمات قيادية.. وإنسانية نادرة.. ١٠
مناصب تولاها السادات قبل أن يصبح رئيساً.. ١١
رقم (٦) كلمة السر فى حياة السادات.. ١١
• نشأة السادات.. وطفولته!!.. ١٥
السادات وجدته.. ١٨
السادات وأسرته فى القاهرة.. ١٩
السادات ضابطاً بالجيش.. ٢٠
قصة زواجه الأول.. ٢١
السادات قبل الثورة.. ٢١
عدوى.. عدو صديقى.. ٢٢
القبض على السادات.. ٢٣
محاكمة السادات.. وطرده من الجيش.. ٢٤
السادات.. واغتيال أمين عثمان!!.. ٢٥
عباس العقاد يدق أول مسمار فى نعش أمين عثمان.. ٢٧
عودته للجيش.. ٢٨

• سادات.. وقصة تنظيم الضباط الأحرار! ٢٩
السادات يتحدث عن نشأة الضباط الأحرار........ ٣٢
شهادة خالد محيى الدين ٣٣
الإخوان.. والسادات.. والجيش المصرى ٣٤
الضباط الأحرار يتحدثون عن تنظيمهم........ ٣٧
السادات.. والحرس الحديدى ٤٠
السادات ينقذ الثورة من فشل محقق........ ٤٠
السادات ليلة قيام الثورة........ ٤١
شهادات أخرى........ ٤٢
• السادات.. أسئلة.. وعلاقات غامضة! ٤٥
بين عبد الناصر.. والسادات........ ٤٧
عبد الناصر يورط السادات فى قراءة البيان الأول للثورة........ ٤٧
دهاء السادات........ ٤٩
السادات بين ناصر.. وعامر........ ٥٠
السادات نائباً لناصر........ ٥١
هل حدد عبد الناصر إقامة السادات تمهيداً لإقالته........ ٥٢
السادات ينصح عبد الناصر نصيحته الأخيرة ٥٣
هدى عبد الناصر تتهم السادات بقتل أبيها........ ٥٤
السادات.. وطرد الخبراء الروس........ ٥٦
السادات.. وأبو غزالة.. والمجاهدين الأفغان........ ٥٦
السادات.. ومراكز القوى........ ٥٩
حكاية الليثى ناصف........ ٦٢
السادات و" الطفل المعجزة "........ ٦٤
بوادر أزمة مايو........ ٦٥
سامى شرف يتحدث........ ٦٦
حكاية خزينة عبد الناصر........ ٦٧
السادات.. والصحافة........ ٦٨
الشخص المناسب........ ٧٠

مبارك يستقيل.. والسبب اشرف ٧٢
السادات.. والإخوان ٧٣
السادات.. وأحداث ٥ سبتمبر ١٩٨١ .... ٧٤
السادات.. وجيهان ٧٥
هل كانت جيهان السادات تتجسس على زوجها ٧٨
علاقته بـ " كمال ادهم " ٧٨
السادات.. وال "C.I.A" ٧٩
• السادات رئيساً.. وعلاقات أخرى حيرت الجميع! ٨١
كيف تسلم السادات الحكم ٨٤
السادات.. وأحداث ١٨ ، ١٩ يناير ٨٦
السادات.. وأخطر العلاقات ٨٦
عثمان أحمد عثمان ٨٧
عثمان يقدم رشاد عثمان إلى السادات ٨٨
توفيق عبد الحى ٨٩
حكاية شركة " إريك " ٨٩
عثمان بعد اغتيال السادات ٩٠
نهاية عثمان أحمد عثمان ٩١
الفريق سعد الدين الشاذلى ٩١
السادات ينفى الشاذلى.. والشاذلى يصعد هجومه على السادات ٩٣
سيد مرعى ريس ليه.. آل إكمنه نسيب البيه ٩٣
أخطر العلاقات.. حكاية السادات مع" العطفى " طبيبه الخاص ٩٤
سر الكتاب المجهول ٩٤
اشتعال الرأى العام بسبب العطفى ٩٦
السادات بين الخجل.. والخوف ٩٨
من هو على العطفى؟ ٩٩
التأميم ١٠٠
العطفى طالب الإعدادية الذى تحول لأستاذ جامعى ١٠١
العطفى عميداً للمعهد العالى للعلاج الطبيعى ١٠٢

العطفى والموساد.. ١٠٤
الرجل المناسب.. ١٠٥
عميل مطيع.. ١٠٦
العطفى يعود إلى مصر.. ١١٠
اشهر من نارٍعلى علم.. ١١٢
النقلة الكبرى.. ١١٣
قمة النجاح.. ١١٤
الجاسوس المجهول.. ١١٦
مفاجأة كالصاعقة.. ١١٧
فى بيت العطفى.. ١١٩
المصيدة.. ١٢٢
مراوغة.. ١٢٤
أونكل سادات.. ١٢٤
السادات على الخط.. ١٢٥
لمن كان يصلى؟!.. ١٣٠
فى مكتب رئيس المخابرات المصرية.. ١٣٢
فى استراحة السادات.. ١٣٢
تكتم إعلامى.. ١٣٣
المستحيل الرابع.. ١٣٣
كل قاعدة استثناء.. ١٣٥
اتجاهان للتحقيق.. ١٣٥
راتب العطفى فى الموساد.. ١٣٦
دكتوراة مزورة.. ١٣٧
فرض الحراسة على العطفى.. ١٣٨
تخفيف الحكم.. ١٣٩
بيجين يشترط الإفراج عن العطفى لتوقيع اتفاقية السلام.. ١٤٠
إعدام بالتليفون.. ١٤١
بيجين يكتشف لحقيقة.. ١٤١

إشاعة مطار فرانكو فورت........................... ١٤٢
ليست عميلة للموساد........................... ١٤٣
وفـاة العطفـى........................... ١٤٤
● السادات بين الحرب.. والسلام!!........................... ١٤٥
بطـل الحـرب........................... ١٤٧
السادات يستعد للحرب........................... ١٤٨
حكاية رسالة السادات إلى كيسنجر........................... ١٥١
المباحثات الثنائية........................... ١٥٢
نيكسون فى القاهرة........................... ١٥٢
مندبـة سنويـة........................... ١٥٤
السادات.. وكامب ديفيد........................... ١٥٥
صدمة على الهواء........................... ١٥٧
رد فعل الإعلام العالمى........................... ١٥٧
الدافع المجهول........................... ١٥٩
مبادرة السادات الأولى........................... ١٦٠
أيـن العـرب؟........................... ١٦١
لقطات من خطاب السادات أمام الكنيست........................... ١٦٢
العرب ضد مصر.. والسادات........................... ١٦٢
كارتر يلتقط طرف الخيط........................... ١٦٣
توقيع المعاهدة........................... ١٦٤
بعد المعاهـدة........................... ١٦٥
مصر.. بين نارين........................... ١٦٦
● اغتيـال السادات.. وبداية النهاية!!........................... ١٦٧
سيناريو اليوم الأخير........................... ١٦٩
رصاصات قاتلـة........................... ١٧٣
من ملف القضية (أقوال خالد الإسلامبولى.. وباقى المتهمين)........................... ١٧٨
سيناريو يوم الاغتيال من واقع توصيف النيابة للجريمة........................... ١٨٥
أسرار.. وشائعات حول اغتيال السادات........................... ١٨٧

اسرار على هامش حادث المنصة ١٨٨
شهادة نبوى اسماعيل وزير الداخلية ١٩٠
الحريرى يتهم ١٩٠
والنبوى يرد ١٩١
● خاتمة السادات.. حقائق.. وشائعات ١٩٥
السادات وفؤاد سراج الدين ١٩٥
شائعة اغتيال السادات للمشير أحمد بدوى ١٩٥
السادات وناهد رشاد ١٩٦
السادات.. وهمت مصطفى ١٩٦
السادات كان ينوى قطع علاقته بإسرائيل ١٩٧
أحلام السادات ١٩٨
السادات بين يدى التاريخ ١٩٨
صور لبعض المستندات المهمة ١٩٩